سيرة الحسن عليه السلام
في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٨م - ١٤٣٩هـ

المركز الإسلامي للدراسات
لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أوّل حي ماضي
بناية حجازي - ط1 - تلفاكس: 00961.1.274519
البريد الالكتروني: alhadi2@hotmail.com

المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421
البريد الالكتروني: dirasat14@gmail.com

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء العاشر

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني

التعظيم.. والتكريم..

الحج عبادة لا نزهة:

قالوا: روى إبراهيم بن الرافعي، عن أبيه عن جده قال: رَأَيْتُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ «عليهما السلام» يَمْشِيانِ إِلَى الْحَجِّ ، فَلَمْ يَمُرّا (برجل) بِراكِب إِلاّ نَزَلَ يَمْشي، فثقل ذلك على بعضهم، فقالوا لسعد بن أبي وقاص: قد ثقل علينا المشي، ولا نستحسن أن نركب. وهذان السيدان يمشيان.

فقال سعد للحسن «عليه السلام»: يا أبا محمد، إن المشي قد ثقل على جماعة ممن معك، والناس إذا رأوكما تمشيان لم تطب أنفسهم أن يركبوا، فلو ركبتما؟!

فقال الحسن «عليه السلام»: «لا نركب، قد جعلنا على أنفسنا المشي إلى بيت الله الحرام على أقدامنا، ولكننا نتنكب عن الطريق».

فأخذا جانباً من الناس[1].

ونقول:

1 ـ إن هذا الذي جرى يدل بلا ريب على عظمة الحسنين «عليهما

---

(1) الإرشاد للمفيد ج2 ص128 وبحار الأنوار ج3 ص276 وج43 ص276 عنه، وعن مناقب آل أبي طالب ج3 ص399 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص168 والعوالم ج16 ص100.

السلام» في نفوس الناس، ولكن بعض هؤلاء الناس الذين ثقل عليهم المشي لم يحسنوا التصرف، فقد كان بإمكانهم أن يتأخروا هم عن ركب الإمام، أو أن يتنكبوا هم الطريق. ثم يركبون مراكبهم ويسيرون إلى حيث شاؤا..

2 ـ وحتى بعد أن اختارا «عليهما السلام» تنكب الطريق، فقد كان بإمكان تلك الجماعة أن لا ترضى بذلك، وتصر على أن تكون هي التي تتنكب الطريق دونهما «عليهما السلام».. ولكن ذلك لم يحصل، ورضوا بأن يتحمل الحسنان المشقات، ولا تتعب مراكب ودواب هؤلاء المعترضين..

3 ـ إن الحسنين «عليهما السلام» كانا يمارسان عبادة زاكية نامية بأبهى حالاتها وتجلياتها. ويفترض بالآخرين أن يقتدوا بهما، أو على الأقل أن يتركوهما وشأنهما، ولايضايقوهما فيها.

فإن تعلم سائر الناس لهذا الدرس في التذلل لله، وتحمل المشقات في سبيله، وترويض النفس على ما يجعلها تشعر بالضعف والحاجة أمام عظمته تعالى.. إن ذلك مما يفترض بالناس جميعاً أن يتعلموه ويمارسوه، وان يرغبوا فيه، من خلال رؤيتهم أكرم وأفضل من خلق الله يمارسه ويلتزم به.

فلماذا تسبب هؤلاء الجماعة بإبعاد الحسنين «عليهما السلام» عن أن يكونا بمرأى ومسمع من عامة الناس، وينحصر الأمر بثلة قليلة، ربما تصادفهما في تلك الطرق الفرعية التي يقل سالكوها؟!

4 ـ لقد كان المطلوب من الحسنين «عليهما السلام»، ومن كل إمام أن يعرفوا الناس: بأن الحج ليس نزهة، تطلب فيها الدنيا، وملذاتها، والزهو واللهو، وما فيه صدود عن الله تعالى.

بل يريد الله أن يكون فرصة لإخضاع النفس لإرادته، وأن تعيش في رحابه، وتستلهم الكثير من المعاني التي ترتقي بها لتبلغ بها رضوانه سبحانه.

وإذا تحولت فريضة الحج إلى مجرد طقوس وحركات وشكليات فارغة من المضمون، فإن هذا سيصبح محكوماً بالأهواء، لا تقبل فيه النفس على الله، بل يصبح كل همها منصرفاً إلى تلبية نداء الشهوات والمطامع.

5 ـ إن هؤلاء الناس يرون: أن الحسنين «عليهما السلام» قد اختارا تحمل كل هذا التعب والمشقة، فكيف رضوا بأن يتحملا المزيد من التعب والجهد، ويكونوا سبباً في زيادة كربهما؟!

6 ـ إن الحسنين «عليهما السلام» لم يطلبا من أحد أن يشاركهما في هذا النوع من العبادة، ولو على سبيل المجاملة لهما ببضع خطوات، مع أنهما لو طلبا من الناس هذه المشاركة لكان ذلك من حقهما، ولكن الناس هم الذين اقترحوا على أنفسهم هذه المشاركة، ثم أرادوا أن يجعلوا منها سبيلاً وذريعة لإخراج الحسنين «عليهما السلام» من هذه الحالة العبادية، وإبطالها.

ولعل اقتراح الناس على أنفسهم هذه المشاركة، كما يحتمل أن يكون عن حسن نية، وسلامة طوية، يحتمل أيضاً أن لا يكون لأجل نيل رضا الله تعالى بها، بل كان للحصول على الثناء، وعلى السمعة الطيبة، وإعطاء الانطباع عن مدى احترامهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من خلال تعظيم واحترام أبنائه.

7 ـ ولو أن هؤلاء الناس، تخلوا عن مشاركتهم الحسنين في المشي، وعادوا إلى ركوب دوابهم، لكان أصوب، وأولى من أن يضطر الحسنان إلى تحمل

مشاق تنكب الطريق، وسلوك طرق قد لا تكون مناسبة، ولا موافقة لحالهما.

8 ـ إن هذا يعطينا درساً في لزوم إصرار أصحاب الهمم العالية، وطلاب المقامات الرفيعة، على تحقيق اهدافهم، وأن لا تمنعهم العراقيل والعقبات عن مواصلة سعيهم إلى تلك الأهداف.

9 ـ ويبدو لنا: أن قرار الحسنين «عليهما السلام» بتنكب الطريق قد أسعد سعد بن أبي وقاص، لأنه يبعد الحسنين «عليهما السلام» عن المحيط الذي هو فيه، ليبقى هو محور الإهتمام والإكرام والاحترام، وقد كان سعد حسوداً، كما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»[1]. وكان أيضاً منحرفاً عن علي «عليه السلام»، فلم يبايع له[2].

تعظيم ابن عباس للحسنين ' :

عن مدرك بن أبي زياد، قلت لابن عباس ـ وقد أمسك للحسن ثم للحسين بالركاب، وسوى عليهما ـ: أنت أسن منهما تمسك لهما بالركاب!

فقال: يا لكع، وما تدري من هذان؟!

هذان ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله». أوليس مما أنعم الله به عليَّ

---

(1) الإمامة والسياسة ج1 ص54 و (تحقيق الزيني) ج1 ص52 و (تحقيق الشيري) ج1 ص73 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص27 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص461.

(2) راجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص442 وكتاب الأربعين للماحوزي ص84 والأخبار الطوال ص141 و 142 والثقات لابن حبان ج2 ص270 والإستغاثة للكوفي ج2 ص63.

أن أمسك لهما، وأسوي عليهما؟![1].

ونقول:

1 ـ للإمام الحسن والحسين مقام الإمامة التي نص عليها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهما، وهو مقام رعاية وهداية، وتربية، ورقي في مدارج الكمال، ونيل كريم الخصال، وجميل الفعال..

ولا يقتصر الأمر في مهمات الإمامة هذه على أنهما «عليهما السلام» يتوليان التدبير للشؤون الدنيوية، أو الأخروية للناس، بل هو يجمعهما معاً، كما أنه يحمل معه معنى التفرد والأوحدية والتميز في العلم لهذين الإمامين الجليلين على جميع البشر.

ويكون لهما أيضاً معنى الكمال والتفوق على جميع البشر في كل شيء.

بالإضافة إلى حيازتهما معنى التقوى والاستقامة على جادة الخير والهدى، إلى حد العصمة، والطهارة من أي نقص، أو عيب، أوضعف أمام المغريات، والمعضلات.

ومعنى الإمامة يحمل معه معنى ارتباط مصير الناس أفراداً وجماعات بمدى معرفتهم وتعلقهم بالإمام والإمامة، وطاعتهم له، وتمكينه من إنجاز

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص168 وبحار الأنوار ج43 ص319. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج13 ص238 وصلح الحسن لآل ياسين ص28 وعن مقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص128 وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص33 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص308 عن مختصر تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج7 ص21.

المهمات التي أوكلها الله إليه.. في هدايتهم، ورعايتهم، وحفظهم، وتربيتهم، وتأهيلهم للفوز بأعلى درجات السعادة في الدنيا والآخرة.

وكل كلمة قلناها هنا، وكثير مما لم نقله، يحتم على البشر كلهم بمختلف فئاتهم وطبقاتهم، عالمهم وجاهلهم، كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم، أسودهم وأبيضهم، قويهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم: أن يمنحوا الأئمة الربانيين أعلى مراتب التعظيم والتكريم، والمودة، والمحبة، والطاعة، والاعتزاز بهم، فما بالك إذا أضيف إلى ذلك:

أولاً: إن هذا التكريم والتعظيم وسائر أنواع الارتباط الرضي بهم «عليهم السلام» يرفع الدرجات، وينيل المثوبات الكثيرة، والمقامات الجليلة عند الله تبارك وتعالى.

ثانياً: إذا كان الإمام هو ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو الذي نشَّأه ورباه، ودل على كثير من صفاته ومزاياه، وأشار إلى عظيم محبته له، ولمن يحبه، فإن مودة رسول الله في أبنائه «عليهم السلام» ميزة أخرى، يهم كل إنسان عاقل الوصول إليها، والحصول عليها.

2 ـ اللافت هنا: أن ابن عباس اقتصر في جوابه لمدرك بن أبي زياد على خصوص هذه النقطة التي ذكرناها أخيراً، وهي: أنهما ابنا الرسول «صلى الله عليه وآله»، لتكون هي المبرر لإكرامه وتعظيمه للإمامين الحسنين «عليهما السلام».. مع أن جميع ما ذكرناه، وسواه مما لم نذكره كل واحد منه مبرر قاطع، وبرهان ساطع على وجوب هذا التكريم والتعظيم.

فهل لم يدرك ابن عباس هذه الحقيقة، أم خاطب مدرك ابن أبي زياد بما

يتناسب مع فهم هذا الرجل للأمور؟!

ونظن: أن الأقرب للاعتبار هو الثاني.. فإن ابن عباس رجل فاضل، يعرف قيمة هذه الفضائل، ولا يعرف الفضل إلا ذووه.

3 ـ ظهر من كلام مدرك بن أبي زياد: أنه كان يرى أن التقدم في السن هو الذي يستدرج التكريم والتعظيم، والتقدم، ولم يعط للعلم والحكمة، والاخلاق، والطهارة، والتقوى، وغير ذلك دوراً في ذلك..

4 ـ إن هذا التكريم والتعظيم، من شأنه أن يجذب ويحبب الناس إلى هذه المعاني، ويزرع في نفوسهم الرغبة في التحلي بها، والسعي للحصول عليها، فإذا كان التكريم لأجل العلم، فإن ذلك يحبب الناس بالعلم، وإن كان هو للإيمان، فكذلك، وهكذا يكون الحال بالنسبة لسائر الصفات والميزات.

وإذا كانت مودة رسول الله بإكرام ولديه، فإن الناس سوف يرغبون بهذه المودة لما فيها من المثوبة عند الله، والقرب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمن يفعل ذلك.

هيبة وشرف:

عن محمد بن إسحاق في كتابه قال: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما بلغ الحسن. كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما مر أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فمر الناس.

ولقد رأيته في طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشى،

حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي(1).

وهذا يؤكد المعاني التي ذكرناها آنفاً، فإن من يبلغ هذه المقامات من العلم والحكمة والورع، والخلق الكريم، والإيمان، والطهر، والتقوى، وغير ذلك، فإن الله عز وجل يعطيه الهيبة والعزة، والشرف.

وقد قيل للإمام الحسن «عليه السلام»: إن فيك عظمة.

قال: بل فيَّ عزة، قال تعالى: ﴿**وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾(2)»(3).

أفضل قريش:

أخبر الليث بن سعد بإسناده: أن رجلاً نذر أن يدَّهن بقارورة رجلي أفضل قريش، فسأل عن ذلك.

فقيل: إن مخرمة أعلم الناس اليوم بأنساب قريش، فاسأله عن ذلك.

فأتاه وسأله، وقد خرف، وعنده ابنه المسور، فمد الشيخ رجليه وقال: ادهنهما.

فقال المسور ـ ابنه ـ للرجل: لا تفعل أيها الرجل، فإن الشيخ قد خرف،

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج4 ص9 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص174 وبحار الأنوار ج43 ص338 والعوالم ج16 ص135 وراجع: التاريخ الكبير للبخاري ج1 ص243 وشجرة طوبى ج2 ص257 وإعلام الورى ج1 ص412.

(2) الآية 8 من سورة المنافقون.

(3) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج4 ص13 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص176 والعوالم ج16 ص135 وبحار الأنوار ج43 ص338 وكنز الدقائق (تفسير) ج13 ص269 ونور الثقلين (تفسير) ج5 ص336 .

وإنما ذهب إلى ما كان في الجاهلية.

وأرسله إلى الحسن والحسين، وقال: ادهن بها أرجلهما، فهما أفضل الناس، وأكرمهم اليوم(1).

ونقول:

1 ـ من المعروف: أن المسور بن مخرمة كان من المنحرفين عن علي، وأهل البيت «عليهم السلام»، موالياً لأعدائهم، مظاهراً لمناوئيهم عليهم.

ويكفي أن نذكر:

ألف: أن المسور كان لا يذكر معاوية إلا استغفر له(2).

ب: يبدو: أنه هو الواضع على لسان رسول الله حديث: زواج علي «عليه السلام» ببنت أبي جهل، وأنه «صلى الله عليه وآله» خطب، وقال: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوه أن ينكحوا ابنتهم علياً، فلم يأذن لهم.

وقال «صلى الله عليه وآله»: إن علياً إن أراد ذلك، فعليه أن يطلق ابنته فاطمة، فإن ابنة عدو الله لا تجتمع مع ابنة ولي الله(3).

ج: وقد اعتزل المسور بعد قتل عثمان في مكة إلى أن مات معاوية(4).

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص168 وبحار الأنوار ج43 ص319 والكنى والألقاب ج2 ص302.

(2) تاريخ بغداد ج1 ص209 وقاموس الرجال ج10 ص77 عنه.

(3) أنساب الأشراف ج1 ص403. وراجع بقية المصادر في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

(4) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1399 وشرح مسند أبي حنيفة ص390 والكنى

ولم ينصر الحق وأهله.

هـ: وكان الساعد الأيمن لخاله عبد الرحمان بن عوف في تدبير أمر الشورى لصالح عثمان. ولم يزل مع خاله مقبلاً مدبراً حتى تم لهم ما أرادوا[1].

2 ـ إن المسور بن مخرمة قد عرف أنه لو رضي: بأن يكون أبوه أفضل قريش وشاع ذلك عنه لكان الناس قد اتخذوه غرضاً للسخرية والاستهزاء، ولشكَّل ذلك فضيحة محرجة له، تجلب له العار، لأن في هذا الادِّعاء جرأة على الله ورسوله، وتلاعباً بالقيم، وعبثاً بالمعايير، فلا أحد أفضل من رسول الله وأهل بيته «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، فمن ادَّعى غير ذلك، فهو كاذب.

ولأجل ذلك بادر المسور إلى تدارك الأمر، قبل فوات الأوان، بالرغم من أن تداركه له بهذه الطريقة المتضمنة للإقرار بفضل وتقدم أهل البيت «عليهم السلام» كان مؤلماً له، ولكن للضرورة أحكامها، وقديماً قيل:

ومـا حيلـة المضـطر إلا ركوبهـا

فإن وهج الحمى أقل أثراً وضرراً من حر النار.

والألقاب ج2 ص302 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص76 وأسد الغابة ج4 ص365.

(1) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1399 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص76 وراجع: فتح الباري ج13 ص171 والمصنف للصنعاني ج5 ص477 وبحار الأنوار ج31 ص400 وراجع: تاريخ المدينة ج3 ص926 ـ 929 وتاريخ الأمم والملوك ج3 ص297 والكامل في التاريخ ج3 ص68 ـ 70 ونهاية الأرب ج19 ص378 ـ 383.

3 ـ غير أن علينا أن نشير إلى أن المسور هنا قد ضمّن كلامه ما دل على خباثة وصلافة، غلّفها بستار الإبهام والتعمية بقوله لذلك الرجل ـ معتذراً عن أبيه الذي ادَّعى أنه أفضل قريش ـ: «وإنما ذهب إلى ما كان في الجاهلية».

أي أن أباه إنما ادَّعى لنفسه الأفضلية انطلاقاً مما كان عليه الحال في الجاهلية. وقد تغير الحال في الإسلام..

وهذا كذب صريح، وفجور واضح، إذ متى كان في الجاهلية من يضاهي في الفضل آباء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو يقاس بالصفوة من بني هاشم، ومن يمكن أن يكون كعبد المطلب وأبي طالب، وحمزة، وعبد الله، وسائر الخيار من بني هاشم..

وأي شرف أو فضل كان لأبيه مخرمة سواء في الجاهلية أو في الإسلام، يخول ولده أن يدَّعي: أن أباه كان أفضل قريش في الجاهلية؟!

الحسنان بنظر ابن جعفر:

روي في كتاب سليم بن قيس وغيره ما جرى بين عبد الله بن جعفر ومعاوية، مما له ارتباط بالحسن والحسين «عليهما السلام»، وذلك بحضورهما «عليهما السلام».

وحيث إنه حديث طويل، فقد رأينا: أن نلخصه، ونذكر منه موضع الحاجة، مع نصيحة نسديها للقارئ الكريم بمراجعة الحديث في مصدره، إن أراد التوسع في البحث، أو تبلورت لديه الرغبة بالوقوف على التفاصيل.

وقد لخصنا ما نرمي إليه على النحو التالي:

أبان، عن سليم، قال: حدثني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: كنت

عند معاوية، ومعنا الحسن «عليه السلام» والحسين «عليه السلام»، [وعنده] عبدالله بن عباس، [والفضل بن العباس].

فالتفت إليّ معاوية، فقال: يا عبدالله بن جعفر ما أشدَّ تعظيمك للحسن والحسين؟! و [الله] ما هما بخير منك، ولا أبوهما خير من أبيك.. ولولا أن فاطمة بنت رسول الله [أمهما] لقلت: ما أمك أسماء بنت عميس دونها!

[فغضبت من مقالته، وأخذني ما لم أملك معه نفسي]، فقلت: [والله] إنّك لقليل العلم بهما، وبأبيهما، وبأمهما، بل والله، لهما خيرٌ منّي، وأبوهما خيرٌ من أبي، وأمهما خير من أمي.

يا معاوية، إنك لغافلٌ عمّا سمعته أنا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول فيهما وفي أبيهما وأمّهما، قد حفظته، ووعيته، ورويته.

قال معاوية: هاتِ ما سمعت [وفي مجلسه الحسن والحسين، وعبد الله بن عبّاس، والفضل بن عبّاس، وابن أبي لهب] فوَالله ما أنت بكذّاب ولا متّهم.

فقلت: إنّه أعظم ممّا في نفسك.

قال: وإن كان أعظم من أُحد وحراء جميعاً، فلست أبالي إذا لم يكن في المجلس أحد من أهل الشّام، وإذ قتل الله صاحبك، وفرّق جمعكم، وصار الأمر في أهله، وفي معدنه! فحدِّثنا، فإنّا لا نبالي ما قلتم، ولا ما ادّعيتم.

فذكر له ما ورد حول الآية التي ذكرت الشجرة الملعونة في القرآن، والحديث عن اثني عشر إماماً من أئمّة الضّلالة، وحديث بلوغ بني أبي العاص ثلاثين رجلاً، وما يكون منهم.

وحديث من كنت مولاه فعلي مولاه، وأن الحسن «عليه السلام» أولى

بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ الحسين، ثم ذكر بقية الأئمة، وأنهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم أيضاً.

وذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر أنه يستشهد بالسم، وعلي بالسّيف، والحسن بالسّمّ،

«ويقتل ابني الحسين بالسّيف، يقتله طاغي، ابن طاغي، دعيّ، ابن دعيّ، [منافق، ابن منافق]».

وتتوالى الإحتجاجات على معاوية، من قبل ابن جعفر تارة، وابن عباس أخرى، ويسأل معاوية الحسنين عن صحتها، فيصدقانها.

وانتهى الأمر إلى أن أمر معاوية للحسن والحسين «عليهما السلام» بألف ألف درهم، لكلّ واحد بخمسمائة ألف[1].

ونقول:

معاوية عدو شانئ:

إن معاوية ـ كما يروي الزبير بن بكار في الموفقيات ـ كان يمهِّد ويعمل

(1) كتاب سليم بن قيس ص834 – 848 و (ط سنة 1422هـ ق) ص279 ـ 287 والإحتجاج ج2 ص3 ـ 8 وإثبات الهداة ج1ص 661 وبحار الأنوار ج33 ص261 ـ 272 وج44 ص97 ـ 102 وأشير إليه في الكافي ج1 ص529 والغيبة للنعماني ص140 و141 والغيبة للطوسي ص91 و92 والصراط المستقيم للبياضي ج2 ص120 والصافي (تفسير) ج4 ص166 وإثبات الهداة ج1 ص456 و 457 ونور الثقلين (تفسير) ج4 ص239 و324 والإستبصار، وكنز الفوائد للكراجكي.

للحط من مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد أقسم على دفن ذكره، كما رواه عنه المغيرة[1]، فما بالك بموقفه من أمير المؤمنين الذي حاربهم وقتل رجالهم في بدر، وأحد، والأحزاب، وسائر الحروب التي خاضها ضد الشرك وأهله، وزعمائه وقادته، وهم قوم معاوية وحزبه وعشيرته؟!

وكان معاوية يحاول إنكار فضائله ومقاماته «عليه السلام» بكل ما يقدر عليه، وبقيمة تكذيب القرآن، الذي جعل علياً نفس النبي في آية المباهلة. فضلاً عن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ، آدم فمن دونه»[2].

فقد دل هذا الحديث، كما دلت الآية المباركة على أفضلية علي «عليه السلام» على جميع الأنبياء، من لدن آدم إلى النبي الخاتم. كما أن هذا الحديث يدل على أفضلية فاطمة «عليها السلام» على نساء العالمين، من الأولين والآخرين.

---

(1) راجع المصادر في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

(2) راجع: بصائر الدرجات ص342 وعلل الشرائع ج1 ص183 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج27 ص146 و (ط دار الإسلامية) ج18 ص106 وبحار الأنوار ج22 ص327 و 349 و 350 وج26 ص67 وجامع أحاديث الشيعة ج1 ص173 والغدير ج5 ص48 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص240 وتفسير الميزان ج3 ص220 وإختيار معرفة الرجال ج1 ص55 و 61 و64 و 72 والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص210 و211 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص476 و 477 والخصائص الفاطمية ج1 ص261 واللمعة البيضاء ص196 ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص311 و 312 و 313 وإلزام الناصب ج1 ص13.

سوء أدب معاوية:

1 ـ إن معاوية حسب النص المتقدم يسيء إلى جلسائه، وهم خير أهل الأرض، حين يتصدى لإنكار فضلهم ومقاماتهم، من دون موجب أو مبرر.

وحين لا يتم له ذلك، فإنه يساويهم بمن لا يدانيهم، كيف والحسنان هما ريحانتا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهما سيدا شباب أهل الجنة، ولهما مقام العصمة والطهارة، وهما أعلم أهل الأرض بعد النبي وعلي، ولهما مقام الإمامة فلا يمكن أن يساويهما أحد..

بل هو ينكر على ابن جعفر تعظيمه للحسن والحسين، ويدَّعي، بل هو يقسم على أن الحسنين ليسا بأفضل من عبد الله بن جعفر، وليس علي «عليه السلام» بأفضل من جعفر أبيه.

2 ـ ويبدو لنا: أن هدف معاوية من جميع ذلك هو أنه يريد أن يلقي في روع عبد الله بن جعفر هاجس المنافسة معهما. وإخراجه من حالة التسليم والطاعة لهما إلى حالة الجنوح للإستعلاء، والتعامل بندية وجفاء..

مع أن معاوية يعلم: بأن النبي «صلى الله عليه وآله»[1]. وكذلك أمير

---

(1) بحار الأنوار ج65 ص45 وأرجح المطالب ص330 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص104 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص7 وينابيع المودة ج2 ص68 و 83 و 114 و 117 والفردوس ج4 ص283 وفرائد السمطين ج1 ص45 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج9 ص304 و378 و379 وج18 ص443 وج22 ص523 و524 وج24 ص581 وج33 ص143 عن ذخائر العقبى ص17 وعن منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج5 ص94 وعن

المؤمنين «عليه السلام»، قالا: «نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد»[1]. أو نحو ذلك.. وكذلك قال الإمام الصادق «عليه السلام»[2].

3 ـ هل يريد معاوية أن يقلِّل من شأن الحسنين «عليهما السلام»، تمهيداً لفرض ولده يزيد خليفة بعده؟! لأن بقاء هالة القداسة عليهما، وظهور تقدمهما في العلم والفضل، والأخلاق، والسلوك، وكل صفات الخير والصلاح، وكونهما ابني رسول الله.. إن بقاء هذه الهالة، وهذا الإعتقاد فيهما متجذراً في الناس، ومهيمناً على فكرهم سوف يجعل من تقديم يزيد كخليفة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أمراً مزرياً ومخزياً، فأين الثريا وأين الثرى؟! وأين معاوية من علي؟!

كما أن نفس قبول معاوية بشرط الإمام الحسن «عليه السلام» في عقد الهدنة أنه ليس له أن يعهد لأحد بعده سوف يزيد من الأمر صعوبة على معاوية. حتى لو اعلن أنه لن يفي للإمام بأي شرط.

ولعل معاوية يفكر بأن الأمر قد يخرج عن سيطرته، ويتحول إلى صراع دموي، لو أراد أن يحسم الأمر عن طريق القوة، مع احتمال: أن يصاب الحسنان «عليهما السلام»، أو أحدهما بسوء، فإن الأمر سيصبح أكثر تعقيداً، وأعظم

كنوز الحقائق للمناوي ص165 وعن مفتاح النجا للبدخشي.

(1) شرح الأخبار ج2 ص202. وراجع: بحار الأنوار ج35 ص347 وكتاب الأربعين للماحوزي ص351 وكشف الغمة ج1 ص31 وكشف اليقين ص191 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج30 ص211 و 361.

(2) معاني الأخبار ص179 والإختصاص للشيخ المفيد ص13 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص435 والدرجات الرفيعة ص237.

خطراً، فارتأى أن يمارس هذا الإضعاف الاستباقي للحسنين لكي يسهِّل على نفسه الخروج من المأزق أيضاً.

موقف ابن جعفر فاجأ معاوية:

1 ـ ولم يكن موفقاً في حساباته التي دعته إلى عقد ذلك المجلس، فقد كان يظن أن عبد الله بن جعفر سوف يصدق كلامه، وينساق مع أحلام الزعامة، وتهمين عليه حالة من الشعور بالزهو والانتفاخ، وسيجري ـ لا شعورياً ـ مقارنات بين الحسنين فيما لهما من صفات وميزات، في العلم والدين، والتقوى، والأخلاق، وما إلى ذلك.. وبين ما يختزنه هو في داخل ذاته من صفات وميزات، يمكن أن تظهر له فضلاً، أو تمنحه فرصة لخداع نفسه، والتمويه عليها، وجرها إلى الأجواء التي أراد معاوية بخطته الإبليسية هذه أن يجره إليها.

ولكن ما لم يحسب له معاوية أي حساب هو دين، وعقل، ورزانة، وواقعية عبد الله بن جعفر «رحمه الله»، والأهم من ذلك: خلقه الرفيع، وصدقه مع نفسه، فقد انبرى لمعاوية مؤكداً كلامه بالقسم ليقول له:

إن الحسنين «عليهما السلام» خير منه، وأبوهما خير من أبيه، وأمهما خير من أمه.. وبالرغم من شوكة الملك، وأبهته، فإن ذلك لم يمنعه من وصف معاوية بقلّة العلم بهما، وبأبيهما، وأمهما.

وظني أنه تحاشى وصف معاوية بالجهل، أو بسوء النية، لكي لا يدفع معاوية للانكار، أو الجدال بالباطل، وربما تطور الأمر إلى أكثر من ذلك.

2 ـ واللافت هنا: أن عبد الله بن جعفر استطاع ببراعته ونباهته: أن يدفع معاوية إلى اتِّخاذ موقف مدعّم بالقسم بالله تعالى، ويقول عن ابن جعفر: «إنه

ليس بكذاب، ولا متهم..» والذي سهل انتزاع هذا الموقف منه: أن ابن جعفر قد سمع من النبي «صلى الله عليه وآله» ما يدحض أقوال معاوية، ويصحح أقوال ابن جعفر نفسه.

وأوحى ابن جعفر بكلامه له: أنه ليس متحمساً للبوح بما روى وحفظ. فاستفز ذلك معاوية، ودعاه للإصرار على سماع ذلك منه.

ثم أكَّد له ابن جعفر مرة أخرى: أن ذلك الأمر عظيم، بل أعظم في نفس معاوية، فازداد إصرار معاوية على سماعه.

وبقسم معاوية على قوله: «إنه ليس بكذاب، ولا متهم» يكون قد انتزع اعترافاً منه بصحة أقواله السابقة وأقواله اللاحقة على حدٍّ سواء، بالرغم من أنها تضمنت أموراً لا يطيقها معاوية، ولا أحد من بني أميَّة وأشياعهم، وسيكون وقعها عليه وعليهم كوقع الصاعقة.

ولكن الذي هون الأمر عليه أن ذلك المجلس كان خاصاً، لم يحضره أحد من أهل الشام، الذين كان معاوية يحرص على إبقاء حالة الغفلة والجهل بالحقائق مهيمنة عليهم.

3 ـ كما أن قول معاوية لابن جعفر: ما أنت بكذاب ولا متهم، قد سد الطريق على معاوية نفسه، ومنعه من تكذيب عبد الله فيما ينقله..

4 ـ والأهم من ذلك: أن ذلك ألزمه بضبط مشاعره وانفعالاته، ومنعه من أي ردة فعل، يمكن أن تخلّ بتأثيراتها على ما نقله ابن جعفر عن النبي «صلى الله عليه وآله»، أو أن تحدث تغييراً في المشاعر التي تحتضنها، أو تثير شبهة في مضمونها، أو التشكيك بصدورها. ومن ثم بصحة مضامينها.

مع أنها قد تضمّنت أقوالاً تهدم كيان معاوية، وتطيح بها شاده وبناه بنو أميَّة لأنفسهم من أمجاد فارغة، وذلك بكلمة واحدة، وهي قول النبي «صلى الله عليه وآله»: إنهم الشجرة الملعونة في القرآن..

ثم صنَّف معاوية وفريقه، وغيرهم من المناوئين لأهل البيت: أئمة ضلال.

ثم توَّج ذلك كله، بالخبر عن بلوغ بني أبي العاص ثلاثين رجلاً، فيتخذون عباد الله خولاً، ومال الله دولاً.

6 ـ وفي مقابل ذلك جاء حديث مولوية أمير المؤمنين «عليه السلام» لكل مؤمن كرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم حديث أن الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم الحسين ثم باقي الأئمة بعده.

وهذا معناه: أن يصبح الحسنان «عليهما السلام» في الذروة، وأن لهما من القداسة ما لرسول الله وعلي «عليهما أفضل الصلاة والسلام».

قيمة الإخبارات الغيبية!!:

والأهم من ذلك: أن ما سمعه ابن جعفر من النبي «صلى الله عليه وآله» قد تضمن أموراً غيبية، كإخباره عن بني أبي العاص حين يبلغون ثلاثين رجلاً، وعن الأئمة الاثني عشر (من أئمة الضلال)، وعن استشهاد النبي بالسم، والإمام علي علي بالسيف، والإمام الحسن بالسم، والإمام الحسين بالسيف، بتلك الطريقة الفظيعة والفجيعة، والتي يأباها كل شريف، وتنفر منها النفوس، إلى آخر ما هنالك.

وتكمن أهمية هذه الأخبار في أنها ستكون في المستقبل هي الحرز الحافظ للنصوص الأساسية، التي رافقت هذه الإخبارات..

وهذه الأخبار كلها تعني معاوية، ولاسيما ما يرتبط بأوصاف قاتل الإمام الحسين «عليه السلام». فلو أراد معاوية أو غيره إنكارها، أو إثارة الشبهات حولها.. فإن وقوع مضمون هذه الأخبار الغيبية بمرأى من الناس ومسمع سوف يعيد الإعتبار لكل حرف تضمنه هذا الخبر الشريف.. وبذلك يرد كيد معاوية ومن هم على شاكلته إلى نحورهم، ويذوقون طعم الخيبة والخذلان.

ما الذي خفف المصاب على معاوية؟!:

والذي هون الأمر على معاوية ـ حسب تصريح معاوية نفسه ـ:

أولاً: إن أحداً من أهل الشام لم يحضر، ولم يسمع ما جرى في ذلك المجلس، وقد جاء هذا موافقاً لغرضه، لأنه يريد أن يبقيهم على ما هم عليه من الجهل بالحقائق، والسذاجة والغفلة.

ثانياً: إن الذي كان يخشاه، ويرى فيه خطراً داهماً، هو علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد استشهد.

ثالثاً: إنه يعلم عدم وفاء العراقيين ببيعتهم للإمام الحسن «عليه السلام»، وخيانة جانب من عسكره وقادته، وكتابة أكثر رؤساء أهل الكوفة إلى معاوية: بأنهم يبايعونه، ويقتلون الإمام الحسن «عليه السلام»، أو يسلمونه إليه حياً حين يقترب منهم..

ثم رأى محاولاتهم المتكررة قتل الإمام «عليه السلام»، وبعد أن باع الناس دينهم بدنياهم كان لا بد للإمام الحسن أن يرضى بعقد الهدنة، ويصرف النظر عن الحرب في ذلك الوقت، ولو لم يفعل ذلك، لأبيد الشيعة والمؤمنون، ولم يبق للإسلام ناع.

وبايع الناس معاوية تحت طائلة التهديد والوعيد لمن تلكأ وامتنع، وأصبحت البلاد والعباد، والأموال والرجال في يد معاوية..

فلم يبق أمام معاوية ما يخافه إلا وعي الناس، ولاسيما أهل الشام، وانكشاف الحقائق لهم، وهذا ما لا يجدي فيه كلام ابن جعفر، لأنه في مجلس خاص، ليس فيه أحد من أهل الشام..

ولو أريد تسريب ما جرى فيه للناس، فبإمكان معاوية محاصرته، والمنع من انتشاره على نطاق واسع، أو تكذيبه وإثارة الشبهات حوله.

ولكن معاوية يعرف: أن من حضر ذلك المجلس، وهم الحسنان، وابن جعفر، وعبد الله والفضل ابنا العباس، سوف يحاولون نشر هذا الأمر في المحيط الذي يعيشون فيه، ولم يكن معاوية يعبأ بما يجري في هذا المحيط كثيراً.. ما دام بعيداً عن أهل الشام.

ولكن هذا التداول سوف يضع أساساً تستفيد الأجيال اللاحقة منه في فهمٍ أعمق للأمور، ولاسيما مع اقترانه بالأخبار الغيبية حسبما أوضحناه.

وإنما يتكون السيل الجارف من قطرات صغيرة من المطر حين تتلاقى وينضم بعضها إلى بعض..

معاوية كذّب نفسه:

1 ـ وقد رأينا: أن معاوية بعد أن أقسم في ذلك المجلس: أن عبد الله بن جعفر ليس بكذاب، ولا متهم.. عاد بعد لحظات، وفي ذلك المجلس بالذات ليتبع هذا التصريح، بما يدل على أنه يتهم ابن جعفر في بعض ما يقوله، ويعتبره مجرد ادِّعاءات لا واقع لها، فقال له: «فإننا لا نبالي ما قلتم، أو ما ادَّعيتم».

وقد قيل: لا حافظة لكذوب.. ولكننا لم نكن نظن: أن الأمر في النسيان يصل إلى هذا الحد..

2 ـ كما أن الرواية المتقدمة نفسها تصرح: بأن الاحتجاجات توالت، وأن معاوية كان يسأل الحسن والحسين «عليهما السلام» عن صحتها، فيصدقانها ويؤكدان صحتها.

فإذا كان معاوية يقسم على أن ابن جعفر ليس بكذّاب ولا متهم، فلماذا يسأل الحسنين «عليهما السلام» عن صحة الكلام الذي يورده هو وابن عباس؟! أليس نقضاً للقسم الذي أطلقه طائعاً مختاراً؟!

معاوية يتوسل بالأموال:

ولم يكن معاوية يكدُّ ويتعب في جمع الأموال، بل كان من يكد ويتعب لتحصيلها هم الآخرون.. وكان معاوية يرى: أن عليه أن يسخِّر هذه الأموال في تلبية حاجاته، وإشباع شهواته، ثم أن يسخرها في تثبيت ملكه، وتوفير الحماية لنفسه.

لكن الحسن والحسين وأهل الدين يرون أن معاوية غاصب معتد، ولا يحق له التصرف في أموال بيت المال، وإنما الذي يحق له ذلك، ويضع الأموال في مواضعها، ولا يأخذ منها لنفسه، ولو بمقدار ما تأخذه الذبابة بفيها هو الإمام الحق، المنصوب من قبل الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» وهو الإمام الحسن، وسائر الأئمة الطاهرين «عليهم السلام».

وبذلك يعلم: أن الأموال التي أعطاها معاوية للحسنين «عليهما السلام» في هذه المناسبة هي أموالهم التي يعود إليهم أمر التصرف فيها.. وليس له أن

يمنَّ عليهم بأموالهم.

ولعله لم يعط ابن جعفر، وعبد الله والفضل ابني العباس، ربما ليثير حالة من الحسد والتنغيص في نفوسهم تجاه الحسنين «عليهما السلام»..

ولعله أراد أيضاً أن يوهم الحسنين «عليهما السلام» بأن ما أثاره في ذلك المجلس من أمور لم يكن له جذور واقعية، ودوافع خبيثة تجاههما.

الفصل الثالث

مواجهات.. ومواقف..

لعن الله أخملنا ذكراً:

قالوا:

أنبأ السيد العالم الصفي أبو تراب المرتضى، بن الداعي بن القاسم الحسني «رحمه الله»، ثنا المفيد عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري، إملاء من لفظه، أنبأ السيد أبو المعالي إسماعيل بن الحسن بن محمد الحسني النقيب بنيسابور قراءة عليه، وأبو بكر محمد بن عبد العزيز الحيري الكرامي قالا: أخبرنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ إجازة، ثنا أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف القاضي، ثنا علي بن عبد الصمد لفظاً، ثنا يحيى بن معين، ثنا أبو حفص الأبار، ثنا إسماعيل بن عبد الرحمن، وشريك، عن إسماعيل بن أبي خلد، عن حبيب بن أبي ثابت قال:

لما بويع معاوية خطب، وذكر علياً «عليه الصلاة والسلام»، فنال منه ونال من الحسن، فقام الحسين ليرد عليه، فأخذ الحسن بيده وأجلسه.

ثم قام الحسن «عليه السلام» وقال:

أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك (قتيلة) فتيكة[1].

---

(1) لعل هذه الكلمة مصحفة عن قتيلة.

فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً.

فقال أهل المسجد: آمين.

وقال: فقال ابن معين: وأنا أقول: آمين.

قال ابن عبد الصمد: وأنا أقول: آمين.

وقال لنا القاضي: وأنا أقول: آمين، فقولوا آمين.

وقال محمد بن عبد الحافظ: وأنا أقول: آمين.

قال السيد والحيري: ونحن نقول: آمين آمين آمين.

وقال الشيخ المفيد عبد الرحمن: وأنا أقول: آمين آمين، فإن الملائكة تقول: آمين.

قال السيد الصفي: وأنا أقول: آمين اللهم آمين.

قال ابن بابويه: وأنا أقول: آمين، ثم آمين، ثم آمين، ثم آمين(1).

لم يستأذن الحسين من أخيه:

إن هذا النص يقول: إن الإمام الحسين «عليه السلام» بمجرد سماعه نيل معاوية من أبيه وأخيه قام ليرد عليه، ولم يستأذن أخاه، ولم يشاوره في

(1) الأربعون حديثاً لابن بابويه ص79 ـ 81 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص534 عن كتاب الأربعين عن الأربعين (المخطوط) ص66. وراجع: مقاتل الطالبيين ص46 والإرشاد للمفيد ج2 ص14 و 15 وبحار الأنوار ج44 ص49 والغدير ج11 ص7 و 8 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص46 و 47 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص109 وكشف الغمة ج2 ص165.

ذلك.. ولكن الإمام الحسن «عليه السلام» أخذ بيد الحسين وأجلسه..

فأولاً: لماذا لم يستأذن الحسين من أخيه وإمامه؟! وألا يتنافى هذا مع ما تقدم، من أن الحسين ما تكلم بين يدي أخيه الحسن إعظاماً له؟!

ثانياً: لماذا أجلسه أخوه، وتولى هو جواب معاوية.

ونجيب:

أولاً: إن الإمام الحسين «عليه السلام» كان يعرف: أنه يجب عليه شرعاً الدفاع عن النبي والإمام، فضلاً عن الدفاع عن أبيه وعن أخيه «عليهم السلام»، وأن يتصدى لكل معتد عليهما بالقول أو بالفعل، فهذا الوجوب كوجوب الصلاة، أو أي واجب آخر، لا يحتاج إلى استئذان من النبي أو الإمام «صلوات الله وسلامه عليهما»، سواء أكان حاضراً أم غائباً.. فإن من المعلوم: أننا لو رأينا شخصاً مندفعاً نحو النبي أو الإمام ليضربه بسيفه، فيجب علينا دفعه عنه، ولا حاجة إلى استئذان الإمام أو النبي.

نعم، لو صدر من النبي أو الإمام نهي عن هذا التصدي، فلا بد من طاعته. وهذا ما حصل للإمام الحسين «عليه السلام» هنا، فإنه لما أجلسه الإمام الحسن «عليه السلام»، امتثل أمره وجلس، ولم يصر على التصدي لمعاوية.

إن ما فعله الإمام الحسين «عليه السلام» كان ضرورياً، لإفهام معاوية، وسائر من يريد أن يمارس هذا العدوان: أن عليه أن يعلم: أن حق الدفاع والتصدي لمن يفعل ذلك ثابت لكل أحد، ولا ينحصر بالمعتدى عليه، وهو الإمام الحسن «عليه السلام»، بل هو تكليف إلهي، وواجب شرعي، موجَّه من الله مباشرة لكل عباده تعالى، فعلى معاوية أن يتوقع التصدي له في هذا

الأمر من كل اتجاه.

ثانياً: إنما أجلس الإمام الحسن أخاه، لأمرين:

أحدهما: أن معاوية، ومن هم على شاكلته قد فهموا ما أراد الإمام أن يفهمهم إياه، وقامت عليهم الحجة في ذلك، وعرفوا: أن كل من فعل ذلك، فإنما يقوم بواجبه، وليس متطفلاً، ولا متبرعاً، ولا معتدياً، ولا تصح مؤاخذته، لأنه يقوم بما يجب عليه.

الثاني: أنه لا يريد أن يفسح المجال لمعاوية ليغتنمها فرصة لافتعال جو من التشنج ضد الإمام الحسين «عليه السلام»، حيث يغذيه معاوية ويؤججه، بالجدال بالباطل، ليتمكن من تبرير أي محذور يقع على الإمام الحسين «عليه السلام» الذي امتنع عن بيعته، كما تقدم.

جواب الإمام أشد وقعاً:

ولكن جواب الإمام الحسن «عليه السلام» لمعاوية كان أشدّ وقعاً على معاوية، وذلك لما يلي:

ألف: إن الكل يعلم: أنه كان من شرائط الهدنة مع معاوية: هو أن يترك سب ولعن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأن لا يذكره إلا بخير.

ب: إن نيله من علي «عليه السلام» مع وجود هذا الشرط يعدّ نكثاً للعهد، وجرأة لا مبرر لها، بل هو وقاحة ظاهرة، لاسيما وأنه فعل ذلك بحضور أبنائه «عليه السلام» في المجلس، بل زاد على ذلك: أنه نال من الإمام الحسن نفسه، وبحضوره أيضاً.

وهذا كله يجعل الناس أمام واقع شاذ تأباه النفوس، وتمجه الأذواق،

وترفضه العقول السليمة.. وسيشعر الجميع: بأن من حق الإمام «عليه السلام»، أكثر من أي إنسان آخر: أن يتصدى لهذا العدوان السافر والوقح، ويرد الصاع صاعين، والبادئ أظلم.

طريقة تصدي الإمام الحسن ×:

وإذا تأملنا في طريقة تصدي الإمام الحسن «عليه السلام» لمعاوية، فإننا نلاحظ ما يلي:

ألف: أنه «عليه السلام» بدأ كلامه بذكر اسمه فقط، واسم معاوية، ولم يشر إلى الحسين «عليه السلام» ولا إلى غيره معهما، ربما لأنه أراد أن يحصر الحوار بين الطرفين المتهادنين، لكي يبرز نكث معاوية، وغدره بشروط الهدنة.

كما أن الإمام الحسين «عليه السلام» لو تصدى لجعل ذلك ذريعة للبطش به بحجة أنه معتدٍ عليه، لأنه إنما نال من الإمام الحسن، ولم يذكر الحسين بشيء.

ب: ثم أضاف إلى ذلك.. اسم خصوص الأب، ثم الجد، لكل منهما، وخصوص اسم الأم والجدة لكل منهما أيضاً.. ولم يتجاوز هذا الحد، ربما لكي لا يحرك عصبيات بني أمية، أو يثير زهو بني هاشم، حتى لا يواجه بالتشويش، وترتفع حرارة الجو بين الفريقين.. فإن ذلك يعطي معاوية جرعة، وفرصة لاتهام الإمام الحسن «عليه السلام» بالعمل على إذكاء الفتنة بين الفريقين، ثم يستغل ذلك لإظهار مزيد من الجزم والحزم والجرأة على الإمام الحسن، وبني هاشم، ثم يتعدى الأمر إلى محبيهم ومؤيديهم أيضاً.

فإبقاء الأمر محصوراً بأشخاص بأعيانهم هو الأولى والأصح، لاسيما

وأن هؤلاء الأشخاص هم الركائز الأساسية، والمحرك الأعظم للصراع القائم بين الشرك والإيمان، والحق والباطل، والكفر والإسلام، منذ بعث الله رسوله محمداً «صلى الله عليه وآله».

ج: وقد ذكر «عليه السلام» هذه الأسماء مجردة عن أي توصيف يتضمن مدحاً، أو ذماً لهذا الفريق، أو ذاك..

وكانت قائمة أسماء أهل الحق هي:

الحسن.. علي.. فاطمة.. رسول الله.. خديجة..

وقائمة أهل الباطل هي:

معاوية.. صخر (وهو اسم أبي سفيان).. هند.. حرب.. قتيلة..

د: وبعد أن ذكر الأسماء مجردة عن أي توصيف، وضعها في مواجهة عناوين عامة أراد أن يكون انطباق العنوان على تلك الأسماء في الواقع الخارجي هو الذي يستدرج اللعن لذلك الاسم، أو يستدرج الثناء.. وهذه العناوين هي: خمول الذكر، لؤم الحسب، الشر، الكفر المتجذر، والنفاق القديم.

ثم أفرغ اللعن على هذا العنوان، ومازجه به، ليصبح العنوان هو الحامل للوباء، ثم أطلق هذه العناوين على الأسماء ليصبح تلوثها الواقعي بها هو الذي يفرغ اللعن عليها.

هـ: ولذلك قال: «فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً».

وقد أورد هذه العبارة في آخر كلامه لأسباب:

أولها: أن تصبح قضية برهانية، وتتحول من مجرد توصيف إلى كونها

من القضايا التي قياساتها معها.

الثاني: أنه «عليه السلام» لو قدَّم هذه العبارة، وبدأ بها رده على معاوية لفهمت على أنها مجرد توصيف شتائمي، يراد به التحقير والإهانة، ولم تفهم على وجهها الحقيقي..

وربما دعا ذلك معاوية وأتباعه إلى التلاعب في نقل الحديث، لأجل التستر على عمل معاوية..

وربما آثروا تقديم كلام الحسن «عليه السلام» لإظهار أنه هو المعتدي، والبادي بالشتم والإهانة لمعاوية، ويصبح الجاني هو الضحية، والضحية هو المعتدي والجاني.

الثالث: إن هذه الطريقة حرمت معاوية من الاعتراض على مضامين كلام الإمام الحسن «عليه السلام»، ولم يعد يمكنه اعتبارها كسراً لهيبة الخلافة، وحرمته أيضاً من ادِّعاء أنه قد أهين وشتم، واعتدي عليه..

آمين، آمين إلى يوم الدين:

واللافت هنا: أن الكثيرين من الذين نقلوا هذه القضية قد أمَّنوا على كلام الإمام الحسن «عليه السلام»، وكان من بينهم من هو من أركان التسنن، وأعلامه، ومشاهيره، كابن معين، وغيره.. مع أن ذلك لا يتوافق مع مذهبهم في تعديل جميع الصحابة، وهم يعدّون معاوية من الصحابة أيضاً.

وذلك لأن قول «آمين» معناه: يا رب استجب لهذا اللعن، واطرد المعنيين به من رحمتك!!

فكيف نفهم ذلك؟!.

كلاهما لي، ورغماً:

1 ـ علي بن حمدون معنعناً، عن أبي الجارية، والأصبغ بن نباتة الحنظلي قالا: لما كان مروان على المدينة خطب الناس فوقع في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام».

قال: فلما نزل عن المنبر أتى الحسين بن علي بن أبي طالب «عليهما السلام»، فقيل له: إن مروان قد وقع في علي.

قال: فما كان في المسجد الحسن؟!

قالوا: بلى.

قال: فما قال له شيئاً؟!

قالوا: لا.

قال: فقام الحسين مغضباً حتى دخل على مروان، فقال له: يا ابن الزرقاء، ويا ابن آكلة القمل، أنت الواقع في علي؟!

قال له مروان: إنك صبي لا عقل لك.

قال: فقال له الحسين: ألا أخبرك بما فيك وفي أصحابك، وفي علي؟! فإن الله تعالى يقول: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾**[1].

فذلك لعلي وشيعته، **﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾**[2]، فبشر

(1) الآية 96 من سورة مريم.

(2) الآية 97 من سورة مريم.

بذلك النبي العربي لعلي بن أبي طالب «عليه الصلاة والسلام».. ﴿**وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا**﴾، فذلك لك ولأصحابك[1].

2 ـ روى هشام بن محمد الكلبي، عن محمد بن إسحاق: أن مروان حين كان والياً على المدينة بعث رسولاً إلى الإمام الحسن «عليه السلام»، فقال له: يقول لك مروان: «أبوك الذي فرق الجماعة، وقتل أمير المؤمنين عثمان، وأباد العلماء والزهاد ـ يعني الخوارج ـ وأنت تفخر بغيرك، فإذا قيل لك: من أبوك؟! تقول: خالي الفرس.

فجاء الرسول إلى الحسن، فقال له: يا أبا محمد! إني أتيتك برسالة ممن يخاف سطوته، ويحذر سيفه، فإن كرهت لم أبلغك إياها، ووقيتك بنفسي.

فقال الحسن «عليه السلام»: لا، بل تؤديها، ونستعين عليه بالله، فأداها.

فقال له: تقول لمروان: إن كنت صادقاً فالله يجزيك بصدقك، وإن كنت كاذباً، فالله أشد نقمة.

فخرج الرسول من عنده، فلقيه الحسين «عليه السلام»، فقال: من أين أقبلت؟!

فقال: من عند أخيك الحسن.

فقال: وما كنت تصنع؟!

قال: أتيت برسالة من عند مروان.

---

(1) تفسير فرات ص253 وبحار الأنوار ج44 ص210 ـ 211 والعوالم ج17 ص89 وموسوعة كلمات الإمام الحسين ص258.

فقال: وما هي؟!

فامتنع الرسول من أدائها.

فقال: لتخبرني، أو لأقتلنك! [وفي نص ابن سعد، عن عمير بن إسحاق: لآمرنَّ بك، فلتضربن حتى لا تدري متى رفع عنك].

فقال: ارجِع.

فرجع، فلما رآه الحسن قال: أرسله.

قال: إني لا أستطيع.

قال: لم.

قال: إني قد حلفت.

قال: قد لج فأخبره الخ..

وعند محمد بن إسحاق: لتخبرني أو لأقتلنك، فسمع الحسن، فخرج وقال لأخيه: خل عن الرجل.

فقال: لا والله حتى أسمعها.

فأعادها الرسول عليه.

فقال: قل له: «يقول لك الحسين بن علي، وابن فاطمة: يا ابن الزرقاء، والداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز، صاحبة الراية بسوق عكاظ، ويا ابن طريد رسول الله ولعينه، إعرف من أنت، ومن أبوك، ومن أمك.

فجاء الرسول إلى مروان، فأعاد عليه ما قالا، وقال له: ارجع إلى الحسن وقل له: أشهد أنك ابن رسول الله، وقل للحسين: أشهد أنك ابن علي بن أبي

طالب.

فجاء الرسول إليهما وأدى.

فقال الحسين «عليه السلام» له: قل له: كلاهما لي، ورغماً»[1].

ونقول:

هنا أمور تحسن الإشارة إليها، نذكر منها ما يلي:

يا ابن الزرقاء:

قد يقال: هل يليق بالإمام الحسين «عليه السلام» أن يقول لمروان عن أمه: يا ابن الزرقاء؟! ألا يعدّ هذا سباً أو شتماً يتنزه عنه الأئمة الطاهرون؟! حيث يفترض أن يعاملوا مناوئيهم بإحدى طريقتين:

ـ إما العفو والصفح، كما فعل الإمام الحسن..

ـ أو بالحجة والدليل.

ونجيب:

بأن الوصف بالأزرق هو من الأوصاف المذمومة عند العرب[2]، كما

(1) تذكرة الخواص ج2 ص45 و 46 و (ط أخرى) ص188 والطبقات الكبرى لابن سعد ص33 رقم (227) من القسم الذي لم يطبع من الطبقات، وقاموس الرجال للتستري ج10 ص38 و 39.

(2) راجع: فيض القدير ج4 ص94 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص288 والمبسوط للسرخسي ج9 ص126 وبحار الأنوار ج1 ص153 وج13 ص213 وج28 ص237 وج35 ص336 وج49 ص252 وج72 ص178 وج83 ص224

هو مذموم في الشرع الشريف أيضاً[1]..

وأن الإمام الحسين «عليه السلام» إنما خاطب مروان بهذا ليكون من باب الحجة والدليل عليه..

فمثلاً: لو أن ابن الزنا ادّعى النبوة أو الإمامة، وضلل الناس، ولم يمكن ردعه إلا بالإعلان عن نسبه، أو عن بعض شناعاته التي يدرك الناس أنها لا يمكن أن تكون في نبي أو إمام، لجاز ذلك، أو وجب، إن توقف الإصلاح عليه.

وكذلك الحال بالنسبة لمن ينال من الأنبياء، والأوصياء بالافتراءات، والتجنيات، ويسعى لإسقاط مقامهم، وصد الناس عنهم، فإن لم يمكن ردعه، أو لم يمكن منع الناس من التأثر به والانحياز إليه، واتِّباعه فيما يقول ويفعل إلا بإظهار بعض ما فيه، وكشف الستار عنه لهم، وجب فعل ذلك، ولا محذور فيه، بل يكون هذا الفعل من القربات والعبادات، وهو خدمة

وج84 ص275 ووفيات الأعيان ج7 ص38 وتفسير البيضاوي ج4 ص70 وتفسير أبي السعود ج6 ص41 وتفسير الآلوسي ج16 ص260 وتفسير البحر المحيط ج6 ص258 وقصص الأنبياء للجزائري ص306 ومجمع البحرين ج2 ص275 والميزان (تفسير) ج14 ص209.

(1) راجع: المحاسن للبرقي ج1 ص113 وثواب الأعمال ص238 و (منشورات الشريف الرضي) ص267 وجامع أحاديث الشيعة ج8 ص446 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص69 وج6 ص133 والفصول المهمة للحر العاملي ج3 ص260 والخصال للصدوق ج1 ص54 و 107 و 138 و (ط مركز النشر الإسلامي) ص224 وبحار الأنوار ج93 ص151 وج69 ص210 وج72 ص345 وج76 ص29 و 68 وج101 ص79 وج5 ص277.

للدين، وصيانة للمسلمين.

تهديد الحسين × مبعوث مروان:

وذكرت الرواية: أن حامل رسالة مروان رفض البوح للحسين «عليه السلام» بمضمون الرسالة.. ومن حقه أن يفعل ذلك، وليس لأحد أن يلزمه بالبوح لغير من وجِّهت الرسالة إليه.

ويتأكد هذا الحق لحامل الرسالة إذا كان الذي أرسلها ممن يخاف سطوته، ويحذر سيفه، كما صرح به مبعوث مروان..

فما معنى أن يهدِّد الإمام الحسين «عليه السلام» ذلك الرجل بالقتل، إن لم يخبر بمضمون الرسالة التي جاء بها؟!

ونجيب:

بأن مروان إذا كان والياً على المدينة، ويشعر بفائض القوة لديه، وكان يبغي الغوائل للإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام»، فإن من الطبيعي أن يبقى الحسن والحسين وأنصارهما في موقع الحذر والتأهب لأي حادث، ويحتم ذلك عليهم، السعي للاطلاع على أصغر الأشياء، وأدق التفاصيل، والإحاطة بسائر تحركات الأعداء.

فكان تقرير الحسين «عليه السلام» لذلك الرجل، ومحاولة معرفة مضمون الرسالة المروانية هو ما يمليه عليه الواجب، وليس تدخلاً فيما لا يعنيه، فإنه هو المعني بالأمر أكثر من أي إنسان آخر، فإن الضرر الذي يلحق بالحسن «عليه السلام» هو ضرر بالحسين أيضاً، وبالأمة جمعاء.. ولو قصر في ذلك قيد شعرة، وحدث شيء لكان هو المطالب والمحاسب على تقصيره عند الناس،

وعند الله تعالى.

إذا كان ذلك الرجل يكتم أمراً يكون كتمانه سبباً في تعريض حياة الإمام للخطر، فإنه يجوز تهديده بالقتل لأن حفظ الإمام «عليه السلام» هو الأهم.

أليس سؤال الحسن أولى؟!:

ويبقى هنا سؤال يقول: لماذا تعلق الإمام الحسين بمبعوث مروان؟ ألم يكن بإمكانه أن يسأل أخاه عن مضمون الرسالة، فإن أخاه لا يخفي عنه شيئاً، فكيف يخفي عنه أمراً خطيراً لا بد أن يتعاون مع أخيه للتحرز منه؟!

ونجيب:

بأن الإمام الحسن «عليه السلام» هو الإمام القائم بالأمر فعلاً، وقد تقتضي المصلحة أحياناً كتمان ما هو خطير أيضاً، ولو إلى حين.

ونذكر من ذلك حالتين هنا:

الأولى: أنه قد يكتم الأمر عن أخيه إذا رأى أن المصلحة تقضي بأن يعلمه من غيره.

الثانية: أن يكون «عليه السلام» قد رأى أن التعامل مع مروان ينبغي أن يكون باتجاهين:

أحدهما: وفق ما يقتضيه مقام الإمامة الفعلية من الرفق واللين، لكي يظهر للناس التفاوت بين أخلاق، وتعامل، ومناهج، وسياسات أهل الباطل، القائمة على التزوير، والافتراء، والتشهير، والتعدي، وبين سياسات وأخلاق، وقيم، وتعامل أهل الحق، الذي هو تعامل إنساني ملتزم بأحكام الدين، وبأعلى درجات التحمل، والصبر، والرفق.

فإذا رأى الناس أن هذا الرفق يقابل بالحقد، والشغب يقابل بالتحمل والحلم، والعدوان يقابل بالصفح.. فإن ذلك سوف يمكِّن الناس من إدراك التفاوت بين النهجين، وبين طهر وطيب النوايا لدى أهل البيت وأتباعهم، وبين خبث، وسوء نوايا وحقد ورعونة أعدائهم.

ولو أن الإمام الحسن هو الذي أخبر أخاه الحسين بمضمون الرسالة، فإن أي موقف وحركة للإمام الحسين «عليه السلام» سوف تحسب وتنسب للإمام الحسن «عليه السلام»..

وبذلك تنزع عن الإمام الحسين صفة الناصر للإمام أو المدافع عن المظلوم، والحافظ له، والملتزم بالواجب الإلهي الذي يدعوه لتمريغ أنف الظالم والمعتدي بتراب الخزي والمذلة، ويفضح خططه الخبيثة، ويظهر خفاياه.

فإن ذلك من شأنه أن يحد من غلوائهم..

الحسين لا يعصي أمر أخيه:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الإمام الحسن «عليه السلام» طلب من أخيه أن يرسل (يترك) ذلك الرجل، فقال: إني لا أستطيع.

قال: لم؟!

قال: إني قد حلفت.

فقال الإمام الحسن: قد لج، فأخبره..

وعند محمد بن إسحاق: أن الإمام الحسن قال لأخيه: خلّ عن الرجل!

فقال: لا والله، حتى أسمعها.

فكيف يرفض «عليه السلام» طلب أخيه، وهو:

أولاً: أخوه الأكبر؟!

وثانياً: هو إمامه الفعلي المنصوب من قبل الله ورسوله؟!

فإذا كان رفض طاعة الإمام معصية لله، فهل يكون هذا الرفض الذي هو معصية، مطلوباً بحكم القسم؟! وهل يحوِّل القسم هذه المعصية للإمام إلى طاعة لله؟!

ولماذا لا يكون أمر الإمام لأخيه بإرسال ذلك الرجل موجباً لانحلال اليمين؟! لأنه نهاه عن متعلقه.

وقد يتشبث البعض بجواب الإمام الحسين لأخيه بأنه لا يستطيع إطلاق سراحه، لأنه قد حلف.

غير أننا نقول له:

إن الإمام إذا كان يعلم: أن الوالد إذا نهى ولده عن فعل ما أقسم عليه انحل يمينه، وذلك بحكم ولايته على ولده، وأبوته له، فهو «عليه السلام» يعلم: أن الإمام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأن ولايته فوق ولاية الأب وغيره. وهي حاكمة عليها، فكيف لم تؤثر في هذا المورد؟!

وهل يعقل أن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يكن يعرف هذا الأمر، مع أنه هو وأخوه أعلم أهل الأرض؟!

بل يفترض ـ على الأقل من جهة كمال أدب الحسين مع أخيه ـ أن يلتفت إلى أنه لا ينبغي أن يحلف على أمر يرتبط بأخيه الإمام قبل أن يراجعه فيه.

وهل يتلاءم هذا مع قول الإمام الباقر «عليه السلام»: إن الحسين لم

يتكلم بين يدي أخيه قط، إعظاماً له[1].

أنت صبي لا عقل لك:

1 ـ ومن المعلوم: أن عمر الإمام الحسين «عليه السلام» ربما كان آنئذ ما بين أربعين وست وأربعين سنة، فهل يعقل أن يقول مروان لمن بلغ هذا السن: أنت صبي لا عقل لك؟!

وهل سيجد مروان من يصدقه في هذا الزعم الغريب والعجيب؟!

ولو فرض أنه أراد أنه صبي في تفكيره وتدبيره، فهل يستطيع أن يقدم شاهداً مهما صغر على أي تصرف صدر من الإمام الحسين طيلة حياته يشبه تصرف الصبيان، أو يشبه تصرف المجنون الذي لا عقل له؟!

إلا إذا قال ذلك مروان على سبيل السب والشتم، والإهانة بهدف الأذى والتحقير.

2 ـ إننا نرى: أن مروان لم يكن يستطيع أن يدفع بالأمور تصاعدياً، إلى حد تجاوز الحدود، والاصطدام المدمر مع الحسن والحسين «عليهما السلام»، لأنه محكوم بما يفرضه عليه معاوية، الذي لم يكن يرضى ببلوغ الأمور إلى هذا الحد، في ذلك الظرف بالذات، لأنه يحمل معه أخطاراً جسيمة لم يكن معاوية ولا غيره قد أعد لها ما يدفع غائلتها.

3 ـ ويمكن تفسير تراجع مروان، حين بلغته رسالة الإمام الحسين

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص169 والعوالم ج16 ص100 وبحار الأنوار ج43 ص319.

«عليه السلام» له، وكانت بالغة القسوة: بأن مروان فهم منها: أن الأمر يتجه نحو التصعيد الخطر.

ونحن نعلم: أن مروان كان يعرف ما معنى غضب الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام»، وقد رأى طرفاً من شجاعتهما النادرة في حرب الجمل، التي وقع هو فيها أسيراً، وقد شفع له الحسنان عند أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكانا سبب نجاته.

كما أنه قد عاين بعض مواقفهما في صفين بعد ذلك.. وكانا في كلتا هاتين الحربين في موقع القيادة التي تحتاج إلى الحكمة والتدبير، والشجاعة النادرة.

الخوارج زهَّاد وعلماء:

وقد وصف مروان الخوارج بأنهم زهَّاد وعلماء.. غير أننا ذكرنا في كتابنا «علي «عليه السلام» والخوارج» أن الخوارج كانوا على النقيض من ذلك تماماً، فهم أخفاء الهام، سفهاء الأحلام، يقرأون القرآن، ولا يجاوز تراقيهم، فمن يكون كذلك هل يكون عالماً؟! وغباؤهم وجهلهم، هو مما قامت عليه الدلائل والشواهد الكثيرة، وقد ذكرنا شطراً من ذلك في كتابنا المشار إليه..

وأما زهدهم في الدنيا، فذلك أيضاً من الأباطيل والشائعات التي كان أعداء علي «عليه السلام» يطلقونها ويشيعونها بهدف التشنيع على أمير المؤمنين أيضاً، لأنه قتلهم.

والشواهد على طمعهم وحرصهم على الدنيا كثيرة أيضاً.. فراجع ذلك الكتاب.

وهذا هو حالهم في جميع ما نسب إليهم، كوصفهم بالشجاعة، أو بأنهم

عباد، أو أنهم صادقون وغير ذلك..

ولو أن مروان عرف أنه سيكون لهم دور قوي في إضعاف الحكم الأموي، حتى تمكن العباسيون من إسقاطه، فلربما سمعنا منه كلاماً آخر فيهم.

غير أن خبث مروان، وحرصه على إيذاء الحسن والحسين في أبيهما هو الذي دعاه إلى اطلاق هذه الأراجيف والأباطيل.

خالي الفرس:

وزعم مروان: أن الإمام الحسن «عليه السلام» يفخر بغيره، فإذا قيل له: من أبوك، يقول: خالي الفرس. وهذا كلام غريب، ألم يكن الحسن «عليه السلام» من جملة من نزل فيهم قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾(1).

وآية التطهير: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(2). وكذلك آية المباهلة، وسورة هل أتى.. وغير ذلك كثير..

وألم يقل النبي «صلى الله عليه وآله» في حقه، وحق أخيه: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

وقال: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

وقال: هما ريحانتاي من الدنيا؟!

وألم يشاركا في حربي الجمل وصفين، كقائدين فاعلين، فسطَّرا فيهما

(1) الآية 23 من سورة الشورى.

(2) الآية 33 من سورة الأحزاب.

ملاحم تذكر، وحققا إنجازات تؤثر؟!

فلماذا يريد مروان تكذيب هذه الحقائق وتجاهلها، واعتماد الأباطيل والأضاليل؟!

ابن النبي، وابن علي:

1 ـ وحين خاف مروان من تطور الأمور إلى أن تبلغ حداً يغضب معاوية، وربما أوغل الإمام الحسين في إشهار فضائحهم، وإظهارها.. آثر التراجع بصورة خبيثة، وبدا كأنه يخلط الجد باللعب حين زعم: أن الحسن ابن النبي، والحسين ابن علي..

ولكنه في الحقيقة كان يريد أن يتهم علياً والحسين بالدموية، وحب المغامرة، والرغبة في القتل، وسفك الدماء، والعدوان، وأنهما لا يحسبان حساباً لشيء إلا تلبية رغبتهما هذه، وإرضاء حس الانتقام لديهما..

أما الحسن، فهو رجل سلام، وسماحة، وصفح، ولين، ورفق، واتزان، وحلم، وعفو، فهو ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لشبهه به في صفاته هذه.

مع أن هذا يخالف كلام رسول الله في عشرات المواقف عن أن الحسن والحسين «عليهما السلام» ابناه «صلى الله عليه وآله»، وآية المباهلة أيضاً تؤكد بنوتهما معاً للنبي، وليس ثمة ما يوجب التفريق بينهما من هذه الناحية.

ويخالف القرآن الذي يقول في آية المباهلة: إن علياً هو نفس النبي.

2 ـ وقد فنَّد الإمام الحسين «عليه السلام» كلام مروان هذا حين أرسل إليه يقول: «كلاهما لي، ورغماً» أي أن غضب علي والحسين «عليهما السلام» ليس لأمر شخصي لهما، بل هما يغضبان لله سبحانه، وليس هو غضب دموية

وانتقام وعدوان، بل هو غضب للحق، ونصرة له، ولكرامات الناس، وكراهة ومقتاً للباطل.

وهذا غضب يحبه الله ورسوله، ويشاركهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه، بل هو الأسوة والقدوة لهما في ذلك.

وهو من الأمور التي يثيب الله عليها، وهو غضب من يصفح عن المذنبين سواء في ذلك من ندم على ذنبه وتاب منه، ومن لم يندم، وأصر عليه كما هو حال مروان صفح عنه علي وابناؤه «عليهم السلام» في حرب الجمل بالرغم من أنه لم يتب من ذنبه..

وقد أعلن علي نفسه عن هذا الأمر في لحظة صفحه عنه، حيث قال: «لو بايعني بيده لنكث بسبته» أو نحو ذلك..

صلاة الحسنين خلف مروان:

1 ـ استدل فقهاء أهل السنة على جواز الصلاة خلف الفاسق بأن الحسن والحسين «عليهما السلام» قد صلَّيا خلف مروان[1].

2 ـ روى الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر، عن أبيه «عليهما السلام»، قال: كان الحسن والحسين «عليهما السلام»، يصليان خلف مروان بن الحكم، فقالوا لأحدهما: ما كان أبوك يصلي إذا رجع إلى البيت؟!

(1) تذكرة الفقهاء ج4 ص281 و282 والسنن الكبرى للبيهقي ج3 ص122 والمغني لابن قدامة ج2 ص25 والشرح الكبير (بهامش المغني) ج2 ص260 ومعرفة السنن والآثار ج2 ص399 و 400 وكتاب الأم للشافعي ج1 ص185 وراجع: البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي سنة 1408هـ) ج8 ص283.

فقال: لا والله ما كان يزيد على صلاة[1].

وفي بعض المصادر: «على صلاة الآية».

وفي مصادر أخرى: «صلاة الأئمة». ولعل كلمة الآية تصحيف عن كلمة الأئمة.

3 ـ عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام»: قد كان الحسن والحسين «عليهما السلام» يصليان خلف مروان، يبتدران الصف، وإن كان الحسين ليسبه، وهو على المنبر، حتى ينزل[2].

4 ـ وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: «كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان، ويعتدان بالصلاة معه»[3].

وقال المحقق في المعتبر:

«احتج الجمهور: بقوله «عليه السلام»: «صلوا خلف من قال: لا إله

---

(1) النوادر للراوندي ص163 وبحار الأنوار ج44 ص123 وج85 ص92 وراجع: الجعفريات ص53 ومستدرك الوسائل ج6 ص456 والمسند للشافعي ص55 و 56 والسنن الكبرى للبيهقي ج3 ص122 والمصنف لابن أبي شيبة ج2 ص271 ومعرفة السنن والآثار ج2 ص399 و 400 وعمدة القاري ج5 ص230.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج1 ص408 وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص38 وتاريخ مدينة دمشق ج54 ص290 وسير أعلام النبلاء ج4 ص406.

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج1 ص410 و 493 وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص38.

إلا الله»، وبقوله (تعالى): ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾(1). وهو يعلم أن من الولاة الفسقة.. ولأن الحسن والحسين «عليهما السلام» كانا يصليان مع مروان.

والجواب يحتمل الخبر، إذا لم يعرف منه فسق، وأظهر كلمة الإسلام، فإن خبرنا خاص، وهو مقدم على العام.

والآية دالة على السعي، ولا تدل على حال الإمام.

وصلاة الحسن والحسين «عليهما السلام» حكاية حال، فلعل ذلك لقهرهما بسلطانه، كما تضمنه خبر جابر، ويمكن أن يكون بعد صلاتهما في منازلهما»(2).

ونقول:

1 ـ نلاحظ: أن مصادر النصوص المتقدمة هي لغير الشيعة في أكثرها، ولعل ما في بعض كتب الشيعة كالنوادر للراوندي والجعفريات، والبحار نقلا عنهما قد أخذوه من كتب غير الشيعة أيضاً..

2 ـ إن الفتوى المعروفة والمعمول عليها عند أكثر أهل السنة هو جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر، فلا تشترط العدالة في إمام الجماعة عندهم. وهي شرط في إمام الجماعة في مذهب أهل البيت «عليهم السلام». إلا في مورد التقية.

ويبدو: أن مستندهم في ذلك: هو ما رووه عن رسول «صلى الله عليه وآله»، من أنه قال: صلوا خلف كل بر وفاجر(3).

---

(1) الآية 9 من سورة الجمعة.

(2) المعتبر ج2 ص306.

(3) راجع: سنن أبي داود، كتاب الصلاة، الباب 63 وجامع الخلاف والوفاق ص84

ورووا أيضاً: «صلوا خلف من قال: لا إله إلا الله»، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ**﴾، فإن الذين ينادون للصلاة يوم الجمعة أكثرهم من الولاة الفسقة.

ولكي يتعزز هذا الاتجاه، فقد حاولوا تأييد ما ذهبوا إليه بنسبة ذلك إلى الحسن والحسين «عليهما السلام»، وأنهما كانا يصليان خلف مروان، ولا يعيدان الصلاة.

وهنا ملاحظات:

أولاً: أن ذلك يستبطن اعترافهم بصورة ضمنية: بأن مروان بن الحكم

وفتح العزيز للرافعي ج4 ص331 والمجموع للنووي ج5 ص268 ومغني المحتاج للشربيني ج3 ص75 والمبسوط للسرخسي ج1 ص40 وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج1 ص229 وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج1 ص156 والجوهر النقي للماريني ج4 ص19 والبحر الرائق لابن نجيم المصري ج1 ص610 وتلخيص الحبير ج4 ص331 ونيل الأوطار ج1 ص429 وشرح أصول الكافي ج5 ص254 والمسترشد للطبري، والإفصاح للشيخ المفيد ص202 والمسائل العكبرية للشيخ المفيد ص54 والطرائف لابن طاووس ص232 وعوالي اللآلي ج1 ص37 والسنن الكبرى للبيهقي ج4 ص19 وعمدة القاري للعيني ج11 ص48 وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص145 وسنن الدارقطني ج2 ص44 وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج1 ص256 و 257 ونصب الراية ج2 ص33 و 34 والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج1 ص168 والجامع الصغير للسيوطي ج2 ص97 وكنز العمال ج6 ص54 وكشف الخفاء للعجلوني ج2 ص29 و 32 وشرح السير الكبير للسرخسي ج1 ص156.

فاسق.. مع أنه ولد في السنة الثانية، أو الرابعة للهجرة، فيكون صحابياً، إن كان قد رأى النبي «صلى الله عليه وآله» مميزاً وفق تعريفهم للصحابي.. وهم يحكمون بعدالة الصحابي، وأنه لا يفسق بما يفسق به غيره، وغير ذلك.

ثانياً: ادِّعاء أن الحسنين «عليهما السلام» كانا يصليان خلف مروان، ولا يعيدان صلاتهما..

وهذا يدل على أنهم يعرفون أن من مذهب أهل البيت هو عدم جواز الصلاة خلف الفاسق اختياراً.

ثالثاً: إن ما ذكروه حول الحسنين «عليهما السلام» والصلاة خلف مروان يحتاج إلى إثبات أمور، هي:

الأول: إثبات صحة: أنه كان يصلي خلف مروان.

الثاني: إثبات أنه كان لا يعيد صلاته.

الثالث: إثبات أن صلاته خلف مروان لم تكن على سبيل التقية، دفعاً للضرر والخطر، فإن الولاة، خصوصاً عتاتهم كانوا يفرضون على الناس، ولاسيما الكبار والأعيان والخصوم أموراً، إن لم يلتزموا بها، فإنهم يعتبرونهم مصدر خطر، ويتهمونهم بالتآمر عليهم، والتدبير بالقيام ضدهم.

ومن المعلوم: أن من مذهب أهل البيت: أن الصلاة التي يؤتى بها تقيَّة من الظالم، بوضوء لا يرونه صحيحاً، أو مع التكتف، أو غير ذلك مما لا يجوز في مذهب المصلي ـ إن هذه الصلاة ـ لا تحتاج إلى إعادة إذا كان المال، أو العرض، أو النفس، أو الأهل والمحبون مثلاً، أو الشيعة في خطر.

الرابع: إن حضور الجماعة لا يعني الائتمام بالإمام، فقد يصلي بصلاته

على سبيل المتابعة، وتطبيق الفعل على الفعل صورياً في مرحلة الظاهر..

الخامس: إثبات أن القول بأنهما كانا لا يعيدان صلاتهما، مستند إلى المشاهدة.

أما إذا كان مستنداً إلى الاعتماد على ظواهر الأمور، التي تأخذ بالقول: صلوا خلف كل بر وفاجر، وتطبقه على من يصلي في الجماعة، فلا يجدي ذلك شيئاً.. لاسيما مع تصريح أهل البيت «عليهم السلام» بعدم جواز الائتمام بالفاسق.

على أن المراقبة، مهما كانت دقيقة، فإنها لا تستطيع أن تصل إلى درجة القطع واليقين، على أنه لم يعد في أي لحظة من لحظات وقت الصلاة الموسع. فإنه قد يتمكن من أن يختلي بنفسه في داخل بيته طيلة ذلك الوقت، ولو لدقائق يسيرة، ويؤدي ما يجب عليه بنحو أو بآخر..

السادس: إنه لا بد من إحراز: أن السؤال والجواب، والمقصود بالخطاب في حديث صلاة الحسنين خلف مروان هو خصوص الصلاة اليومية، مع أن المقصود بالرواية الثالثة المتقدمة هو صلاة الجمعة، وهي ركعتان، فهي تشبه النافلة في عدد ركعاتها، فيمكن أن يؤديها بنيّة النافلة خلف مروان، ثم يكون الإمام «عليه السلام» في سعة من أمره في كيفية إفراغ ذمته منها، إن اجتمعت شرائطها، أو من الظهر إن لم تجتمع الشرائط.

السابع: إن رواية الراوندي غير ظاهرة المعنى، حيث تقول: فقالوا لأحدهما: ما كان أبوك يصلي إذا رجع إلى البيت؟!

قال: لا والله..

فمن هذان اللذان قيل لهما ذلك؟! فإن كانا هما الحسنان «عليهما السلام»،

فهذا يعني: أن السؤال هو عن أبيهما علي «عليه السلام»..

إلا أن يقال: إن في الرواية سقطاً، أو أنه سأل ابن الحسن أو الحسين عن أبيه.

فيرد على الاستدلال بهذه الرواية: أن الابن قد لا يتواجد في البيت في جميع اللحظات، وهو كثيراً ما يكلف بقضاء الحاجات، كما أنه لا يهجم على أبيه في أوقات الخلوات.

الحسنان يتهاجران:

1 ـ عن أبي الحسن المدائني أنه قال: جرى بين الحسن بن علي وأخيه الحسين كلام حتّى تهاجرا، فلمّا أتى على الحسن ثلاثة أيّام تأثّم من هجر أخيه، فأقبل إلى الحسين وهو جالس، فأكبّ على رأسه فقبّله.

فلمّا جلس الحسن، قال له الحسين: إِنَّ الَّذي مَنَعَني مِنْ إِبْتِدائِكَ وَالْقِيامِ إِلَيْكَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِالْفَضْلِ مِنّي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُنازِعَكَ ما أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ[1].

2 ـ عن الرضا «عليه السلام» قال: اهتجر الحسن والحسين «عليهما السلام»، فجاء محمد ابن الحنفية إلى الحسين «عليه السلام»، فقال: يا أبا عبد الله، ألا تذهب إلى أبي محمد، فإن له سناً؟!

فقال له الحسين «عليه السلام»: سمعت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: ما متهاجران يبدأ أحدهما صاحبه بالسلام إلا كان البادئ

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص181 وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر ص152 و (ط مجمع إحياء الثقافة الإسلامية سنة 1414هـ ق) ص219 وبغية الطلب لابن العديم ج6 ص2591.

السابق إلى الجنة، وقد كرهت أن أسبق أبا محمد إلى الجنة.

قال: فمضى محمد إلى الحسن «عليه السلام» فأخبره، فقال: صدق أبو عبد الله، اذهب بنا إليه[1].

ونقول:

1 ـ صرحت الرواية بوقوع التهاجر بين الحسنين «عليهما السلام»، ولم تذكر لنا سببه، ولكن مما لا شك فيه: أن الرواية تدَّعي أن شيئاً حصل بينهما، ناشئ إما عن سوء تصرف أحدهما مع الآخر، أو بسبب خلاف في الرأي، والتصلب في المواقف إلى حد اعتبار هذا التصلب إهانة مرفوضة للطرف الآخر، أو بسبب خلاف على حقوق، أو تقصير في واجبات، أو ما إلى ذلك. مما يدخل في دائرة التعدي على حدود الشريعة، والأخلاق، او مما لا يتوقع من أمثالهما..

وكل ذلك تنفيه آية التطهير المباركة، مع تصريح بعض النصوص المروية عن النبي «صلى الله عليه وآله» بعصمتهما «عليهما السلام»، بالإضافة إلى نحو قوله «صلى الله عليه وآله» لهما: «أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة»[2]. وغير

(1) مشكاة الأنوار للطبرسي ص365 وراجع: ربيع الأبرار للزمخشري ج3 ص89.

(2) نزهة المجالس ج2 ص184 و (ط القاهرة) ج2 ص228 والإتحاف بحب الأشراف ص129 وإثبات الهداة ج5 ص52 والمحتضر لابن سليمان الحلي ص179 وكشف الغمة ج2 ص129 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص666 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج9 ص251 وج33 ص292 عن مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة (ط دار ابن كثير دمشق وبيروت) ص191.

ذلك مما تقدم معنا في ثنايا هذا الكتاب..

فإن نفس جعل النبي «صلى الله عليه وآله» مقام الإمامة لهما ينفي ذلك كله، فالإمامان معصومان عن ذلك كله، ولو لم يكن كذلك لم يستحق الإمامة، فلا سوء أخلاق، ولا خلاف في الرأي، ولا قصور ولا تقصير في حق أحد، ولا تعدي حدود الشريعة، وهو لا يخطئ ولا ينسى، وهو لا.. ولا.. بل يكون رضياً طاهراً، زاكياً، نقياً من كل سوء وعيب، واختلال..

أنت أحق بالفضل مني:

تقول الرواية المتقدمة: بأن الحسين «عليه السلام» اعتذر عن المبادرة إلى مصالحة أخيه، وعن بقائه جالساً حين دخل عليه أخوه الأكبر: بأن أخاه أحق بالفضل منه.. فكان ينتظر المبادرة منه.

ونقول:

أولاً: إن الأخ الأكبر سناً هو إمام للحسين «عليه السلام»، مفترض الطاعة عليه.. ولمقام الإمامة العظمى منزلته، وله احترامه العظيم، وهو أكبر وأجلّ وأولى بالرعاية من موضوع الأخوة، أو الأكبرية في السن، ولذا يجب طاعة الإمام، ولا تجب طاعة الأخ الأكبر، والإمام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وليس كذلك الأخ، ولا الأب.

ثانياً: إن الحديث الذي تدَّعي الرواية أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد استدل به على عدم مبادرته لمصالحة أخيه إنما تحدث عن خصوص المبادرة والبدء بالمصالحة، ولم يتعرض لموضوع رعاية الأدب، والقيام إجلالاً للأخ الأكبر، الذي يعدّ عدم فعله تقصيراً في حق القادم عليه أيّاً كان، فما بالك إذا

كان أخاً، وكان هو الأكبر؟! وما بالك إذا كان إماماً واجب الطاعة أيضاً؟!

ثالثاً: إن بقاء الحسين جالساً فيه كسر لهيبة أخيه، وحط من كرامته، وتوهين له، ولا أقل من أنه تفريط بحق أخيه، ولا يليق بالإمام الحسين «عليه السلام».

رابعاً: إن من المعلوم: أن التهاجر بين المؤمنين، فضلاً عن تهاجر الأخوين، وإضافة إلى كون الإمام الحسن «عليه السلام» هو الأكبر سناً.. وفوق ذلك: أن يهجر المأموم إمامه الذي تجب طاعته، ونصرته، ومحبته..

إن ذلك من المحرمات التي نهى عنها الشارع، وأمر بالإقلاع عنها، في كل لحظة قبل التي بعدها..

وأما مجيء الأكبر لمصالحة الأصغر، فهو فضل، وأمر راجح في نفسه، ولكن لا يجوز ارتكاب الحرام للحصول على أمر راجح، لأن مزاحمة الحرام له تفقده رجحانه، وتجعله في دائرة الحرمة.

خامساً: تقدم أكثر من مرة عن الإمام الباقر «عليه السلام»، أنه قال: ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له؟![1].

فهل الإعظام والإكرام إلى حد الامتناع عن الكلام في محضره، يبقي مجالاً للتهاجر بين هذا المكرم والمعظم لأخيه، وبين ذلك الأخ الأكبر، والإمام المقدم؟!

ملاحظة: إن تقدم الإمام الحسن على الحسين «عليهما السلام» في الإمامة

---

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص169 وبحار الأنوار ج43 ص319 والعوالم ج16 ص100.

لا يفرق فيه بين ما قبل وفاة أبيهما، وما بعدها.. وقد يشعر بهذا المعنى أيضاً قوله «صلى الله عليه وآله»: «قاما أو قعدا»، إذا عممنا القعود إلى ما كان سببه عدم حضور وقت الفعلية، والتنجيز، كشموله لصورة منع الظالمين لأي منهما من ممارسة مهامه.

وددت أن لسانك لي، وقلبي لك:

زعموا: أن الحسين «عليه السلام» قال يوماً لأخيه الحسن «عليه السلام»: «يا حسن، وددت أن لسانك لي وقلبي لك»[1].

ونقول بعد تسجيل ملاحظة حول مناداة الحسين «عليه السلام» لأخيه بكلمة: «يا حسن»، الخالية من أي تكريم، ولو على سبيل المجاملة:

لا شك في أن هذا الكلام مكذوب على لسان الإمام الحسين «عليه السلام»، وذلك لما يلي:

أولاً: إنه يتضمن اتهاماً صريحاً من الإمام الحسين «عليه السلام» : بأن الإمام الحسن «عليه السلام» كان ضعيف القلب، جباناً، رعديداً، أو نحو ذلك. وهذا كلام جارح، ومؤذٍ، ولا يمكن صدوره من إمام مطهر معصوم، بدون سبب في حق أخيه، وإمامه، الذي يجب عليه تكريمه وتعظيمه وتفخيمه.

ثانياً: إن هذا الكلام مخالف للواقع، وتكذبه الوقائع، فقد أبلى هو وأخوه الإمام الحسن «عليهما السلام» بلاءاً حسناً وعظيماً في حربي: الجمل وصفين،

---

(1) كشف الغمة ج2 ص206 و (ط دار الأضواء) ج2 ص241 وبحار الأنوار ج44 ص195 والعوالم، الإمام الحسين ص64 والمحجة البيضاء ج4 ص227.

وكان موقعهما القيادي فيهما من أخطر المواقع، التي تحتاج إلى شجاعة نادرة، وجرأة وعزيمة قاهرة.

ولم يذكر لنا تاريخ جهاد الإمام الحسن «عليه السلام» أي شيء، صغيراً كان أو كبيراً، يشير إلى ضعف، أو تردد، أو نكول، أو ما إلى ذلك.

كما أننا لم نجد ما يدل على رجحان جهاد الإمام الحسين «عليه السلام» على جهاد أخيه.

ثالثاً: إن هذا النوع من التعامل القاسي وغير اللائق لا يصدر من ذوي الأخلاق الحميدة، وأهل الكرامة، والشهامة، خصوصاً إذا كان بلا سبب ولا موجب.

رابعاً: إن سكوت الإمام الحسن «عليه السلام» عن رد كلام أخيه، وعن تسجيل أي تحفظ عليه، بالرغم من ظهور عواره، وأنه لا حقيقة له.. هو الآخر لا يمكن تبريره، فإن دفع الإنسان التهم عن نفسه أمر يحبه الله تعالى، فلماذا سكت «عليه السلام» عن ذلك؟!

الباب الرابع

شهادة الإمام في فصول..

الفصل الأول

مسممة الأزواج..

بداية:

هناك أخبار كثيرة صرحت: بأن الله تعالى قد أخبر بشهادة الإمام الحسن «عليه السلام»، كما أن جبرئيل، والنبي «صلى الله عليه وآله»، وعلياً، والحسن، والحسين «عليهم السلام» ـ كل هؤلاء ـ قد أخبروا بشهادته أيضاً في مناسبات مختلفة، نختار منها إحداها، وهي التالية:

روي عن الإمام الصادق عن آبائه «عليهم السلام»: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قال لأهل بيته:

إني أموت بالسم كما مات رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قالوا: ومن يفعل ذلك؟!

قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث، فإن معاوية يدس إليها، ويأمرها بذلك.

قالوا: أخرجها من منزلك، وباعدها من نفسك.

قال: كيف أخرجها، ولم تفعل بعد شيئاً؟! ولو أخرجتها ما قتلني غيرها. وكان لها عذر عند الناس[1].

---

(1) راجع: الخرائج والجرائح ج1 ص241 وبحار الأنوار ج44 ص153 مناقب آل أبي طالب ج4 ص8 وعن تسلية المجالس وزينة المجالس ص299 وعن إثبات الهداة ج5 ص150 ح 12 والعوالم ج16 ص90 و 271.

زاد ابن شهرآشوب قوله: فلما ذهبت الأيام، حتى بعث معاوية إلى امرأته قال: فقال الحسن: هل عندك من شربة لبن؟!

فقالت: نعم. وفيه ذلك السم بعث به معاوية.

فلما شربه وجد مسّ السم في جسده، فقال: يا عدوة الله، قتلتيني قاتلك الله.

أما والله، لا تصيبين مني خلفاً، ولا تنالين من الفاسق عدو الله اللعين خيراً أبداً[1].

ونقول:

إننا نلاحظ ما يلي:

1 ـ إن تحديد تفاصيل ما يجري، وذكر أسماء المشاركين في جريمة قتل الإمام «عليه السلام»، وذكر طبيعة اتصالاتهم، ووسائل عملهم ومضامينها، لا يدع مجالاً للشك في أن ما يقوله «عليه السلام» ليس أمراً مستنبطاً بالاجتهاد والرأي، أو استقراء الأحداث، بل هو علم من ذي علم، مطلع على الغيب، عالم بالدقائق والتفاصيل، وهو أمر لا يناله إلا نبي، أو وصي نبي مطهر، معصوم، كالإمام الحسن، وأخيه الحسين «عليهما السلام».

2 ـ وتخصيص الإمام الحسن «عليه السلام» أهل بيته بهذا الخبر بالرغم

---

(1) كشف الغمة ج2 ص206 و (ط دار الأضواء) ج2 ص241 وبحار الأنوار ج44 ص154 وج43 ص327 والعوالم ج16 ص90 وج17 ص64 والمحجة البيضاء ج4 ص227 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص8 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص157.

من مرارته بالنسبة إليهم، لعله لتهيئتهم لاستقبال الحدث ببصيرة ووعي ومسؤولية، فلا تذهب بهم الأوهام والاحتمالات يميناً أو شمالاً ـ فربما وقعوا في خطأ تجاه بريء، أو حاولوا استنباط الشواهد والدلالات ما لا يفي في دلالته أو إشارته بالمطلوب.

كما أنه «عليه السلام» لو أعلن ذلك على الملأ العام، فربما تلقى الكثيرون هذا النبأ على انه استنباط غير مكتمل لعناصر الاعتبار والجدية، وأنه وليد مشاعر وتشنجات، وانفعالات صنعتها الممارسات العدائية التي مارسها الأمويون تجاه أهل البيت، وأنتجها سوء الظن بالأطراف المعنيين.

3 ـ إنه «عليه السلام» لم يرض بأن يبعد جعدة عنه، بالرغم من علمه القاطع بأنها سوف ترتكب تلك الجريمة. محتجاً لذلك بقوله: كيف أخرجها، ولم تفعل بعد شيئاً؟!

ونلاحظ:

أولاً: إن ما استدل به «عليه السلام» على موقفه هذا هو نفس ما استدل به أبوه أمير المؤمنين «عليهما السلام» في شأن ابن ملجم، حين أخبر الناس أنه سوف يقتله، فقالوا له: اقتله يا أمير المؤمنين!!

فقال: إنه لم يقتلني بعد[1].

---

(1) راجع علي «عليه السلام» والخوارج (الطبعة الأولى) ج2 ص332 و (الطبعة الثالثة) ج2 ص346. وراجع المصادر التالية: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1127 والرياض النضرة ج3 ص233 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص112 والوافي بالوفيات ج18 ص173 وذخائر العقبى (ط دار القدسي ـ مصر) ص112

ثانياً: من المعلوم: أنه لا يجوز القصاص قبل الجناية.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» إنما علم بأن جعدة سوف تقتله بطريق غير عادي، وهو خارج عن دائرة اختيار المكلفين..

وهذا العلم خاص بالأنبياء والأوصياء، يستفيدون فيه في شؤون الإمامة، وليس لهم أن يرتبوا عليه آثاراً شخصية، أو أن يوظفوه في قضاياهم وحاجاتهم الشخصية، بل عليهم أن يتعاملوا في قضاياهم بالوسائل التي يتعامل بها سائر الناس..

رابعاً: إنه لا شيء يدل على أن فكرة قتل الإمام الحسن «عليه السلام» كانت قد مرت أو خطرت على بال جعدة إلى تلك اللحظة، ولعل اتصال معاوية بها، وإغراءها بالمال هو الذي نبهها إلى هذا الموضوع.

وإذا كانت لا تصح العقوبة على النوايا، القائمة في النفس بالفعل، فهل تصح العقوبة على أمر لا دليل أنه خطر على بال من تريد أن تعاقبه لأجله؟!

4 ـ إن الإجراء الإحترازي، كإخراج جعدة من منزله، وإبعادها عنه، إنما يلجأ إليه حين لا يكون مشوباً بما يفسده.

والأمر هنا ليس كذلك، لسببين:

أولهما: أن إخراجها من منزله، وهي ترى نفسها بريئة، لم ترتكب ما يوجب ذلك، سوف يحفزها للإنتقام ممن ترى أنه قد ظلمها، وآذاها، وشهَّر بها بما لم يقدِّم عليه شاهداً أو دليلاً.. وربما فُتحت أمامها أبواب كثيرة تسهل عليها

والكامل في الأدب للمبرد ج3 ص1117 ونهاية الأرب ج20 ص212.

هذا الإنتقام، ولاسيما من قبل الأخطبوط الأموي المنتشر في طول البلاد وعرضها، الحاضر في كل اتجاه، والمتحفز لأية وثبة يجد فرصتها سانحة على أهل البيت «عليهم السلام».

الثاني: إن طرد جعدة وإبعادها سوف يجعل الناس يتعاطفون معها، وسيعذرونها في أي فعل تقدم عليه، وسيرى الناس في الإمام الحسن أنه لا يملك مقومات الإمامة، ولا يختلف عن مناوئيه، فهو يعتدي، ويظلم، دون أن يملك مبرراً معقولاً ومقبولاً. وهو يخدع الناس في ادِّعائه لنفسه العصمة عن الذنب، وما إلى ذلك.

5 ـ إنه «عليه السلام» أوضح لأهل بيته: أن قتل جعدة له أمر لا مهرب منه، فهو من القضاء المحتوم.

6 ـ إنه «عليه السلام» كما يريد أن يعالج، أو فقل: يضبط ردة فعل أهل بيته في مثل هذا الأمر الخطير، تحت سقف الشعور بالمسؤولية، والتصرف المدروس، البعيد عن الإنفعال غير المنضبط، فإنه أيضاً يريد أن يحفظ الذهنية العامة من الشطط في الرؤية، والتسرع في الأحكام، وأن تبقى في محيط الأمن والسلامة عن أي خلل أو خطل..

وهذه هي سمات الإمام الرؤوف والعطوف تجاه نفسه وغيره، فهو يحفظ نفسه وغيره بنفس الحرص، وبنفس الإندفاع.

7 ـ وآخر ما نذكره هنا: أنه في لحظة شربه للسم، وإحساسه بمفاعيله وآثاره لم نجده زاد على لوم تلك المرأة المجرمة، وإعلامها: بأن آمالها سوف تخيب، ولن تحصل على ما وعدها به ذلك الذي جندها وحرّضها على قتله..

ولم يُرَ منه أي تصرف انفعالي تجاهها، ولم يطردها، ولم يدل عليها أحداً يمكن أن يلحق بها أذى نتيجة تصرف انفعالي مفاجئ.

ولعل من أسباب هذا الصبر والتحمل: أنه لو فعل ذلك بنفسه، أو أنه تسبب بإقدام غيره على أي فعل خشن يتعدى دائرة اللوم، والإخبار عن فشلها في تدبيرها الذي هو من الأخبار الغيبية، التي لا تخيب، والتي تجلب للمجرم أعظم الحسرات، وتلقيه في أشد الخيبات..

نعم، لو تعدى دائرة اللوم، أو أسس لغيره أن يتعدى هذا المقدار لوجدت الأخطبوط الأموي وأعوانهم وأشياعهم يجوبون شرق الأرض وغربها لإشاعة الريب والشك في صحة التهمة التي وجهها «عليه السلام» لتلك المرأة المجرمة، والقول: بأنه «عليه السلام» يلقي التهم على الناس جزافاً، استناداً إلى توهمات نسجها خياله، المشبع بالريب، والبغض، وحب الإنتقام من مناوئيه، ومحاربيه، ومحاربي أبيه. وربما زعموا: أن سبب ما جرى له قد يكون أمراً آخر، ولو بأن تكون حشرة سامة، أو حيَّة لوّثت ذلك اللبن، بل لعل إنساناً آخر تسلل إلى ذلك البيت، وألقى ذلك السم في اللبن، ولم يشعر به أحد.. ولعل.. ولعل..

وتصديقاً لما ذكرناه آنفاً، نذكر هنا بعض الأقاويل الغريبة التي ذكرها العلامة القرشي «رحمه الله» في كتابه: حياة الإمام الحسن «عليه السلام» ج2 ص470 ـ 473، مع تصرف وتلخيص، فقد ذكر «رحمه الله»:

1 ـ أن ابن خلدون قال: «وما ينقل من أن معاوية قد دسّ السم إلى الإمام الحسن على يد زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا

لمعاوية ذلك»[1].

2 ـ قال عبد المنعم : «ولكننا نستبعد قيام معاوية بذلك»[2].

3 ـ قال فيليب حتي: «وأما الشيعة، فتعزو مقتله ـ يعني الحسن ـ إلى معاوية»[3].

4 ـ ذكر المستشرق (روايت م. رونلدس) : «أن الإمام الحسن مات بالسل عندما بلغ من العمر خمساً وأربعين سنة»[4].

5 ـ وبذلك قال المستشرق لامنس»[5].

6 ـ قال أحمد بن سهل البلخي ـ الشهير بالمقدسي ـ: «إن الإمام كان يطوف في البيت الحرام، فطعنه شخص بظهر قدمه بزج مسموم، فتوفي على أثر ذلك»[1].

الزج: الحديدة في أسفل الرمح.

7 ـ قال الدكتور حسن إبراهيم: إن بعض المؤرخين ذهب إلى أن الإمام

---

(1) تايخ ابن خلدون (ط دار الكتاب اللبناني) ج2 ص 187 وإمتاع الأسماع ج5 هامش ص361.

(2) التاريخ السياسي ج2 ص20 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 هامش ص734.

(3) العرب ص79.

(4) عقيدة الشيعة ص 90.

(5) دائر المعارف الإسلامية ج7 ص 400.

(1) البدء والتاريخ (ط باريس) ج6 ص5 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 هامش ص734.

مات حتف أنفه بعد رجوعه من العراق بأربعين يوماً»(1).

8 ـ قال محمد أسعد طلس: «وغادر الحسن بعد الصلح إلى المدينة، ولم يلبث أكثر من شهرين حتى مات»(2).

وهذا كلام غريب، فإنه «عليه السلام» بقي في المدينة ما يقرب من عشر سنوات على قيد الحياة..

مسممة الأزواج:

لقد تعرض الإمام الحسن «عليه السلام» للقتل حيث سقي السم مراراً(3).

---

(1) تاريخ الإسلام السياسي ج1 ص398 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 هامش ص734.

(2) تاريخ الأمة العربية ص 9 و16.

(3) العوالم ج16 ص76 و 278 و 279 و 283 وكشف الغمة ج2 ص190 و 205 و 207 و 208 والإرشاد للمفيد ص211 و (ط دار المفيد) ج2 ص16 وبحار الأنوار ج44 ص145 و 158 و 161 وروضة الواعظين ص200 و (منشورات الشريف الرضي ـ قم) ص167 وحلية الأولياء ج2 ص38 ومروج الذهب ج2 ص227 ومقاتل الطالبيين (ط المكتبة الحيدرية) ص48 وشرح الأخبار ج3 ص123 وتاج المواليد (المجموعة) ص26 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص202 وعمدة الطالب ص67 ومدينة المعاجز ج3 ص374 و 375 والمستدرك للحاكم ج3 ص176 والمصنف للصنعاني ج11 ص452 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص631 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص390 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص10 و 49 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص282 و 283 وتهذيب الكمال ج6 ص251 وسير أعلام النبلاء ج3

وفي نص آخر: سقي السم أربع مرات[1].

وفي نص آخر أيضاً: سقاني مرتين، وهذه الثالثة[2].

1 ـ وقال في عيون المعجزات: إن معاوية بذل لجعدة عشرة آلاف دينار، وإقطاعات كثيرة من شعب سورا وسواد الكوفة، وحمل إليها سماً، فجعلته في طعام، فلما وضعته بين يديه، قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، والحمد لله على

ص273 والإصابة ج2 ص66 وتهذيب التهذيب ج2 ص260 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص30 وتجارب الأمم ج7 ص189 وربيع الأبرار ج5 ص157 والتذكرة الحمدونية ج9 ص293 والمنتظم لابن الجوزي ج5 ص225 وفيات الأعيان ج2 ص66 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص38 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج8 ص46 وحياة الحيوان الكبرى ج1 ص90 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص207 و 208 و 209 ومطالب السؤول ص365 والدر النظيم ص511 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج3 ص360 وينابيع المودة ج2 ص427 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص83 و 84 وذخائر العقبى ص141.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص10 والعوالم ج16 ص279 وبحار الأنوار ج44 ص145 وصلح الحسن لآل ياسين ص368.

(2) الإحتجاج (ط دار النعمان) ج2 ص12 و (ط أخرى) ج2 ص71 والعوالم ج16 ص282 وبحار الأنوار ج44 ص147 و 158 والدر النظيم ص514 و ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص202. وراجع: نظم درر السمطين ص202 وتاريخ الإسلام للذهبي ج36 ص303 وينابيع المودة ج2 ص427 والنصائح الكافية ص86 وصلح الحسن لآل ياسين ص368 ونهاية الأرب ج20 ص322 وذخائر العقبى ص141 وتاريخ الإسلام للذهبي ج36 ص303.

لقاء محمد سيد المرسلين، وأبي سيد الوصيين، وأمي سيدة نساء العالمين، وعمي جعفر الطيار في الجنة، وحمزة سيد الشهداء «صلوات الله عليهم أجمعين».

ودخل عليه أخوه الحسين «عليه السلام»، فقال: كيف تجد نفسك؟!

قال: أنا في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة، على كُره مني لفراقك وفراق إخوتي، ثم قال: أستغفر الله على محبة مني للقاء رسول الله وأمير المؤمنين، وفاطمة، وجعفر، وحمزة «عليهم السلام».

ثم أوصى إليه وسلّم إليه الاسم الأعظم، ومواريث الأنبياء «عليهم السلام» التي كان أمير المؤمنين «عليه السلام» سلمها إليه.

ثم قال: يا أخي، إذا أنا متّ، فغسلني، وحنطني، وكفني، واحملني إلى جدي حتى تلحدني إلى جانبه، فإن مُنعت من ذلك، فبحق جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأبيك أمير المؤمنين، وأمك فاطمة «عليها السلام»: أن لا تخاصم أحداً، واردد جنازتي من فورك إلى البقيع، حتى تدفني مع أمي «عليها السلام»[1].

2 ـ وروي في الإحتجاج عن رجل دخل على الإمام الحسن وكلّمه في موضوع الهدنة، فأجابه «عليه السلام»..

إلى أن قال: «وهو يكلمني إذ تنخع الدم، فدعا بطست، فحمل من بين يديه، مليئ مما خرج من جوفه من الدم.

(1) عيون المعجزات ص 9 ـ 15 وبحار الأنوار ج44 ص140 والعوالم ج16 ص293 و 294.

فقلت له: ما هذا يا بن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إني لأراك وجعاً؟!

قال: أجل دسَّ إلي هذا الطاغية من سقاني سماً، فقد وقع على كبدي، فهو يخرج قطعاً كما ترى.

قلت: أفلا تتداوى؟!

قال: قد سقاني مرتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء، ولقد رقى إلي: أنه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجِّه إليه من السم القتّال شربة.

فكتب إليه ملك الروم: أنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا.

فكتب إليه: أن هذا ابن الرجل الذي خرج بأرض تهامة، وقد خرج يطلب ملك أبيه، وأنا أريد أن أدس إليه من يسقيه ذلك، فأريح العباد والبلاد منه، ووجه إليه بهدايا وألطاف، فوجه إليه ملك الروم بهذه الشربة التي دس فيها، فسقيها واشترط عليه في ذلك شروطاً.

وروي: أن معاوية دفع السم إلى امرأة الحسن بن علي «عليهما السلام»، جعدة بنت الأشعث، فقال لها: اسقيه، فإذا مات هو زوجتك ابني يزيد.

فلما سقته السم ومات «عليه السلام»، جاءت الملعونة إلى معاوية الملعون، فقالت: زوجني يزيد.

فقال: اذهبي، فإن امرأة لا تصلح للحسن بن علي لا تصلح لابني يزيد»[1].

3 ـ عن أبي بكر الحضرمي: إِنَّ جَعْدَةَ بِنْتَ أَشْعَثَ بْنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ،

(1) العوالم ج16 ص281 و282 والإحتجاج (ط دار النعمان) ج2 ص11 و (ط أخرى) ج2 ص71 وبحار الأنوار ج44 ص147.

سَمَّتِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وسَمَّتْ مَوْلَاةً لَه.

فَأَمَّا مَوْلَاتُه، فَقَاءَتِ السَّمَّ.

وأَمَّا الْحَسَنُ، فَاسْتَمْسَكَ فِي بَطْنِه ثُمَّ انْتَفَطَ بِه فَمَاتَ[1].

نفطت الكف ـ كفرح ـ قرحت عملاً، أو مجلت.

وفي بعض النسخ: انتقض[2].

4 ـ وفي حديث الخرائج والجرائح عن الصادق «عليه السلام»: أن معاوية بعث إلى جعدة مالاً جسيماً، وجعل يمنّيها: بأن يعطيها مئة ألف درهم أيضاً، ويزوّجها من يزيد.. وحمل إليها شربة سم لتسقيها الحسن «عليه السلام»، فانصرف إلى منزله وهو صائم، فأخرجت وقت الإفطار، وكان يوما حاراً شربة لبن، وقد ألقت فيها ذلك السم، فشربها وقال: عدوة الله! قتلتيني قتلك الله، والله لا تصيبين مني خلفاً، ولقد غرك وسخر منك، والله يخزيك ويخزيه.

فمكث «عليه السلام» يومان ثم مضى، فغدر بها معاوية، ولم يف لها بما عاهد عليه[1].

---

(1) الكافي ج1 ص462 وبحار الأنوار ج44 ص144 والعوالم ج16 ص282 ومرآة العقول ج5 ص354.

(2) العوالم ج16 ص282.

(1) الخرائج والجرائح ج1 ص241 والعوالم ج16 ص282 و283 وبحار الأنوار ج44 ص155 وكشف الغمة ج2 ص208 و (مؤسسة الإمام المهدي ـ قم) ج1 ص242 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص147 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص8 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص157.

5 ـ وفي حديث جنادة بن أبي أمية: دخلت على الحسن بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف عليه الدم، ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي أسقاه معاوية «لعنه الله»، فقلت: يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك؟!

فقال : يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟! الخ..[1].

6 ـ عن عمير بن إسحاق: أن الحسن «عليه السلام» قال: لقد تقطعت قطعة قطعة، من كبدي، فجعلت أقلبِّها بعود معي[2].

7 ـ عن مغيرة قال: أرسل معاوية إلى جعدة بنت الأشعث: أني مزوّجك ابني يزيد على أن تسمي الحسن، وبعث إليها مائة ألف درهم.

ففعلت، وسمت الحسن، فسوغها المال، ولم يزوجها من يزيد.

فخلف عليها رجل من آل طلحة، فأولدها، وكان إذا وقع بينهم وبين

---

(1) كفاية الأثر ص226 والعوالم ج16 ص280 وبحار الأنوار ج44 ص138 والأنوار البهية ص91.

(2) الإرشاد للمفيد ص192 و (ط دار المفيد) ج2 ص16 وروضة الواعظين ص250 و (منشورات الشريف الرضي ـ قم) ص167 ومقاتل الطالبيين (ط المكتبة الحيدرية) ص48 والعوالم ج16 ص278 ومناقب آل أبي طالب ج4 (دار الأضواء) ص48 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص202 ومدينة المعاجز ج3 ص374 وبحار الأنوار ج44 ص156 و 158 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص390 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص49 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص30.

بطون قريش كلام عيروهم، وقالوا: يا بني مسمة الأزواج(1).

8 ـ قالوا: وكان مرضه أربعين يوماً(2).

9 ـ قالوا: وكان بذل معاوية لجعدة بنت محمد بن الأشعث الكندي، وهي ابنة أم فروة أخت أبي بكر بن أبي قحافة عشرة آلاف دينار، وإقطاع عشرة ضياع من سقي سورا وسواد الكوفة، على أن تسم الحسن «عليه السلام»(1).

10 ـ وقيل: إنه «عليه السلام» سقي برادة الذهب(2).

11 ـ وقال ابن عبد البر: سمته امرأته جعدة، ابنة الأشعث بن قيس.

---

(1) الإرشاد للمفيد ص211 و (ط دار المفيد) ج2 ص16 وروضة الواعظين ص167 ومقاتل الطالبيين (ط المكتبة الحيدرية) ص48 وشرح الأخبار ج3 ص127 وبحار الأنوار ج44 ص155 والعوالم ج16 ص278 وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج4 ص80 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص202.

(2) الإرشاد للمفيد ص211 و (ط دار المفيد) ج2 ص16 وبحار الأنوار ج44 ص161 والعوالم ج16 ص276 و274 عن الجنابذي، والمستدرك للحاكم ج3 ص173 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص11 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص302 وأنساب الأشراف ج1 ص405 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص240 وكشف الغمة ج2 ص205 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص98.

(1) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج4 ص34 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص192 وبحار الأنوار ج44 ص 134 و 140 والعوالم ج16 ص276 وعيون المعجزات ص65 والأنوار البهية ص90 وفي دلائل الامامة ص160: عشرين ألف دينار.

(2) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج4 ص48 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص202 وبحار الأنوار ج44 ص158.

وقيل: جون بنت الأشعث[1].

وبعدما تقدم:

الإصرار على قتل الإمام:

ظهر من النصوص المتقدمة: أنه كان ثمة إصرار على قتل الإمام بالسم، فقد بذلت محاولات عديدة، تصل إلى خمس أو تزيد، وقد أمكن علاجها، باستثناء المرة الأخيرة منها..

وقد يمكن تسجيل تحفظ على قدرة النصوص على الوفاء، باعتبار: أن ثمة نصاً يقول: إن السم دسّ إليه مرتين أو ثلاثاً، فهل لم يكن يعلم عدد المرات التي سقي فيها السم؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن العطف إن كان بالواو لا بأو، فلا يبقى مورد لهذا التحفظ، فلعل الناقل للرواية قد بدل الواو بأو، وما أكثر ما يحصل ذلك.

وربما كان الاختلاف في آثار السم، ومقاديره وأنواعه، بحيث إن بعضها قد أمكن التخلص منه بالعلاجات بسهولة..

وبعضها كان أشد تأثيراً، فانصرف الذهن إلى الأشد أولاً، ثم ذكر المجموع من حيث هو مجموع ثانياً..

---

(1) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج1 ص374 وبحار الأنوار ج44 ص149 والعوالم ج16 ص275 والعدد القوية (مخطوط) ص73 و (نشر مكتبة المرعشي) ص351.

أو هو بمثابة قولك: دس السم إليَّ مرتين، بل مرات، أو أكثر من ذلك. أي ثلاثاً.

ثانياً: إن من الطبيعي: أن يخبر من يعاني من أثر السم عنه، متوقعاً عدم إمكان السيطرة عليه بالعلاج، فإذا غاب من سمع الخبر، ثم عاد بعد شهر مثلاً، ووجد أن المعاناة من أثر السم موجودة، فقد يظن: أن هذا استمرار للمرة الأولى، أو يظن أنه قد تعافى من السابق، وهو الآن يعاني من سم آخر دس إليه في وقت لاحق.

ولأجل ذلك نلاحظ اختلاف الناقلين للمدة التي مرض فيها «عليه السلام» بسبب السم، فيقول بعضهم: كانت أربعين يوماً، ويقول بعضهم: كانت ثلاثة أيام.

وفي نهاية المطاف نقول:

إن الروايات تكاد تكون متفقة على أنه «عليه السلام» قد مضى مسموماً شهيداً.

والاختلاف في بعض الجزئيات والخصوصيات له أسبابه، فلا حاجة إلى الإفاضة فيها.

هل كان الإمام يعلم؟!:

1 ـ ظاهر رواية عيون المعجزات المتقدمة برقم [1]: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يعلم: بأن الطعام الذي قدم إليه كان مسموماً، وأن حتفه سيكون في نفس هذا الطعام، ولذلك نرى: أنه بمجرد وضع الطعام بين يديه قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، الحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين،

ثم لقاء أبيه، وأمه، وعميه جعفر، وحمزة.

وإذا كان قد دخل عليه الحسين «عليه السلام» في هذه الأثناء قبل أن يتناول من ذلك الطعام شيئاً، وطرح عليه سؤاله عن حاله، فأجابه بأنه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة.. إذا كان هذا هو ما حصل فعلاً، فإن الأمر يصبح أكثر وضوحاً في الدلالة على أنه «عليه السلام» كان يعرف أن حتفه كان في نفس هذا الطعام الذي وضع بين يديه..

2 ـ ولا يدفع ذلك قولهم: إن هذا يجعل الإمام معيناً على نفسه، لو أنه أقدم على أكل السم مع علمه به، وذلك لما ورد، من أن الإمام يعلم بوقت موته، لكن لحظة حضور الأجل ينسيه الله تعالى، لينفذ فيه الحكم، وقد روي هذا المعنى عن الإمام الرضا «عليه السلام»[1].

وهناك عدة روايات في ذلك، فلتراجع.

على أن الإمام إذا علم بأمر بواسطة علم الإمامة، أو بقدرات أعطاه الله إياها، لأنه أصبح مستحقاً لها، وهي ليست من الطرق التي تقع في دائرة اختيار سائر الناس.. فيصح له أن ينفي علمه بذلك الشيء، ويقول: لم أعلم بذلك. أي لم أرَ، ولم يخبرني أحد، ولم يعلمني بأي طريق عادي.

كما أنه يصح أن يقول: علمت به. أي بالوسائل الأخرى التي لا شأن لعامة البشر بها، وهو علم لا يستتبع تكليفاً.

---

(1) بصائر الدرجات ص142 و (ط الأعلمي) ص501 ومختصر بصائر الدرجات ص6 و 7 وبحار الأنوار ج27 ص285 و 286 وج48 ص235 و 236 عنه، ومدينة المعاجز ج6 ص378 و 379.

3 ـ لكن التأمل في رواية عيون المعجزات يظهر لنا أموراً أخرى، فإن قول الإمام الحسين «عليه السلام» لأخيه: كيف تجد نفسك؟! كان يشير إلى أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان مريضاً، وأن الإمام الحسين «عليه السلام» قد جاء ليطمئن على حاله..

مغزى استغفار الإمام الحسن ×:

وقد رأينا: أن الإمام الحسن أخبر أخاه بأنه في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، على كُره مني لفراقك، وفراق إخوتي..

ثم استدرك بقوله: «استغفر الله، على محبة مني للقاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأمير المؤمنين، وفاطمة، وجعفر، وحمزة «عليهم السلام»..».

والسؤال هنا هو:

أولاً: لماذا خصّ كره الفراق بالحسين، وبقية إخوته، ولم يذكر أيضاً أبناءه ولا أخواته، كزينب «عليها السلام» مثلاً؟!

ثانياً: ما الموجب لهذا الاستغفار، والاستدراك؟! هل أخطأ «عليه السلام» حيث ذكر فراق إخوته قبل ذكر لقاء الرسول، وعلي والبقية؟!

أو أنه خالف فروض الأدب؟!

فما فعله، وإن لم يكن خطأً شرعياً، لكنه خطأ أخلاقي عرفي..

أو أن ذلك كان سبق لسان، ولم يكن عن سابق علم وقصد، بل هو نوع من الغفلة؟!

فإن ذلك كله، لا تصح نسبته للإمام المطهر المعصوم.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: أما بالنسبة للاستدراك المذكور، فنقول:

هناك قسم آخر لم يذكر في جملة الاحتمالات، وهو: أن يكون استدراكاً في المباح بهدف التعليم، بطريقة الإثارة للانتباه، وللاهتمام..

وهذا نظير الجملة الاعتراضية التي قد لا يكون لموردها ومضمونها أهمية كبيرة، بل يكون مضمون الكلام الذي تقع فيه هو الأهم، ولكنه يوردها في ضمنه، لأجل خصوصية تقتضي حفظها من الضياع، فيكون بذلك قد حفظ المهم والأهم معاً، أو حفظ المهم وغيره من الأمور العادية أيضاً.

ثانياً: بالنسبة لعدم ذكر الأولاد، والأخوات، نقول:

إن الإخوة إذا ذكروا، إنما يخصصون بالذكر، حين تكون لهم مزايا بالغة الأهمية كمقام الإمامة، والهداية للأمة، وارتباط مصير الأمة بهم إلى يوم القيامة، كما هو حال الإمام الحسين «عليه السلام»..

بل وكذا من أظهر بجهاده لأعداء الله، صدقه وإخلاصه لله ورسوله، ومؤزارته لأبيه، وإخوته الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»، مثل: محمد ابن الحنفية، فإن تخصيصهما بالذكر فيه خدمة لدين الله تعالى.. ويتوقع أن يفهم ذلك على حقيقته، وأن لا تعرض له أية شائبة..

مع ملاحظة: أن تعميم الكلام لسائر الإخوة الذين سيقتل أبرارهم وخيارهم في كربلاء، لن يكون بعيداً عن المقاصد المتوخاة في كلام الإمام الحسن هنا..

أما ذكر الأولاد هنا، فقد يؤخذ على أنه لمجرد بنوتهم بالنسبة إليه، ولأنهم

زينة الحياة الدنيا.. وليس لذكرهم أي معنى ديني، سوى العلاقة العاطفية الشخصية.

أما الأخوات، مثل زينب وأم كلثوم، ورقية بنت علي «عليه السلام»، فلم يكن قد ظهر لهنَّ ما يقتضي ـ بنظر الناس ـ ذكرهن، وإنما يعتد بمواقف زينب «عليها السلام» من خلال مواقفها وشجاعتها وأهمية دورها وحكمتها، والتزامها تنفيذ ما أوصاها به الإمام الحسين «عليه السلام» لحفظ العيال، وإيصالهم إلى بر الأمان.. فقد يؤخذ هذا المعنى بما له من منحى شخصي، وعاطفي وعشائري.

وربما أوجبت إضافة الأولاد والأخوات تشويشاً في فهم المضمون الذي يراد ترسيخه بذكر الإمام الحسين وإخوته الأبرار.

السمّ لا يقطع الكبد:

ويذكر هنا إشكال حول ما ورد في العديد من الروايات، من أن السم انتهى إلى كبده، فقطعها.. فكان «عليه السلام» يقيئ تلك القطع، وربما كان يقلبها بعود كان معه.

والإشكال هو: أنه لا ارتباط بين السم، وبين الكبد.. فالسم يستقر في المعدة، ويحدث فيها التهابات حادة، وتهيجاً في الأمعاء، وربما أدَّى إلى تقرحات ونزف، وغير ذلك من أعراض.

وأما بلوغ الالتهابات الناشئة عن السم إلى الكبد، فربما حصل ذلك في حالات نادرة.

وهذا يضع علامة استفهام كبيرة حول ما ذكر في الروايات من تقطع كبد الإمام بالسم، وأنه كان يقيئه، وما إلى ذلك.

ونجيب:

بأن الكبد كما يقال للعضو الداخلي المعروف الذي يفرز الصفراء، فإنه كما في كتب اللغة أيضاً: الجوف بكماله، ووسط الشيء، ومعظمه، والجنب وما إلى ذلك..

وبذلك يتضح: أنه «عليه السلام» كان يقيئ قطعاً من الدم المتخثر، ولم يكن جزءاً من جهاز الكبد المعروف..

لماذا تغير ملك الروم؟!:

وذكرت رواية الإحتجاج المتقدمة برقم [2] حديث استقدام معاوية السمّ القاتل من بلاد الروم.

وفي هذا الحديث: أن ملك الروم لم يستجب في البداية متعللاً: بأن دينهم لا يسمح لهم بأن يعينوا على قتال من لا يقاتلهم..

فلما أخبره معاوية أنه يريد هذا السم ليقتل ابن ذلك الرجل الذي خرج بأرض تهامة، وقد خرج يطلب ملك أبيه، فرضخ له ملك الروم، وأرسل إليه ما أراد، فكان شريكاً في قتل الإمام الحسن «عليه السلام».

والمفارقة اللافتة هنا: أن ملك الروم حين استقدم الإمام الحسن ويزيد وطرح أسئلته عليهما لم يزل يؤكد على أن المحق هو الإمام الحسن، وأبوه، وجده، وقد تمنى أن يوفق لقبول الإسلام، مصرحاً: بأنه إن لم يسلم، فهو

الهلاك والبوار والخسران..

وقد عبر في كلامه عن خشيته من عدم حصوله على هذا التوفيق، لأنه لو فعل ذلك، فسيخسر ملكه.. وهذا ما لا طاقة له على تحمله..

ومن له هذه المواقف يتوقع منه أن لا يشارك في قتل الأئمة الهداة إلى الحق، ويحاول بلطائف الحيل: أن لا يستجيب لطلب معاوية، فما الذي تغير حتى تغير ملك الروم ورضي بالمشاركة في هذا العار والشنار، الموجب للخزي والبوار، ودخول النار في الآخرة؟!

ويمكن أن نجيب:

بأنه إذا كان ملك الروم قد صرح بمزيد تعلقه بملكه وبدنياه، إلى حد أنه يصرح: بأنه يرضى بالهلاك والبوار ودخول جهنم في الآخرة على أن يبقى له ملكه ودنياه.

وكان معاوية أيضاً في نفس الخط، وعلى نفس النهج، وهو يعرف هذا عن ملك الروم كما يعرفه عن نفسه، فإنه هو أيضاً يعرف الحق وأهله، كما صرح بمعرفته هذه، ولكن حب الدنيا، وتعلقه بالملك يدعوه لمحاربة هذا الحق، ويبذل كل غال ونفيس لطمسه، وإخماد ناره، وتكريس الترهات والأباطيل على أنها البديل عن دين الله وشرعه، والظلم بديل عن العدل، والكذب عن الصدق، والخيانة عن الإمانة، والرجس عن الطهر، والرذيلة عن الفضيلة، وهلم جرا..

ويبدو لنا: أن معاوية حين أرسل إليه مرة ثانية يخبره بأنه يريد هذا السم للتخلص من ابن ذلك الذي خرج بأرض تهامة ـ وهي أرض مكة وشمال

الحجاز ـ كأنه أراد أن يقول لملك الروم: قد عرفت أنك حين قدم عليك الحسن بن علي ويزيد: أن الدلائل قد ساقتك إلى القول: بأن هذا الذي خرج بتهامة هو نبي حقاً، وأنها دلت على أن علياً وصيه ووزيره، وأن الحسن هو ابنهما، ووارث علمهما، والمهتدي بهديهما..

وأنك لولا خوفك على الملك لأسلمت واتبعت هذا النبي، وأوصياءه.

وعلى هذا، فإنك على تقدير عدم مساعدتك في قتل ابن ذلك النبي ووصيه، فإنني أستطيع أن ألحق الأذى بك، أجعل ملكك كله في خطر، لأنني أستطيع أن أعلن أنك من أتباع وأنصار هذا الدين، والملتزمين به، وأن إظهارك النصرانية ما هو إلا خداع وتدليس، وسترى أن إعلاناً كهذا سيهيج الناس ضدك، ويسلبك ملكك.

فكان ذلك هو داعي ملك الروم للمبادرة للمشاركة وإرسال ما طلب منه. وبذلك يكون قد سجل على نفسه شهادة عملية أمام أهل الباطل: بأن ما يمكن أن يقال عنه مما يضر به وبملكه محض افتراء، وحصَّن نفسه وملكه بهذه الطريقة..

كما أنه يكون قد سجّل على نفسه لدى أهل الحق والدين: أنه لا يلتزم بقناعاته، وأعلن لكل أحد أن لديه درجة لا تضاهى من الأنانية، والشخصانية، كما أنه يكون قد نعى ضميره ووجدانه، فيكون الهوى، والشهوات هي البديل عنهما.

واللافت هنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» يقول: «فسقانيها، واشترط عليه في ذلك شروطاً» حيث إن من الراجح: أن يكون الضمير في كلمة عليه

يرجع إلى معاوية، أي أن ملك الروم اشترط على معاوية شروطاً.. ولكنه «عليه السلام» لم يشر إلى طبيعة هذه الشروط.. ولعلها ترتبط بالحصول على وثائق تثبت مشاركة ملك الروم في هذا التصرف الخبيث والأرعن ليستفيد منها ملك الروم في موقع الحاجة.

ولعل منها أيضاً: أن يكتم هذا الأمر، فلا يعلن عنه بين المسلمين، لأن ذلك قد يحفز أهل الدين منهم لاتخاذ مواقف والدخول في مبادرات يمكن أن يترافق معها الكثير من المشاق والمتاعب.

وربما كان من جملة الشروط: أن يعطي معاوية تعهداً كتبياً، يجعل ما جرى بين ملك الروم، والإمام الحسن «عليه السلام» ويزيد في خبر كان، ولو بأن يمنع من تداوله وذكره لأحد من الناس، ويتعهد بتكذيب ومحاربة كل من يشيع ويشير إلى هذا الأمر من قريب أو من بعيد..

ويلاحظ: أن الإمام الحسن «عليه السلام» تحدث عن شروط ـ بصيغة الجمع ـ

هي بنت الأشعث:

وذكرت رواية ذكرها ابن شهرآشوب، وهي المتقدمة برقم [9]: أن المرأة التي سممت الإمام الحسن «عليه السلام» هي جعدة بنت محمد بن الأشعث..

وهذا غير صحيح، بل هي بنت الأشعث بن قيس نفسه، وأخت محمد المذكور.

وقول ابن عبد البر: إن التي سممت الإمام الحسن هي جون بنت الأشعث.. قد لا يكون بعيداً عن الصواب، لأن تشارك جون وجعدة أختها

في أمر كهذا ليس أمراً بعيداً.

وأما أنه «عليه السلام» سقي برادة الذهب، فلعله حصل في إحدى المرات التي تعرض «عليه السلام» فيها لمحاولة القتل..

الفصل الثاني

الإمام الشهيد..

الله أشد نقمة منك:

1 ـ عن عمر [عمير، عمرو] بن إسحاق، قال: كنت مع الحسن والحسين «عليهما السلام» في الدار، فدخل الحسن «عليه السلام» المخرج ثم خرج، فقال: لقد سقيت السم مراراً، ما سقيته مثل هذه المرة، فقد لفظت قطعة من كبدي، فجعلت أقلبها بعود معي.

فقال له الحسين «عليه السلام»: ومن سقاكه؟!

قال: وما تريد منه؟! أتريد قتله؟! إن يكن هو هو فالله أشد نقمة منك، وإن لم يكن هو، فما أحب أن يؤخذ بي بريء(1).

وفي نص آخر عن ابن إسحاق هذا: أنه بعد أن أخبر الإمام بأنه سقي سماً، قال: ثم دخلت عليه من الغد، وهو يجود بنفسه، والحسين عند رأسه، فقال: يا أخي من تتهم؟!

قال: لم؟! لتقتله؟!

---

(1) العوالم ج16 ص278 وبحار الأنوار ج44 ص155 وكشف الغمة ج2 ص421 والإرشاد ج2 ص16 وراجع: مروج الذهب ج2 ص427 وقال: فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثاً حتى توفي. ورواه الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه، ومناقب آل أبي طالب ج4 ص42 و43.

قال: نعم.

قال: إن يكن الذي أظن، فإنه (أي الله تعالى) أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإلا يكن فما أحب أن يقتل بي بريء، ثم قضى «عليه السلام»(1).

2 ـ وفي رواية عبد الله [عن] المخارقي أنه قال: يا أخي إني مفارقك ولاحق بربي، وقد سقيت السم، ورميت بكبدي في الطست، وإنني لعارف بمن سقاني؟! ومن أين دُهيت؟! وأنا أخاصمه إلى الله عز وجل.

فقال له الحسين «عليه السلام»: ومن سقاكه؟!

قال: ما تريد به؟! أتريد أن تقتله؟! إن يكن هو هو، فالله أشد نقمة منك، وإن لم يكن هو، فما أحب أن يؤخذ بي بريء.

وفي خبر: فبحقي عليك، إن تكلمت في ذلك بشيء، وانتظر ما يحدث الله فيَّ.

وفي خبر: وبالله أقسم عليك أن [لا] تهريق في أمري محجمة من دم(2).

---

(1) الفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص737 وكشف الغمة ج2 ص386 و419 ومطالب السؤول ج2 ص20 وحلية الأولياء ج2 ص38. وراجع: روضة الواعظين ص200.

(2) مناقب آل أبي طالب ج4 ص42 و43 وراجع الإحتجاج ج2 ص11 وكفاية الأثر ص226 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص10 و 13 و 14 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص200 وصفة الصفوة ج1 ص320 وتهذيب التهذيب ج2 ص300 وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج4 ص226 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص738 و739 والكافي ج1 ص302 والأمالي للشيخ الصدوق ص133

ونقول:

لاحظ ما يلي:

ألف: قوله: إن يكن هو هو. أي إن الذي ظننت أنه فعل ذلك، إن يكن هو الذي فعل ذلك على الحقيقة.

ب: قوله: وإن لم يكن هو. يدل على أنه لا يخبر بما أدّى إليه بعلم الإمامة، لأن علم الإمامة مطابق للواقع، لا تردد فيه، ولأنه «عليه السلام» لا يوظف علم الإمامة في أموره الشخصية، بل هو خاص فيما يوجب ترسيخ معنى الإمامة في النفوس، وحفظها، وإقامة الحجة في إثباتها.

ولأن الأمر، إن كان يقتصر على الظن الشخصي المستند إلى القرائن، التي لا توجب علماً ولا عملاً، فلا يصحح عقوبة المتهم بذلك، إلا إذا أقر الفاعل بفعلته، أو شهد عليه الشهود.

وهذا ما يبدو من قوله: «وإن لم يكن هو، فما أحب أن يؤخذ بي بريء».

ومن المعلوم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» لو أخبر عن علمه بمن فعل ذلك، ولم يذكر هذا الترديد، فإن معرفة الإمام الحسين «عليه السلام» بعصمته وإمامته تفرض عليه تصديقه، وتخوِّله قتل الفاعل، ولأجل ذلك قال له الإمام الحسن «عليه السلام»: أتريد قتله؟! وأجابه «عليه السلام»

ومقتل الحسين للخوارزمي ص137 وعيون المعجزات ص60 و65 وآمالي للطوسي ص159 وبحار الأنوار ج44 ص151 وذكر في هامش رقم 2 في كشف الغمة ج2 ص386 مصادر كثيرة.

بنعم، فسدّ عليه الإمام الحسن الطريق، حيث أعاد الكلام بصيغة الظن بالقاتل، والظن لا يصحح العقوبة، إن لم تدعمه الحجج المعتبرة شرعاً كالإقرار، أو شهادة الشهود، أو الرؤية المباشرة.

ج: على أن للإمام أن يدفع القتل عن فاعل ذلك، حتى لو قامت الحجة الشرعية عليه، إذا كان قتله يلحق الضرر بمعنى الإمامة والعصمة، ويزعزع اعتقاد الناس بالإمام «عليه السلام» باتهامه: بأنه ـ والعياذ بالله ـ افترى على بريء، وقال بغير علم، وانقاد للهوى، واتبع مشاعر البغض لمناوئيه، ولم يأت بشاهد أو دليل يثبت ما يقول.. وأن هذا يجعله مداناً، كما هو يدينهم إذا ارتكبوا مثل ذلك.. وربما جعل أتباع بني أمية وأشياعهم من هذه الشائعات وسيلة لإثارة الفتنة مع بني هاشم ومناوئيهم، لأجل تشويه صورة الحسن والحسين «عليهما السلام».

د: وقد ذكرت رواية عمير، أو عمرو، أو عمر بن إسحاق: أنه دخل على الإمام من الغد وهو يجود بنفسه، ثم قضى «عليه السلام»..

لكن في رواية الإمام الصادق: أنه «عليه السلام» لبث ثلاثاً بعد سؤال الحسين المتقدم له، ثم توفي.

هـ: يلاحظ: أن الإمام الحسن «عليه السلام» يؤكد على أخيه الإمام الحسين «عليه السلام» أن لا يتكلم في أمر مَن دسّ السم إليه بشيء، وأن ينتظر ما يصنعه الله تعالى فيه..

و: إن ما ذكرناه، لم يمنع من شيوع ما فعله معاوية بالإمام الحسن «عليه السلام» من خلال جعدة بنت الأشعث حيث يظهر لنا: أن شيوع هذا الأمر

لم يكن من خلال الحسن، ولا الحسين «عليهما السلام»، ولا سائر بني هاشم، بل كان من خلال همسات وتسريبات معاوية وفريقه، وربما جعدة نفسها، ومن يدور في فلكها، فإنه ما أضمر أحد شيئاً إلا وظهر على فلتات لسانه وصفات وجهه.

وعلى قاعدة: كاد المريب أن يقول خذوني.

القصر الأخضر للحسن، والأحمر للحسين:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

روي في بعض تأليفات أصحابنا: أن الحسن «عليه السلام» لما دنت وفاته، ونفدت أيامه، وجرى السم في بدنه، تغير لونه واخضرّ، فقال له الحسين «عليه السلام»: ما لي أرى لونك مائلاً إلى الخضرة؟!

فبكى الحسن «عليه السلام» وقال: يا أخي، لقد صحّ حديث جدي فيَّ وفيك، ثم اعتنقه طويلاً، وبكيا كثيراً.

فسئل «عليه السلام» عن ذلك؟!

فقال: أخبرني جدي قال: لما دخلت ليلة المعراج روضات الجنان، ومررت على منازل أهل الإيمان، رأيت قصرين عاليين متجاورين، على صفة واحدة، إلا أن أحدهما من الزبرجد الأخضر، والآخر من الياقوت الأحمر، فقلت: يا جبرئيل، لمن هذان القصران؟!

فقال: أحدهما للحسن، والآخر للحسين «عليهما السلام».

فقلت: يا جبرئيل، فلِم لَمْ يكونا على لون واحد؟!

فسكت، ولم يرد جواباً.

فقلت: لم لا تتكلم؟!

قال: حياءً منك.

فقلت له: سألتك بالله إلا ما أخبرتني.

فقال: أما خضرة قصر الحسن، فإنه يموت بالسم، ويخضر لونه عند موته، وأما حمرة قصر الحسين، فإنه يقتل، ويحمر وجهه بالدم.

فعند ذلك بكيا، وضجّ الحاضرون بالبكاء والنحيب[1].

ونقول:

1 ـ ذكر الإمام الحسن «عليه السلام» لأخيه الحسين «عليه السلام» حين سأله عن سبب ظهور الخضرة في لون الإمام الحسن: أن هذه الخضرة في قصر الإمام الحسن هي تجسيد لمضمون خبر صدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أن الحسن يقتل بالسم.

أما الحسين «عليه السلام»، فيقتل بالسيف، لأن قصره من ياقوت أحمر، كما رآه النبي «صلى الله عليه وآله» في المعراج حين دخل الجنة..

مما يعني: أن حمرة الدم سوف تظهر في الحسين «عليه السلام»، وأن خضرة السم ستظهر في الحسن «عليه السلام»، ويكون لون القصرين يشيران إلى هذا الأمر.

(1) بحار الأنوار ج44 ص145 ومدينة المعاجز ج3 ص331 و 332 وج4 ص29 و 30 والعوالم ج16 ص284 وج17 ص121 و 122.

وقد جاء تعبير الإمام الحسن «عليه السلام» كما يلي: «لقد صحّ حديث جدي فيَّ وفيك».

والمراد بالصحة: التحقق، والحصول فعلاً، وليس المراد بها ما يقابل الكذب..

بل المراد: أنه بدأ بالحصول والتحقق، لأن ما يرتبط بالإمام الحسين «عليه السلام» لا يزال في ضمير الغيب..

ولكنه أخبر عن حصوله بصورة جازمة.

أولاً: لأن النبي «صلى الله عليه وآله» لا ﴿**يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1].

ثانياً: إن حصول ما يرتبط بالإمام الحسن «عليه السلام»، الذي هو جزء مكوِّن للخبر بجميع عناصره، يؤذن بوقوع بقية الأجزاء، لأن وجود هذه الأجزاء، وظهورها على صفحة الوجود يكون زمانياً تدريجياً.. وهذا كما لو رأيت اليد اليمنى لزيد القادم عليك، فإنك تتوقع أن ترى يده اليسرى بعد ذلك.

2 ـ إن المعراج إذا كان قد حصل بعد البعثة بثلاث سنوات، فهو يعني: أنه حصل قبل ولادة فاطمة «عليها السلام» التي كانت في السنة الخامسة من البعثة.

وإن كان قد حصل بعد ذلك، في السنة الثانية عشرة من البعثة، فهو يعني: أنه قد حصل قبل أن تتزوج فاطمة «عليها السلام» بأمير المؤمنين «عليه

---

(1) الآيتان 3 و 4 من سورة النجم.

السلام»، وقبل أن يخلق الحسنان.. فكيف نفهم ذلك؟!

ونجيب:

أولاً: إن الله تعالى قد خلق النبي وأهل بيته قبل خلق الخلق، فكانوا أشباحاً مطيفين بالعرش، وكان الأنبياء منذ آدم يتوسلون بهم، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» هو الشاهد على الأنبياء، وكان يعرف ولديه، وما يجري عليهما، فلماذا لا يريه الله تعالى قصر ولديه في الجنة، حتى قبل خلق ولديه، وأمهما أيضاً؟!

ثانياً: إن المعراج برسول الله «صلى الله عليه وآله» قد حصل أكثر من مرة، ويبدو: أن القرآن ذكر مرتين منهما:

إحداهما: في سورة الإسراء.

والثانية: في سورة النجم.

وفي بعض الروايات: أنه أسري به مئة وعشرون مرة[1].

الرواية ليست مدسوسة:

وقال بعض الإخوة: إن رواية القصرين مدسوسة، لأنها تزعم أن الحسنين

---

(1) بحار الأنوار ج18 ص387 وج23 ص69 ونور الثقلين (تفسير) ج3 ص98 وكنز الدقائق (تفسير) ج7 ص300 والبرهان (تفسير) ج3 ص481 والخصال ج2 ص601 والصراط المستقيم ج2 ص40 والمحتضر للحلي ص244 وحلية الأبرار ج1 ص421 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص149 وبصائر الدرجات ص99.

«عليهما السلام» شكًّا في قول جدهما: إنهما سيدا شباب أهل الجنة، كما يفهم من قول الإمام الحسن لأخيه: «لقد صح حديث جدي فيَّ وفيك الخ..».

ونجيب:

بأن المراد بالصحة: هو التحقق الخارجي، وليس المراد الصحة مقابل الكذب.. لأن الإخبار عن الصحة بمعنى التحقق الخارجي، لا يلازم الإخبار عن شك المتكلم في صحة قوله «صلى الله عليه وآله» وعدم تصديقه به.

حياء جبرئيل:

1 ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين يرى تلك التفضلات الإلهية، ومنازل الكرامة والزلفى لأبنائه، فإنه يدرك سبب الاختلاف بين القصرين، ولكنه أراد أن يسمع ذلك من جبرئيل، ليكون مستنداً له في نسبة الخصوصية المتوخاة من هذا الاختلاف إلى البيان الإلهي، ويخرج بذلك عن كونه مجرد إدراك بشري، لأن الاستناد إلى البيان الإلهي يترك أثراً أعظم في نفوس الناس.

2 ـ إن الله عز وجل قد زود الإنسان بقدرات هائلة، يمكنه أن يسخِّرها في الحصول على مراداته، ومنها: العقل، والاختيار، والقوة الجسدية، بل وحتى الغريزة الجنسية، وحب المال، واللذات.. زوده أيضاً بأحاسيس، ومشاعر، وحالات، وسمات، وصفات، وأخلاق وغير ذلك..

وهذا كله يمكن أن يسخِّره في الحصول على مراداته الشريرة أو الخيِّرة، حسب ما يختار ويقرر..

ويمكن أن يخص الآخرة بقسط وافر من اهتماماته، ويشرف عليها بوعيه وفكره، وينجذب إليها بتمنياته وآماله، أو يصدف عنها، وينغمس في دنياه

إلى أبعد الحدود، انقياداً مع الهوى، وطاعة للنفس الأمارة بالسوء.

والله يريد له أن يحقق ذاته، ويجسد إنسانيته، وأن يجعل الدنيا مزرعة للآخرة، بمعنى أن يكون موجوداً قوياً، وفاعلاً، ومؤثراً، في تحويل حياته إلى منجم حافل بالبركات، زاخر بالمكرمات، غني بالقوة، والشجاعة، والحزم، ومفعم بالحنو، والحب، والرحمة، معتصم بالإباء، والسخاء، والوفاء، والشمم، وطامح لبلوغ أعلى القمم، بالعلم والمعرفة، والرصانة والحكمة، والاتزان والجد، والاجتهاد والعطاء.

وأن يكون جامعاً لكل الصفات التي يحب الله تعالى أن يراها فيه، ليكون النموذج الأمثل لمن يعمر الكون ويبنيه، لا لمن يفسده ويرديه.

إنه يريده أن يحيا حياة بأعلى درجاتها، وأجمل وأكمل حالاتها، حتى وهو يستشهد ويقتل، فتكون شهادته فوزاً لا خسراناً وفقداً، حتى إذا انتقل إلى الآخرة يجد نفسه قادراً على أن يعيش حقائقها بكل طاقاته وإمكاناته، ليكون تطبيقاً عملياً لقوله تعالى: **﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[1].

3 ـ ونود الإشارة إلى أن حياء جبرئيل الذي اعتذر به للرسول «صلى الله عليه وآله»، ربما كان لأنه «عليه السلام» كان يعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أدرك من أول وهلة سبب الاختلاف بين القصرين.. فأراد أن يعيد جبرئيل عليه ذكر ذلك السبب مرة أخرى، فلم يرد جبرئيل «عليه السلام» أن يستحضر النبي في ذهنه تلك الصور المؤلمة، لأنه يريد للنبي أن يكون

---

(1) الآية 64 من سورة العنكبوت.

مستحضراً لمعاني السعادة والكرامة في أجلّ وأبهى حالاتها.

النظر في ملكوت السماوات:

1 ـ عن رقيَّة بن مصقلة، قال: لما حضر الحسن بن علي (الموت) قال: أخرجوني إلى الصحراء لعلي أنظر في ملكوت السماء، يعني الآيات، فلما أخرج به قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس علي. [في نص آخر: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإني لم أصب بمثلها]، وكان له مما صنع الله له أنه احتسب نفسه(1).

ثم تضرع إلى ربه قائلاً: اللهم أني احتسب نفسي عندك، فإني لم أصب بمثلها، فارحم صرعتي، وأنسي في القبر وحدتي، وارحم غربتي، يا أرحم الراحمين.

قال ابن عساكر: إلى الصحراء، وهو تصحيف، وإنما هو إلى الصحن.

2 ـ وفي نص آخر: لما نزل بالحسن بن علي «عليهما السلام» الموت،

---

(1) راجع: تهذيب الكمال ج6 ص253 ووفيات الأعيان ج2 ص67 وحلية الأولياء ج2 ص38 والمعجم الكبير ج3 ص70 ومجمع الزوائد ج9 ص178 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص285 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص212 و 213 والعوالم ج16 ص280 وبحار الأنوار ج44 ص138 وكشف الغمة ج2 ص386 و 387 و 419 و (ط دار الأضواء) ج2 ص191 ومطالب السؤول ج2 ص20 وسير أعلام النبلاء ج3 ص274 ـ 275 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج8 ص47 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص736 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص211.

قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار.

فأخرج، فقال: اللهم أني احتسب نفسي عندك، فإني لم أصب بمثلها[1].

3 ـ قال العجلي في ذكر الحسن «عليه السلام»: «لما احتضر الحسن بن علي قال: ادعوا لي رجالاً أشهدهم على شيء.

فلما دخلوا عليه، قال: أشهدكم أني أحتسبت نفسي عند الله»[2].

ونقول:

1 ـ إن نظر الإمام إلى ملكوت السماوات يؤكد له على عظمة الله وجلاله في نفسه، وحكمته في تدبيره، وقدرته، وعلمه، وسائر صفاته، كما أنه يذكِّر الإنسان بعظيم نعمه عليه، وجليل أياديه لديه. وهو يشهد على كرمه، ورحمته، ورأفته، وتفضلاته، وما إلى ذلك..

وكل ذلك يجعل الإنسان يشعر بعجزه عن القيام بواجب شكره تعالى، ويتمثل أمام عينيه قصوره عن أداء أصغر حقوقه عليه، فضلاً عن أكبرها..

---

(1) كشف الغمة ج2 ص424 و 358 و 359 و (ط دار الأضواء) ج2 ص206 و 210 والمجالسة للدينوري ص476 والجليس الصالح للقاضي النعماني ج4 ص141 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص285 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص213 ومطالب السؤول ص365 وتاريخ يحيى بن معين ج1 ص366 و 367 وتهذيب الكمال للمزِّي ج6 ص254 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص70 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص557 وج33 ص497.

(2) تاريخ الثقات للعجلي ص117 والتحفة اللطيفة للسخاوي ج1 ص283 ومعرفة الثقات ج1 ص298.

وحينئذٍ تهون عليه نفسه، ويسخو بها في سبيل الله، ولا يرى لها قيمة أمام عظمة الله، ولا تساوي شيئاً أمام جزيل كرمه، وجلائل عطاياه تبارك وتعالى.

ولأجل ذلك رأينا: أنه «عليه السلام» حين أخرج ليرى ملكوت الله هان عليه احتساب نفسه عند الله، مع أنها أعزّ شيء لديه، ولم يكن هناك محل للشعور بقيمتها أمام عظمته تبارك وتعالى، وكان هذا الاحتساب من أعظم مفاخره، وأجلّ مآثره «عليه السلام»، كما أشير إليه في الرواية، بالقول: «وكان له مما صنع الله: أنه احتسب نفسه».

2 ـ ولعل استحضار الشهود كان لأجل التأكيد على هذا المعنى التعليمي، الذي يريد تعميمه على الناس، وجعله محط أنظارهم، ليكون أشرف الناس، وأفضلهم، وأقربهم إلى الله، هوأسوتهم، ومثلهم الأعلى.

جزع الإمام حين الاحتضار:

1 ـ روى الجنابذي: أنه لّما حضرت الحسن بن عليّ «عليهما السلام» الوفاة كأنّه جزع عند الموت!

فقال له الحسين «عليه السلام» ـ كأنّه يعزّيه ـ: يا أَخي! ما هذَا الْجَزَعُ؟! إِنَّكَ تَرِدُ عَلى رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» وَعَلِيّ «عليه السلام»، وَهُما أبواكَ، وَعَلى خَديجَةَ وَفاطِمَةَ، وَهُما أُمّاكَ، وَعَلَى الْقاسِمِ وَالطّاهِرِ، وَهُما خالاكَ، وَعَلى حَمْزَة وَجَعْفَر، وَهُما عَمّاكَ.

فقال له الحسن: أي أخي! إنّي أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله، وأرى خلقاً من خلق الله، لم أر مثله قط.

قال: فبكى الحسين «عليه السلام»[1].

2 ـ عن أبي الحسن الرضا، عن آبائه «عليهم السلام» قال: لما حضرت الحسن بن علي بن أبي طالب «عليه السلام» الوفاة بكى.

فَقِيلَ لَه: يَا ابْنَ رَسُولِ الله، أَتَبْكِي ومَكَانُكَ مِنْ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» الَّذِي أَنْتَ بِه، وقَدْ قَالَ فِيكَ رسول الله «صلى الله عليه وآله» مَا قَالَ، وقَدْ حَجَجْتَ عِشْرِينَ حَجَّةً مَاشِياً، وقَدْ قَاسَمْتَ رَبَّكَ مَالَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّى النَّعْلَ بِالنَّعْلِ؟!

فَقَالَ «عليه السلام»: إِنَّمَا أَبْكِي لِخَصْلَتَيْنِ: لِهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وفِرَاقِ الأَحِبَّةِ[2].

3 ـ وعن الإمام الصادق «عليه السلام»، قال: لما حضرت الحسن بن

(1) كشف الغمة ج2 ص424 و 359 و (ط دار الأضواء) ج2 ص174 و 210 و (ط أخرى) ج1 ص552 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج8 ص47 ـ 48 وتاريخ الخلفاء ص211 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص738 ومعارج الوصول ص79 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص286 و 287 وتهذيب الكمال ج6 ص254 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص214 و 215 ونظم درر السمطين ص203 وراجع: تاريخ ابن معين ج1 ص366 ـ 367 وتاريخ الخلفاء ص74 وبحار الأنوار ج44 ص150 والأمالي للصدوق ص184.

(2) العوالم ج16 ص284 والأمالي للصدوق ص184 و (ط مؤسسة البعثة) ص291 وعيون أخبار الرضا ج1 ص236 و (ط الأعلمي) ج1 ص271 وبحار الأنوار ج6ص159 وج43 ص332 وج44 ص150 وج79 ص175 ومرآة العقول ج5 ص353 والكافي ج1 ص461 وروضة الواعظين ص451 ومستدرك الوسائل ج7 ص260 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص316.

علي «عليه السلام» الوفاة بكى بكاء شديداً، وقال: إني أقدم على أمر عظيم، وهول لم أقدم على مثله[1].

ونقول:

1 ـ لقد لفت نظرنا: ذكر الحسين «عليه السلام» للقاسم والطاهر، مع أنهما حين ماتا كانا طفلين..

ولعل من أسباب ذكرهما:

أولاً: ما روي، من أنه لو ترك النبي ولداً ذكراً لكان نبياً[2]. كما ورد في

---

(1) الخرائج والجرائح ج1 ص242 وبحار الأنوار ج44 ص154 عنه، والعوالم ج16 ص291 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص463.

(2) راجع: بحار الأنوار ج22 ص458 وج24 ص264 وج65 ص54 وحلية الأبرار ج2 ص409 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص347 ومسند أحمد ج3 ص133 وفتح الباري ج10 ص477 وتخريج الأحاديث والآثار ج3 ص115 والجامع الصغير ج2 ص433 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص469 و 470 وج12 ص455 وكشف الخفاء ج2 ص156 و 157 و 158 وتفسير أبي حمزة الثمالي ص360 وتفسير فرات الكوفي ص586 والبرهان (تفسير) ج5 ص720 وتفسير كنز الدقائق ج14 ص383 وتاريخ مدينة دمشق ج3 ص139 والإصابة ج1 ص319 و 320 وأسد الغابة ج1 ص40 والبداية والنهاية ج5 ص331 وإمتاع الأسماع ج5 ص340 والمحاضرات والمحاورات ص306 والسيرة النبوية لابن كثير ج4 ص612 و 613 والخصائص الكبرى ج2 ص265 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص25 و 26 وتأويل الآيات الظاهرة ج2 ص832 وينابيع المودة ج2 ص52 و 80 و 100 وغاية المرام ج3 ص301

بعض النصوص عن أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وهذه فضيلة لنبينا «صلى الله عليه وآله» ليست لغيره، كما دل عليه حال أبناء يعقوب «عليه السلام»، فيما جرى على يوسف «عليه السلام».

ثانياً: إن ما قاله الإمام الحسين «عليه السلام» إنما يجريه وفق ما يفهمه الناس، وهو: أنه أراد تأنيسه، وأنه يقدم على من هو أفضل وأكرم عند الله، وسيجد هناك كل نعيم يفقده بفراق الدنيا، بل ما هو أعظم من كل نعيم، وهو نعيم شامل وكامل، وإلى أقصى الدرجات، ومنه نعيم الكون مع أفضل الخلق، وسيد الوصيين، وسيدة نساء العالمين، وهم أقرب الناس إليه، وأعزهم عليه..

وكل واحد ممن ذكرهم يغذي حاجة من الأنس والرضا، تكمل الحاجات التي يغذيها الباقون.

2 ـ لقد حصرت الروايات الجزع الجائز بموارد، ليس منها هذا المورد، ولكن شدة رهبة الإمام الحسن «عليه السلام» من هول المطلع، وما يراه من أمور لم ير مثلها قط، قد بدت وكأنها جزع من الموت، ولذا قالت الرواية: كأنه جزع عند الموت، وألمحت إلى أن الإمام الحسين «عليه السلام» أراد أن يعزي أخاه بقوله: «ما هذا الجزع». أي قد يحسبه الناس جزعاً، وهو ليس كذلك.

وقد جاء جواب الإمام الحسن «عليه السلام» لأخيه ليبين: أن دخوله في أمور لم يدخل مثلها، ورؤيته خلقاً من خلق الله لم ير مثله قط هو ما أثار عاطفته وبكاءه..

وذخائر العقبى ص156.

أما نفس الموت، فلم يكن هو سبب بكاء الإمام الحسن «عليه السلام» ورهبته لم تكن لأجل فراق الدنيا، بل بسبب الأمور التي رآها مما لم يكن يتوقعه، ومن الأهوال التي عاينها، ويخشاها.

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: إنه يبكي لهول المطلع، وفراق الأحبة، وليس هذا من مفردات الجزع المذموم.

لا يفارقهم العقل ما دامت الروح فيهم:

حكي أن الحسن «عليه السلام» لما أشرف على الموت قال له الحسين «عليه السلام»: أريد أن أعلم حالك يا أخي.

فقال له الحسن: سمعت النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: لا يفارق العقل منا أهل البيت ما دام الروح فينا. فضع يدك في يدي، حتى إذا عاينت ملك الموت أغمز يدك.

فوضع يده في يده، فلما كان بعد ساعة غمز يده غمزاً خفيفاً، فقرب الحسين أذنه إلى فمه، فقال: قال لي ملك الموت: أبشر، فإن الله عنك راض، وجدك شافع[1].

ونقول:

قد يسأل سائل عن سبب رغبة الحسين «عليه السلام» بمعرفة ما يجري لأخيه «عليه السلام» حين احتضاره.. ألم يكن يكفي ما كان قد سمعه من

---

(1) بحار الأنوار ج44 ص160 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص44 و 45 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص204 والعوالم ج16 ص284.

جده وأبيه «صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما»، وما ظهر له من علم الإمامة الذي حباه الله به؟!

ويمكن أن يُجاب:

أولاً: لعل ذلك جاء على قاعدة: **﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾**(1).

ثانياً: إنه «عليه السلام» كان يريد أن يُعلم الناس: أن ثمة فرقاً بين حالات الإمام عند الموت، وبين حالات غيره، وخصوصاً فيما يرتبط بالعقل والإدراك، فإن قدراته العقلية والإدراكية لا يعرض لها أي نقص أو اختلال، حفظاً لمقام الإمامة والشاهدية له على الخلق إلى أن ينتزع ملك الموت روحه من بدنه بصورة تامة.

وقد ظهر هذا من إخبار الإمام الحسن لأخيه «عليهما السلام» لحظة حضور ملك الموت بحضوره، وأخبر أيضاً بما بشر به ملك الموت نفسه.

وهما بشارتان، فقد قال له:

1 ـ إن الله عنك راضٍ.

2 ـ وجدُّك شافع.

وبذلك يعلم: أن ملك الموت أيضاً يحمل معه البشائر لأهلها..

ثالثاً: إن هذه البشارة: بأن الله راضٍ عن الإمام الحسن «عليه السلام» تدل على أنه تعالى راضٍ عن جميع أعماله، وسياساته، وحربه، وسلمه، وهدنته

(1) الآية 260 من سورة البقرة.

مع البغاة عليه، وغير ذلك..

فهذه البشارة قد جاءت لتصوب جميع أفعاله «عليه السلام»، وتخطئة من انتقده أو اتهمه فيها.. وقد ظلمه كل من نسب إليه الخطأ، أو القصور، أو التقصير، أو زعم أنه بهدنته قد أذلَّ المؤمنين، أو ما إلى ذلك.

رابعاً: إن إخبار الإمام الحسن «عليه السلام» في لحظة احتضاره على لسان ملك الموت نفسه: بأن جدَّه شافع، يبدو وكأنه يحمل تهديداً، أو تحذيراً لمن يصرّ على اتهامه «عليه السلام» في حياته، وبعد موته بما هو بريء منه ـ تهديدهم ـ بالحرمان من شفاعة جده «صلى الله عليه وآله».

فما بالك بمن سل السيف على جنازته بعد موته، لكي يحرمه من تجديد العهد بقبر جده «صلى الله عليه وآله»، ثم يرمي جنازته بالسهام، حتى سل منها عشرات السهام.

وما حال من يعلن أنه لا يحب الإمام الحسن «عليه السلام»، ويأمر بتنحية جنازته عن بيت جده، مع أنهم هم أنفسهم كانوا وراء إدخال من لا قرابة لهم بالرسول إلى بيته من غير إذنٍ منه «صلى الله عليه وآله»؟!

إلى آخر ما هنالك مما يندى له جبين الإنسان الحر خجلاً وألماً..

فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون..

ما أشد ما أوذيَ الإمام الحسن ×:

ونريد أن نذكر هنا عينة تعطي الانطباع عن مدى الأذى الذي تعرض له الإمام الحسن «عليه السلام»، حتى إن هذا الأذى كان يلاحقه ويأتيه من بعض من ينسب نفسه إليه إلى حين كان سم الأعداء يفتك في بدنه..

فعن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد قال: حدثني رجل منا قال: أتيت الحسن بن علي «عليه السلام»، فقلت: يا ابن رسول الله، أذللت رقابنا، وجعلتنا معشر الشيعة عبيداً، ما بقي معك رجل.

قال: ومم ذاك؟!

قال: قلت: بتسليمك الأمر لهذا الطاغية.

قال: والله ما سلمت الأمر إليه، إلا أني لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكني عرفت أهل الكوفة، وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم، ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون، ويقولون لنا: إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا.

قال: وهو يكلمني إذ تنخع الدم، فدعا بطست، فحمل من بين يديه ملئ مما خرج من جوفه من الدم.

فقلت له: ما هذا يا بن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! إني لأراك وجعاَ؟!

قال: أجل، دسّ إلي هذا الطاغية من سقاني سماً، فقد وقع على كبدي، وهو يخرج قطعاً كما ترى.

قلت: أفلا تتداوى؟!

قال: قد سقاني مرتين وهذه الثالثة، لا أجد لها دواء الخ..[1].

ونقول:

(1) الإحتجاج للطبرسي ج2 ص 11 وبحار الأنوار ج 44 ص 147 والعوالم ج16 ص281 و 282.

لا نريد هنا، سوى لفت نظر القارئ الكريم إلى قوله «عليه السلام»: ما سلمت له الأمر، فإن الذي حصل الاتفاق عليه هو ترك القتال.. وبعد ذلك اعتبر معاوية: أن شروط الهدنة تحت قدميه، ثم استبد بأهل الكوفة، وأجبرهم على مبايعته تحت طائلة التهديد والوعيد.. وذلك بعد مغادرة الإمام الحسين «عليه السلام» إلى المدينة فيما يظهر.

ولم يكن يمكن منعه من ذلك، لعدم وجود الناصر، كما تقدم بيانه..

ولم يكن قد حصل بين الإمام الحسن «عليه السلام» وبين ذلك الطاغية، أو من أرسلهم.. أي كلام عن تسليم الخلافة والحكم إلى معاوية..

كما أن هذا النص قد تضمن هذا الكلام المؤلم للإمام الحسن «عليه السلام»، الذي حقق أعظم إنجاز في أضعف حالاته، وعدوه في أعلى درجات القوة، وإذا بأصحابه أنفسهم يجعلون من هذا الإنجاز العظيم معولاً يهدمون به عزه، ويضيعون جهاده وجهده.. وكأنهم بفعلهم هذا يجسدون مصداق قول القائل:

أريــد حياتــه ويريــد قــتلي عذيرك مـن خليلـك مـن مـرادي

موعظة الحسن لجنادة:

1 ـ وعن جنادة بن أبي أميَّة رواية مطولة مختصرها: أنه دخل على الإمام الحسن «عليه السلام» في مرضه الذي توفي فيه، وقال له: يا مولاي، ما لك لا تعالج نفسك؟!

فقال: يا عبد الله، بماذا أعالج الموت؟!

ثم التفت «عليه السلام» إليه، فقال: والله لقد عهد إليَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منا إلا مسموم أو مقتول.

ثم دفع الطست، وبكى «صلوات الله عليه وآله».

قال: فقلت: عظني يا ابن رسول الله.

قال: نعم، استعد لسفرك..

ثم أتحفه بموعظة عظيمة، ومهمة مذكورة في المصادر المشار إليها في الهامش.

قال جنادة: ثم انقطع نفسه، واصفر لونه، حتى خشيت عليه الخ..[1].

2 ـ عن عمر (عمير) بن إسحاق، قال: دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي «عليهما السلام» نعوده (في مرض موته)، فقال: يا فلان، سلني (حاجة)!

فقال: لا والله، لا أسألك حتّى يعافيك الله، ثم أسألك.

قال: ثم دخل الخلاء، ثم خرج إلينا، فقال: سلني قبل أن لا تسألني.

قال: بل يعافيك الله ثم أسألك.

قال: لقد ألقيت طائفة من كبدي، وإنّي سقيت السّمّ مراراً، فلم أسق مثل هذه المرّة.

قال: ثمّ دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين «عليه السلام» عند رأسه، فقال: يا أخي، من تتهم؟!

---

(1) كفاية الأثر ص226 وبحار الأنوار ج44 ص138 وج27 ص217 وج36 ص340 عنه، والعوالم ج16 ص280 و 281 والأنوار البهية ص91.

قال: لم؟! لتقتله؟!

قال: نعم.

قال: إن يكن الّذي أظن، فالله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً، وإن لم يكن، فما أحب أن يقتل بي بريء ثمّ قضى «عليه السلام»[1].

ونقول:

1 ـ إن الحديث عن رواية جنادة يحتاج إلى جهد ووقت طويل، وقد يكون ذلك مما لا يساعد عليه الحال، كما أنه قد لا يحتمله هذا الكتاب، فاكتفينا بهذه النقاط اليسيرة، لكي ننوه بأهميتها، وندل على مكانتها..

2 ـ إنه «عليه السلام» قد جعل لعلاج أي مرض أمداً مرتبطاً بعامل استمرار ومتابعة إلى أن ينتهي إلى غاية ونهاية، ولعل مما يدخل في هذا المجال أن يكون ثمة أمل ولو كان ضئيلاً بنجاعة العلاج، فإذا فقد هذا الأمل، ولم يعد هناك فائدة، أصبح الإنسان معـذوراً في تركه، لأن العلاج ليس من

---

(1) كشف الغمة ج2 ص190 و 207 وبحار الأنوار ج44 ص138 عنه، والعوالم ج16 ص179 ومدينة المعاجز ج3 ص375 وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج8 ص631 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص282 ـ 283 وتهذيب الكمال ج6 ص251 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص46 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص207 ح334 وراجع ص208 ح336 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص390 ومطالب السؤول ص365 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص737 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص209 ونظم درر السمطين ص202 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص225 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص170 وج26 ص578 وج33 ص541.

الواجبات التعبدية لنفسه، بل هو واجب لغيره.

3 ـ إنه «عليه السلام» بادر في هذه المناسبة إلى إبلاغ جنادة أمراً أساسياً آخر، وجعل «عليه السلام» من مرضه مناسبة لإبلاغه إياه، وهو ذو فروع هي:

الأول: تأكيد إمامته وإمامة سائر الأئمة الاثني عشر، الذين لم يكن أكثرهم قد ولد بعد.

الثاني: إنهم «عليهم السلام» يملكون من العلوم والمعارف الغيبية وسواها ما يميزهم عن غيرهم من الناس، ليكون ذلك شاهد صدق على معنى الإمامة فيهم.

الثالث: إنهم يعرفون كيف يموتون من خلال عهد من رسول الله «صلى الله عليه وآله» خصهم به.

4 ـ إن جنادة لم يكتف بما سمع، بل طلب من الإمام «عليه السلام» وهو في حالة صعبة من معاناة آثار السم: أن يعظه، مع أن الناس في ظروف كهذه يصرفون النظر عن تكليف من هو بهذه الحالة، بما يحتاج إلى جهد أو تعب.

5 ـ إن جنادة لو لم يكن يعلم: بأن هذا الطلب يمنح الإمام سروراً وبهجة، وسعادة لم يقدم عليه.

ويشهد لذلك: إصرار الإمام «عليه السلام» في حديث عمر بن إسحاق، على ذلك الرجل: بأن يسأله، مع أنه كان في أشد حالات المعاناة أيضاً.. ومن يكون في مثل هذه الحالة يكون في العادة منشغلاً بنفسه وآلامه.. ولا يستدرج أسئلة الناس.

وهذا يعطي: أن الإمام «عليه السلام» يريد أن يقدِّم أمثولة صريحة في رعاية جانب المسؤولية إلى حدِّ استنفاد آخر رعشة يمكن أن تختلج فيه.

والآلام الشخصية تصبح بنظره «عليه السلام» هي الوقود الأغلى الذي يغذي حركته نحو إنجاز الواجبات، وتحقيق الأهداف الكبرى في مهمة إعمار الكون، وإعداد الإنسان لأرقى وأعلى درجة يمكن أن يبلغها الإنسان الكامل في حياته، لكي يعيش السعادة والفوز بأقصى ما لديه من إمكانات.

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

هكذا فارق الحياة:

عن جنادة بن أبي أمية قال ـ وهو يصف حال الإمام الحسن «عليه السلام» حين وفاته ـ: ثمّ انقطع نفسه، واصفرّ لونه حتّى خشت [خشيت] عليه، ودخل الحسين «صلوات الله عليه» والأسود بن أبي الأسود.

فانكبّ عليه حتّى قبّل رأسه وبين عينيه، ثمّ قعد عنده وتسارّا جميعاً، فقال أبو الأسود (لعل الصحيح ابن أبي الأسود): إنّا لله، إنّ الحسن قد نعيت إليه نفسه.

وقد أوصى إلى الحسين «عليه السلام»[1].

ونقول:

---

(1) الآية 64 من سورة العنكبوت.

(1) كفاية الأثر ص228 و 229 وبحار الأنوار ج44 ص140 والعوالم ج16 ص280 والأنوار البهية ص91 و 92.

إن مسارّة الإمام الحسين «عليه السلام» لأخيه بحضور الآخرين ليست من التناجي المذموم، لأنها نجوى بين مشرف على الموت، وبين أهله الأقربين الذين يحتاج إليهم، لإلقاء وصاياه إليهم فيما يهمه، فما بالك إذا كان إماماً يريد أن يوصي الإمام من بعده بما هو مسؤول عنه؟!

كما أن المصلحة تقضي: أن يدل الإمام المفارق الناس على الإمام الذي يكون بعده، ويرجعهم إليه، ويسلمه مقاليد الإمامة..

وهذا ما فهمه الأسود بن أبي الأسود حين تسارّ الحسنان «عليهما السلام» في تلك اللحظة الحساسة، ولذلك قال: إن الحسن «عليه السلام» نعيت إليه نفسه.

كما أن الرواية صرحت: بأن الحسن أوصى للحسين «عليهما السلام».

على أن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا كان يكفي لمن أنصف، وألقى السمع وهو شهيد.. ولكن أكثر الناس يحتاجون إلى وضع الإصبع في داخل عيونهم، لكي لا يجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق.

الفصل الثالث

وصايا الإمام ×..

بداية:

هناك أنواع من الوصايا للإمام الحسن «عليه السلام»:

أحدها: ما يرتبط بمراسم تغسيله، وتكفينه، وتحنيطه، والصلاة عليه، ودفنه، ومكانه، ومن يتولى ذلك.

ثم ما يرتبط بتشييعه، وزيارة قبر جده، وكيفية التعامل مع مناوئيهم إذا أرادوا القيام بأي عمل سلبي، فيما يرتبط بهذه الأمور، والتشديد على عدم إراقة الدماء في هذا السبيل، حفظاً لكرامة رسول «صلى الله عليه وآله».

وهذا يشبه ما فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في فتح مكة، وما فعله الإمام الحسين «عليه السلام» في المدينة ثم مكة حيث آثر الخروج منهما لحفظ حرمة مكة والكعبة، وكان من جملة أهداف خروجه من المدينة حفظ كرامة الرسول «صلى الله عليه وآله».

الثاني: وصاياه لأخويه الإمام الحسين ومحمد ابن الحنفية معاً، ووصيته لمحمد ابن الحنفية على الخصوص.. ووصيته «عليه السلام» للحسين على حدة أيضاً.

ووصيته لجنادة ابن أبي أمية، ووصيته إلى ولده القاسم شهيد كربلاء حول ما يفعله يوم كربلاء.

الثالث: ما أظهر البحث العلمي: أنه وصية مكذوبة ومنسوبة للإمام الحسن إلى أخيه الإمام الحسين «عليهما السلام».

ونحن نبدأ هنا بهذا القسم الأخير، ثم نعقّب بالحديث عن القسم الثاني، ثم يكون القسم الأول هو آخر ما نشير إليه، لأنه مرتبط بما جرى حين تشييع جنازته «عليه السلام».

وبعدما تقدم نقول:

نص الوصية المكذوبة:

قال أبو عمر: وروينا من وجوه: أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه: يا أخي، إن أبانا رحمه الله تعالى لما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» استشرف لهذا الأمر، ورجا أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر.

فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف لها أيضاً، فصرفت عنه إلى عمر.

فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم، فلم يشك أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان.

فلما هلك عثمان بويع، ثم نوزع، حتى جرد السيف، وطلبها فما صفا له شيء منها.

وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت، النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة، فأخرجوك؟!

قال: وقد كنت طلبت إلى عائشة، إذا مت أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقالت: نعم .. وإني لا أدري لعلها كان ذلك منها حياء.

فإذا أنا مت فاطلب ذلك إليها، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها، وما أظن القوم إلا سيمنعونك، إذا أردت ذلك، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني، في بقيع الغرقد، فإن فيمن فيه أسوة.

فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة، فطلب ذلك إليها، فقالت: نعم وكرامة.

فبلغ ذلك مروان، فقال مروان: كذب وكذبت، والله لا يدفن هناك أبداً، منعوا عثمان من دفنه في المقبرة، يريدون دفن الحسن في بيت عائشة؟!

فبلغ ذلك الحسين، فدخل هو ومن معه في السلاح، فبلغ ذلك مروان فاستلأم في الحديد أيضاً.

فبلغ ذلك أبا هريرة، فقال: والله ما هو إلا ظلم، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه، والله إنه لابن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم انطلق إلى الحسين، فكلمه، وناشده الله، وقال له: أليس قد قال أخوك: إن خفت أن يكون قتال فردوني إلى مقبرة المسلمين؟! فلم يزل به حتى فعل، وحمله إلى البقيع، فلم يشهده إلا ... (إلى أن قال: إن) خالد بن الوليد بن عقبة ناشد بني أمية أن يخلوه يشاهد الجنازة، فتركوه، فشهد دفنه في المقبرة، ودفن إلى جنب أمه فاطمة «رضي الله عنها وعن بنيها أجمعين»[1].

---

(1) الإستيعاب ج1 ص391 و (المطبوع مع الإصابة) ص376 ـ 378 والبداية والنهاية ج8 ص173 وراجع: تاريخ الخلفاء ص193 والمنح المكية في شرح القصيدة الهمزية، ونفحات الأزهار للجيلاني ج4 ص244 وسير أعلام النبلاء

وقال ابن حجر الهيثمي:

«ومرّ قول أخيه الحسن له: إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك، فيخرجوك، ويسلموك، فتندم ولات حين مناص. وقد تذكر ذلك ليلة قتله، فترحم على أخيه الحسن «رضي الله عنهما»[1].

وقد ذكر ذلك: الشلي الحضرمي، ومحمد الصبان المصري أيضاً[2].

ونقول:

مؤاخذات على الوصية المزعومة:

إن هذه الوصية مكذوبة على لسان الإمام الحسن «عليه السلام» لأسباب كثيرة، نذكر منها ما يلي:

أولاً: إنها تقول: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «استشرف لهذا الأمر، ورجا أن يكون صاحبه».

وهو كلام غير مقبول.. فإن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يعلم بما جرى يوم الغدير، حيث نصب رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً بأمر من الله تبارك وتعالى ولياً للمؤمنين.. ونزلت الآيات القرآنية في ذلك: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ**

ج3 ص278 وذخائر العقبى ص244 ومكاتيب الأئمة للعلامة الأحمدي ج3 ص68 و 69 وخلاصة عبقات الأنوار ج4 ص244.

(1) الصواعق المحرقة ص83.

(2) المشرع الروي ص45 وإسعاف الراغبين (هامش نور الأبصار) ص183.

يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1].. فإن قوله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»: **﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾** لا يناسب القول: بأنه تعالى تدخَّل على نحو القهر والجبر لإبعاد علي عن الخلافة، وإبعادها عنه.

وبعد بيعة الناس له «عليه السلام» بالولاية نزل قوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِينًا﴾**[2].

ونزل في مناسبة تصدق أمير المؤمنين بالخاتم أثناء ركوعه في الصلاة، قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[3].

وكذلك الحال بالنسبة لآية المباهلة، وآيات كثيرة أخرى.

هذا كله عدا عن أنهم منعوا النبي «صلى الله عليه وآله» من أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، وقالوا عنه: «إنه يهجر».

وهل لم يكن الإمام الحسن «عليه السلام» عالماً بعشرات النصوص الصادرة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ولاية أمير المؤمنين، وبقية الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام»؟!

فلا معنى لادِّعاء: أن علياً «عليه السلام» طمع بالخلافة، أو استشرف لها بعد موت النبي «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: ما معنى قوله: «فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر»؟! هل معناه: أن

---

(1) الآية 67 من سورة المائدة.

(2) الآية 3 من سورة المائدة.

(3) الآية 55 من سورة المائدة.

ولاية أبي بكر وما جرى في سقيفة بني ساعدة، وصرف الأمر عن علي «عليه السلام» كان بطريقة الجبر الإلهي، الذي يمثل القول به جرأة على الله سبحانه، وهو قول لا ريب في بطلانه؟!

وادِّعاء بأن تولي أبي بكر للخلافة كان بتوفيق من الله، لا يتلاءم مع ما ارتكبوه في حق فاطمة الزهراء وعلي والحسنين «عليهم السلام» من أجل وصولهم إلى الخلافة.

وهل يصح القول: بأن الله تعالى هو الذي هاجم الزهراء «عليها السلام»، وأسقط جنينها، وكسر ضلعها.

ثالثاً: قول هذه الوصية عن علي «عليه السلام» بعد أن بويع بعد قتل عثمان: «ثم نوزع، حتى جرد السيف، وطلبها فما صفا له شيء منها» غير سديد، وذلك لما يلي:

ألف: إن منازعة طلحة والزبير في حرب الجمل بعد نكثهما تجعلهما باغيين على الإمام، وهو الإمام الشرعي، فالمحاربون له «عليه السلام» هم العاصون لله تعالى، ومنازعتهم له لا تعني فقدانه للخلافة حكماً، فإن البغي لا يقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً، ولا فقدان الخلافة في الواقع العملي، فقد بقي خليفة مقتدراً متصرفاً، ولم يحصل أي اختلال في ممارسته صلاحياته..

فلا معنى لقولهم: «طلبها»، فإنه لم يفقدها لكي يطلبها.

ب: ولا معنى لقول هذه الوصية: «فما صفا له شيء فيها»، فإن علياً «عليه السلام» لم يكن يريد أن يجعل الخلافة بقرة حلوباً، تدرُّ عليه المنافع والنعم، بل كان يريدها لإصلاح أمر الناس، وحلّ مشاكلهم، وهدايتهم،

وتربيتهم، وغير ذلك مما لا يخفى على أحد فيما يريد من خلافته.. وهو: أن يحق الحق، ويبطل الباطل، ولا يزال ذلك في متناول يده ولم يتغير شيء.

رابعاً: في المجاميع الحديثية والتاريخية نصوص كثيرة، تدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر علياً بما يجري له من بعده، وأعطاه توجيهاته في كيفية التعامل مع القوم.

ومن النصوص المعروفة في ذلك: أن عمر أمر أعوانه حين الهجوم على أمير المؤمنين لأجل البيعة وترددهم وخوفهم منه «عليه السلام»، فقال لهم عمر: عليكم بالرجل[1]، لأنه كان قد علم بأنه موصى[2].

فعلي «عليه السلام» كان يعمل وفق التكليف الشرعي الذي حدده له رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو يعلم: بأن حقه سوف يغصب منه، فما معنى الحديث عن تشوفه للخلافة، ورجائه أن يكون صاحبها، ثم تسير الأمور على خلاف ما يرجو ويتوقع، وكأنه لم يكن عارفاً بمآل الأمور؟!

إلا أن يدَّعى ـ والعياذ بالله ـ أنه لم يكن يصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله».

خامساً: إن القوم قد ارتكبوا جرائم عديدة في حق أهل البيت «عليهم السلام»، فقد اعتدوا على الزهراء بالضرب واللطم، وكسر جنبها، واسقاط

(1) راجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص18 و (تحقيق الشيري) ج1 ص28 وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص115.

(2) راجع: الإحتجاج للطبرسي ج1 ص291 ـ 292 وبحار الأنوار ج29 ص425 ـ 426 وبيت الأحزان ص87 ـ 88.

جنينها، وكشف بيتها، ومحاولة إحراقه عليها، وأخذ زوجها مكبلاً إلى البيعة، وغير ذلك، فإذا كان وصول الأمر إلى أبي بكر بالجبر الإلهي، فلِمَ احتاجوا إلى ارتكاب كل هذه الجرائم والموبقات، والقبائح؟!

إلا أن يدَّعوا: أن الله تعالى هو الذي حركهم، وسيرهم إلى فعل ذلك بدون اختيار، ورضاً منهم..

سادساً: زعمت الوصية المدَّعاة: أن علياً «عليه السلام» لم يشك بعد موت عمر: أن الشورى العمرية لن تعدوه وسيكون هو الفائز فيها.. مع أن تصريحات علي «عليه السلام» التي ذكرنا شطراً منها في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» تدل على أنه كان يعلم بأن الشورى سوف تنهي الأمر لصالح عثمان..

سابعاً: قول الوصية المزعومة: «وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت، النبوة والخلافة»، غير سديد، ولا رشيد، فلاحظ ما يلي:

ألف: كيف علم الإمام الحسن: أن الله تعالى لا يجمع لأهل البيت النبوة والخلافة، وجهل أبوه «عليه السلام» هذا الأمر، واستشرف إليه، ورجاه تارة، وظن أن الشورى العمرية لن تعدوه أخرى؟!.

وما هذا الفشل المتواصل له «عليه السلام»؟! وما هذا القصور في تقدير الأمور؟!

ب: إن الله سبحانه قد جمع النبوة والخلافة في بني هاشم، فكان محمد «صلى الله عليه وآله» هو النبي، وكان علي هو الخليفة لعدة سنوات، وكان الحسن نفسه خليفة لعدة أشهر أيضاً، فكيف لا يلتفت الإمام الحسن «عليه

السلام» إلى هذه الأمور، وقد عاشها ومارسها بنفسه؟!

ج: إن هذه الكلمة إنما أطلقها أبو بكر، وصدَّقه بها عمر بن الخطاب(1). ويريد أتباعهما تسويقها وإشاعتها، ليبثوا اليأس في نفوس الهاشميين، ولينصرف الناس عنهم، استناداً إلى هذه الكلمة.

د: هل أطلع الله عمر دون سواه على غيبه، وقراره هذا في أمر الخلافة والنبوة، ولم يخبر به نبيه ووصي نبيه؟!

وهل إن هذه الكلمة كانت مجرد فتوى من عمر، وعلى الله تعالى ـ والعياذ بالله ـ أن يقلده فيها، ويجريها في عباده دون مناقشة؟!

ثامناً: قول الوصية المزعومة: إن الإمام الحسن قال لأخيه «عليهما السلام»: «فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك». يرد عليه ما يلي:

ألف: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قد سمع من جده «صلى الله عليه وآله»، ما يجري على الإمام الحسين «عليه السلام» من أهل الكوفة، وكان يراه يبكي على الحسين، ويلعن قتلته، بل ويسمي قاتله باسمه، ويذكره بوصفه.

ولو كان سوف يستخفه أهل الكوفة، فلماذا لم يحذره جده، وأبوه من

---

(1) راجع: الإحتجاج للطبرسي ج1 ص218 وبحار الأنوار ج31 ص416 وج30 ص316 وج82 ص266 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص335 وراجع ج2 ص342 وكتاب سليم بن قيس ص187 و 203 و 269 والعقد النضيد ص112 وغاية المرام ج2 ص102 وج6 ص104 واليقين لابن طاووس ص310 ـ 311 وخلاصة عبقات الأنوار ج4 ص245 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج2 ص350.

طاعتهم، إلى أن أسدى الإمام الحسن هذه النصيحة لأخيه في وصيته هذه؟! ولماذا لم يطعه فيها، بأن يمتنع عن إجابة طلب أهل الكوفة منه؟!

ب: إن استخفاف السفهاء للشخص ليس أمراً محموداً فيه، وقد قال تعالى عن فرعون: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ**﴾(1).

والإستخفاف بالشخص: هو أن يزين شخص له الأمور بطريقة يفقد معها رجاحة العقل، ويخف تأثيره عليه، ويتضاءل مستوى وعيه وتفكيره.

وأكثر ما يحصل ذلك.. حين يطلق صاحب المال والسلطة، وعوده، وإغراءاته.. ويداعب مشاعر الناس بما يطلقه من شعارات، ويثير فيهم من عصبيات، ويحرك أطماعهم، ويهيمن عليهم، وعلى مشاعرهم..

وأن يفقد الإنسان رجاحة عقله، وسلامة تفكيره، ويصبح أسير الهوى والعصبيات، والغرائز ليس بالأمر المحمود، بلا ريب.

ج: إن الإمام الحسين «عليه السلام»، كان إماماً بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكيف يجعل الله إماماً يتمكن السفهاء من الهيمنة عليه، إلى حدّ أنهم يوردونه المهالك مع أهل بيته وأصحابه، كما حدث مع الحسين في عاشوراء؟! وكيف يقع الإمام المعصوم والمطهر في شرك السفهاء، وينخدع بإغراءاتهم؟! وأين عنه تسديد الله تعالى، ورعايته له، ولطفه به؟!

وهل إغراءات السفهاء أشد تأثيراً من حبائل إبليس، الذي يقول الله تعالى عنه: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾(2).

---

(1) الآية 54 من سورة الزخرف.

(2) الآية 99 من سورة النحل.

وقال عز وجل حكاية عن أبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(1).

أليس السفهاء يستمدون ضلالهم وحبائلهم من إبليس نفسه.. على أن لنا الحق في أن نتساءل عن السبب في صيرورة السفهاء أقدر على الإغواء من إبليس، حتى لقد تمكنوا بتسويلاتهم وتزييناتهم: أن يغتالوا عقل أفضل الخلق وأعلمهم، وأحكمهم، وهو إمام للبشر إلى يوم القيامة؟!

د: إذا كان السفهاء يملكون هذه القدرات، حتى بالنسبة للإمام المعصوم والمسدد من الله، فما حال سائر الناس، حتى من كان منهم راجح العقل، ومن أولي الألباب؟!

هـ: يبدو لنا: أن هذه الأقاويل تهدف إلى تبرئة جميع المخالفين لأهل البيت «عليهم السلام» من جميع ارتكاباتهم، فهي تبرئ الخلفاء الثلاثة، وتدَّعي: أن الله هو الذي صرف الأمر إليهم، وتبرئ عائشة مما فعلته مع جنازة الإمام الحسن «عليه السلام» بعد موته، وتبرئ يزيد، وجيش يزيد من قتل الحسين «عليه السلام»، وتجعل الذنب كله على الإمام الحسين «عليه السلام»، فإنه هو الذي استخفه سفهاء أهل الكوفة، ولم يكن من حقه أن يطيعهم، فهو المسؤول عما كسبت يداه..

و: ويبقى هنا سـؤال: من الذي دعـا الإمام المعصوم، وهو الأفضل، والأعلم، والأحكم، ليدخل في أجواء السفهاء، الذين يفترض بكل عاقل

---

(1) الآية 82 و83 من سورة ص.

أن يبتعد عنهم؟!

هذه الوصية تزوِّر الحقائق:

وبعدما تقدم نقول:

لم يقتصر الأمر على ما تقدم، بل رأينا: أن هذه الوصية تتعمد تزوير الحقائق في مجالات عديدة، فلاحظ ما يلي:

من لبس السلاح أولاً؟!:

ذكرت الرواية: أن الإمام الحسين «عليه السلام» حين توفى أخوه، وأراد دفنه، بادر إلى لبس السلاح هو وأتباعه، فلما بلغ ذلك مروان استلأم.. أي لبس لامة الحرب، ولبس السلاح، فكان ما فعله مروان ردة فعل على ما فعله الإمام الحسين «عليه السلام» ومن معه..

وهذا غير صحيح، فإن مروان ومن معه من بني أمية وأشياعهم هم الذين لبسوا السلاح أولاً، كما دلت عليه سائر النصوص التي قد نشير إلى طائفة منها فيما يأتي.

الحسن يستأذن عائشة:

ذكرت الوصية المزعومة: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان قد استأذن عائشة: أن يدفن في بيتها، ثم طلب من أخيه: أن يعيد الطلب منها، ليعلم: أن نفسها تطيب بدفنه في بيتها، مع أنه «عليه السلام» كان يعلم: أنهم سيمنعون من دفنه عند جدِّه، فإن فعلوا ذلك، فليدفنه في بقيع الغرقد، أسوة بالمدفونين فيه.

ونقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يملّك نساءه بيوتاً.. بل أسكنهن في بيوت له.

والشاهد على ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» قد مات عن تسع نساء كنّ يسكنّ في بيوته «صلى الله عليه وآله»، وبعضهنّ متن في حياته، فأين بيوت هؤلاء النسوة؟! ولماذا لا نسمع عنها شيئاً؟! فإن كان بعضهن قد بعن بيوتهن كسودة[1]، كما يزعمون. فهل ورث باقي النسوة أقاربهن، أو وقفنه، أو وهبنه لأحد، أم ماذا؟!

أما نسبة البيوت للنساء في قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾[2].. ففيه:

أولاً: إن نسبة البيوت إليهن لا تعني ملكيتهن لها، لأن النسبة تصح بأدنى ملابسة.. ومنها خصوصية السكن.

والشاهد على ذلك: أن من استأجر بيتاً وسكن فيه، فإن البيت ينسب إليه، فيقال: بيت فلان، ودخل إلى بيته، وخرج من بيته، ويقول لمن أحب: تعال إلى بيتي..

ثانياً: قد نسب الله تعالى هذه البيوت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، فقال: ﴿**لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾[3].

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يدفن في بيت عائشة، بل دفن في

---

(1) وفاء الوفاء ج2 ص464 وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج6 ص35 ومعرفة السنن والآثار ج4 ص427 وتاريخ مدينة دمشق ج28 ص190.

(2) الآية 33 من سورة الأحزاب.

(3) الآية 53 من سورة الأحزاب.

بيت ابنته فاطمة «عليها السلام»، لأن بيت عائشة كان في قبلة المسجد، وبابه يفتح إلى جهة الشام، والنبي «صلى الله عليه وآله» مدفون في شرقي المسجد، وقد كان النبي في بيت عائشة في أول مرضه، ثم انتقل إلى بيت فاطمة «عليها السلام»، فقد روي: أن النبي خرج في مرضه إلى المسجد، فصلى، وخفف الصلاة، ثم انطلق به علي «عليه السلام»، وأسامة إلى بيت فاطمة، فجاء حتى وضع رأسه في حجرها.. ثم استأذن ملك الموت عليه، وقبض روحه[1].

رابعاً: ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج33 بحثاً مفصلاً يثبت: أن بيت عائشة كان إلى جهة القبلة، وبابه يفتح إلى جهة الشام[2]. وقبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» شرقي المسجد إلى جهة البقيع.

ويشهد لذلك قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين كان في بيت عائشة، حين كان الناس يصلون في المسجد، كشف الحجاب، فكاد الناس أن يفتنوا حين رأوا رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا يدل على أنه كان في قبلة المصلين[1].

---

(1) الأمالي للصدوق (ط النجف سنة 1391هـ) المجلس الثاني والتسعون ص569 و (ط مؤسسة البعثة) ص732 و (ط أخرى) ص507 وروضة الواعظين ص71 وبحار الأنوار ج22 ص509.

(2) راجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج33 فصل: أين دفن النبي؟!

(1) راجع: البخاري (ط سنة 1309هـ) ج3 ص61 وج1 ص82 و (ط دار الفكر) ج1 ص183 وج2 ص60 وج5 ص141 والرواية وإن كانت قد ذكرت إقرار

خامساً: إن من المعلوم: أن الزوجات لا يرثن من الأرض، فإن كانت عائشة قد ورثت شيئاً، فيكون من البناء كالجدران والسقف.

أما الأرض، فترثها فاطمة «عليها السلام»، ولا يحق للزوجات منع الوارث من التصرف بأرضه التي ورثها.

سادساً: بالنسبة لادِّعاء: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ملّك الحُجَر لزوجاته في حياته، نقول:

ألف: إننا نطالبهم بالشواهد على هذا التمليك.

ب: إن لم يكن عندهم دليل ذلك، فنحن نملك الأدلة على تمليك الزهراء فدكاً، وقد أقبضها إياها في حياته، وكان عمالها فيها، فلماذا غصبوها منها «عليها السلام» بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»، وطردوا عمالها منها؟!

سابعاً: إن زعموا أن الزهراء حرمت من فدك ومن إرثها، لأن الأنبياء لا يورثون، فنقول لهم:

إذا كانوا لا يورثون، فكيف ورثت عائشة النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم ترث فاطمة أباها؟!

ثامناً: لو سلمنا جدلاً: أن الزوجة ترث من الأرض أيضاً، فإن نصيب

النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي بكر على الصلاة لكن ذلك غير صحيح. ولهذا البحث مجال آخر. وراجع: البحار ج28 ص144 وعمدة القاري ج6 ص3 وج7 ص280 وج18 ص69 وصحيح ابن خزيمة ج2 ص41 وج3 ص75 وصحيح ابن حبان ج14 ص587 والثقات لابن حبان ج2 ص130 والطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص217 وسبل الهدى والرشاد ج12 ص305.

جميع الزوجات هو الثمن فقط من حجرة عائشة، ونصيب عائشة منها تسع الثمن من الحجرة، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» مات عن تسع نساء.. فيكون ما بقي من الحجرة بعد التسع للسيدة فاطمة «عليها السلام».

ولذلك قالوا لعائشة:

لـــك التســـع مـــن الـــثمن وفي الكل تملكـت (أو تصـــرفت)

تاسعاً: إن عائشة بدفنها أباها، ثم عمر بن الخطاب قد تصرفت بالثمن كله ـ لا بالتسع منه ـ بدون وجه حق، فلماذا تمنع الوارث الحقيقي من دخول البيت الذي جعله الله تعالى له؟! وكيف جرّت باؤها، ولم تجرّ باء غيرها؟!

عائشة لم توافق على دفن الحسن ×:

ذكرت هذه الوصية المزعومة: أن عائشة كانت قد وافقت على طلب الإمام الحسن أن يدفن في بيتها، ولكنه «عليه السلام» احتمل أن تكون قد وافقت حياءً، فأمر أخاه الحسين «عليه السلام» أن يطلب منها ذلك، فإن طابت نفسها بدفنه في بيتها فبها، وإن منع القوم من ذلك، فلا يراجعهم في ذلك، وليدفنه في بقيع الغرقد.

فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة يطلب منها ذلك، فأجابت لكن مروان منع من ذلك.

وهذا كلام ظالم ومجاف للحقيقة من جهات عديدة، نذكر منها:

ألف: إنها تنفي ضمناً جميع الأدوار والمواقف السلبية لعائشة، وتستبدلها بأضدادها..

فهي في هذه الرواية تبدو محبة لأهل البيت «عليهم السلام»، وللإمام الحسن «عليه السلام»، مع أنها حاربته وأباه وشيعتهم يوم الجمل، كما أن هذه الرواية تنفي أن تكون عائشة قد قالت: نحّوا ابنكم عن بيتي، ولا تدخلوا بيتي من لا أحب..

هي تبذل أموالها، حتى بيتها الذي تملكه لهؤلاء الأعداء، ليدفنوا فيه موتاهم.

وهي لم تتزعم المهاجمين لجنازة الإمام الحسن «عليه السلام»، وهي راكبة على بغلة.

وهي لم تحرّض بني أمية على بني هاشم في مناسبة دفن الإمام الحسن «عليه السلام».

وهي لم تتسبب برمي جنازة الإمام الحسن بالسهام في هذه المناسبة حتى سلّ منها سبعون نبلاً[1].

كما أن هذا النص المزعوم ينسب للإمام الحسن «عليه السلام» إقراراً: بأن لها بيتاً، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دفن في بيتها، لا في بيت الزهراء «عليها السلام».

وفيه: تبرئة ضمنية لبني أمية من أيّة إساءة للإمام الحسن «عليه السلام» وحصر الإساءة بمروان.

---

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط الأضواء) ج4 ص42 ـ 44 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص204 وبحار الأنوار ج44 ص157 والأنوار البهية ص93 والعوالم ج16 ص286 والصوارم المهرقة ص161 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج33 ص544.

وقد أظهرت أيضاً شجاعة مروان النادرة، حيث واجه الحسين وبني هاشم المدّجين بالسلاح وحده.

وفيه: أن مروان ينسب الكذب للإمام الحسين «عليه السلام»، وينسب الكذب أيضاً لعائشة.

وقد بدا مروان في هذه الرواية عملاقاً، شجاعاً، قوياً، يواجه الحسين «عليه السلام»، وبني هاشم وهم في أوج حماسهم وانفعالهم العاطفي.

وفيه: إظهار لعدوانية الإمام الحسين «عليه السلام»، حيث كان هو البادي بلبس السلاح، هو ومن معه من بني هاشم.

كما أن الإمام الحسين «عليه السلام» لم ينفذ وصية أخيه، الذي أخبره أن القوم سوف يمنعونه «فإن فعلوا فلا تراجعهم».

وفيه: إظهار لأبي هريرة كمصلح عظيم، محب لأهل الحسن بن علي «عليهما السلام»، عارف بفضله.

مكافآت لأبي هريرة:

والأنكى من ذلك: أن أبا هريرة قد تفضّل وتكرّم على الإمام: بأن منحه وسام البنوة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، مشفوعاً بقسم منه بالله على صحة حيازته لهذا الوسام، وكأنه لم يضرب على صلعته في باب مسجد الكوفة، حين دخل مع معاوية الهدنة، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسول الله؟!

ثم روى حديث: من أحدث في المدينة حدثاً، فعليه لعنة الله، ثم قال:

«وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها».. فأجازه معاوية وأكرمه، وولاه المدينة[1].

بنو أمية تبخروا ولم يحضروا:

وفي هذا الحديث أيضاً: إبعاد لجميع بني أمية عن الساحة، باستثناء سعيد بن العاص، حتى لا يبقى أحد يمكن أن يتهم برمي الجثمان المقدس بالسهام، وليمكن ادِّعاء: أن الحسين «عليه السلام» قدّم سعيد بن العاص للصلاة على الإمام الحسن «عليه السلام».

كما أن هذا الحديث قد غيّب عائشة عن الساحة، فهي لم تأمر، ولم تنه، بل كانت مستقرة في بيتها مشغولة بالتهجد والعبادة، غافلة عما يجري.

هل دفن إلى جنب أمه فاطمة؟!:

يلاحظ: أن النص المتقدم يقول: إنه «عليه السلام» دفن إلى جنب أمه فاطمة، مع أن فاطمة «عليها السلام» قد دفنت ليلاً، وعفي موضع قبرها، ولا يزال موضع قبرها مجهولاً إلى يومنا هذا.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص67 عن الإسكافي، وشجرة طوبى ج1 ص96 وتحف العقول ص194 والإيضاح لابن شاذان ص491 والصراط المستقيم ج3 ص250 وكتاب الأربعين للشيرازي ص295 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص254 ـ 255 والنص والإجتهاد ص514 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص529 عن الأعمش، وقاموس الرجال ج11 ص555 وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص43 وأضواء على السنة المحمدية ص216 و 218 وشيخ المضيرة ص236 والكنى والألقاب ج1 ص179 وحياة الإمام الحسين للقرشي ج2 ص157 ونهاية الدراية للسيد حسن الصدر ص22.

والحقيقة هي: أنه «عليه السلام» دفن إلى جنب جدته فاطمة بنت أسد «رحمها الله»، والجدة أم، ولكن هؤلاء يريدون الإيحاء: بأن قبر الزهراء «عليها السلام» معروف، وليشكك الناس في قولهم: إنها ظلمت، ودفنت ليلاً، ولا يعلم موضع قبرها.

الحسين × يتذكر الوصية:

وتقدم في نص ابن حجر الهيثمي: أن الحسين «عليه السلام»: «قد تذكر ليلة قتله، وهي ليلة عاشوراء قول أخيه: إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك، فيخرجوك، ويسلموك، فتندم ولات حين مناص، فترحم على أخيه الحسن «رضي الله عنهما»».

ونقول:

يحق لنا أن نسأل الهيثمي عن المصدر الذي أخذ منه حديثه هذا.

ولو دلنا عليه، وكذا لو صحّ السند إليه، واستطعنا أن نعرف رواة الحديث، فإننا سوف نسأله عن كيفية اكتشاف الراوي لهذا التذكر الحسيني، هل رأى الحسين، وأخبره به؟! وكيف وصل إليه خبره؟!

وكيف خرج سالماً من بين حشود عساكر بني أمية، وقد كان الحسين في أشد الحصار من جيش يربو على ثلاثين ألف مقاتل.. وهو «عليه السلام» في قلَّة قليلة تعد بالعشرات، ولا تتعداها إلى ما هو أعلى منها؟!

أو أنه عرف ذلك بالوحي؟! أو أنها رؤيا رآها؟! أو أن هاتفاً شيطانياً هتف له وأخبره بهذا المضمون؟!

مروان في تشييع الإمام الحسن:

ونحب أن نعطف على ما سبق الرواية التالية:

عن جويرية بنت أسماء قالت: لما مات الحسن «عليه السلام» أخرجوا جنازته، فحمل مروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين «عليه السلام»: تحمل اليوم جنازته، وكنت بالأمس تجرّعه الغيظ؟!

قال مروان: نعم. كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال[1].

ونقول:

حدِّث العاقل بما لا يليق له، فإن لاق له، فلا عقل له.

هل يريدون منا أن نصدق أن مروان الذي جاء ببني أمية بالسلاح لقتال بني هاشم، ورموا جنازة الإمام الحسن بسبعين سهماً، أصابت كلها هيكل القداسة؟!

هل ترك سلاحه في تلك اللحظة، وتقدم إلى النعش الطاهر، وشارك في حمله إلى مثواه الأخير، ثم اعتبر أن حلم الإمام الحسن «عليه السلام» يوازي الجبال الراوسي؟!

وكيف رضي بنو هاشم أن يترك موقعه القتالي، ويدخل بينهم، ولا ينطق

---

(1) سير أعلام النبلاء ج3 ص276 وأنساب الأشراف ج3 ص300 ومقاتل الطالبيين ص82 وبحار الأنوار ج44 ص145 عن المدائني، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص13 و 51 والطبقات الكبرى لابن سعد (القسم غير المطبوع) ص91 وتذكرة الخواص ج2 ص66.

أحد منهم ببنت شفة تزعجه، وتسأله عن سبب هذا الإنقلاب المفاجئ؟!

ثم إنه حين مات معاوية، وطلب يزيد من الوليد بن عتبة أن يأخذ البيعة من الإمام الحسين، وحضر الحسين «عليه السلام» عند الوليد، وكان مروان حاضراً، أصر مروان على الوليد بأن يلزمه بالبيعة، أو القتل.. وجرت بينه وبين الحسين مشادة قوية، وخرج الحسين من بينهم سالماً، وتهيأ وخرج إلى مكة، ثم إلى كربلاء.

وأفاعيل مروان، وصلافته، وسعيه لإطفاء نور الله لا تكاد تخفى على من له أدنى اطِّلاع على تاريخه المخزي والمشين.

الفصل الرابع

وصايا الإمام العامة والخاصة..

بداية:

هناك عدة وصايا ذكرت للإمام الحسن «عليه السلام»، ليس فيها ما يوجب الخدشة في صحتها، وبعضها جاء في ضمن روايات ذكرت ما جرى في التشييع والدفن.

وسنذكر أولاً الوصايا التي أوصى بها الإمام الحسن «عليه السلام» أخاه الحسين «عليه السلام»، لضمان مسار الأمور مع المناوئين بصورة صحيحة.

ولكننا نذكر هنا الوصايا ذات الطابع التوجيهي العام، أو ما أوصى به إلى بعض الأشخاص، كوصية لابنه القاسم، ولأخيه محمد ابن الحنفية، وغيرهما.

ونبدأ بوصية الإمام الحسن لولده القاسم «رضوان الله تعالى عليه»، فنقول:

وصيته × لولده القاسم:

ذكروا: أن القاسم بن الحسن «عليهما السلام» استأذن عمّه الإمام الحسين «عليه السلام» في البراز لمحاربة أعدائه في كربلاء.. فلم يأذن له..

فجلس القاسم كئيباً مهموماً، باكياً، حزيناً، متألماً، فتذكر: أن أباه قد ربط له عوذة في كتفه الأيمن، وقال له: إذا أصابك ألم وهم، فعليك بحل العوذة وقراءتها، فافهم معناها، واعمل بكل ما تراه مكتوباً فيها.

فحلّ القاسم العوذة، وفضّها، ونظر إلى كتابتها، وإذا فيها:

يا ولدي قاسم..

أوصيك أنك إذا رأيت عمك الحسين «عليه السلام» في كربلاء، وقد أحاطت به الأعداء، فلا تترك البراز والجهاد لأعداء الله، وأعداء رسوله.. ولا تبخل عليه بروحك، وكلما نهاك عن البراز، عاوده ليأذن لك في البراز، لتحظى في السعادة الأبدية.

فعرض القاسم هذه الوصية على عمه الحسين «عليه السلام».. فأذن له بمبارزة الأعداء[1].

ثم ذكر في هذه الرواية: أن الإمام الحسين «عليه السلام» عقد للقاسم على إحدى بناته، وكانت مسماة له.

ونقول:

1 ـ إننا لا نريد الدخول في نقاش حول هذا الجزء الأخير، الذي لم نذكره من هذه الرواية، فيما عرف بعرس القاسم، وقد تكلمنا حوله في مواضع أخرى من كتبنا، ولكن نلفت النظر إلى الأمر التالي..

وهو: أن الإمام الحسن «عليه السلام» بالنسبة للقاسم والد، والإمام هو أكمل الخلق في عقله، وفي حكمته، وفي عاطفته، وفي حنوه، وفي رعايته، وفي رحمته ورأفته، وفي علاقته بأبنائه..

وكان القاسم ولداً قد ولد له «عليه السلام» في أواخر حياته، أي في سنة

(1) مدينة المعاجز ج3 ص366 ـ 367 عن الفخري، وعن المنتخب للطريحي ص372 و 373. وراجع: معالي السبطين ج1 ص457 وأسرار الشهادة ص306.

ست وأربعين للهجرة، وحين يبلغ الولد الثلاث أو الأربع سنوات.. فإن حنو الوالد لولده في هذه السن، وعطفه عليه، وتعلقه به يبلغ الذروة، وإذ بهذا الوالد يزود ولده برسالة تسهل عليه مواجهة السيوف، وملاقاة الحتوف في سبيل الله، وابتغاء مرضاته..

2 ـ كما أن هذا الولد، وهو القاسم حين يرى عمه بعد قتل أصحابه، وأهل بيته وحيداً، لا ناصر له ولا معين، مع أنه إنما يدافع عن دين الله، وعن المستضعفين ـ إن القاسم ـ يبذل كل جهده للدخول في تلك الحرب الضروس، ويتألم ويبكي، وتلتهب مشاعره، ويغمر قلبه وروحه شذا الشهادة، وينشد السعادة الأبدية، ويصر على نيل هذه الكرامة الإلهية، وهو لمَّا يبلغ الحلم.

ولم يكن ذلك منه لمجرد أنه يريد الدفاع عن عمه، فهو يعلم: أن عمه لاحقٌ به، ولكنه يريد أن يرى اسمه في السعداء، وروحه مع أرواح الشهداء، نصرة للحق، وإذلالاً للباطل وأهله..

3 ـ إن هذه الوصية تظهر: أن الأئمة «عليهم السلام» كانوا على علم بكل تفاصيل ما يجري في كربلاء، وأنهم يستعدون ويعدون لها ما تحتاج إليه في جميع الاتجاهات، ويتخيرون لها حتى الأشخاص، ومنهم مَن هو مِن فلذات أكبادهم، ومن حينها يكونون بعمر الورود، بعمر ثلاث أو أربع سنوات..

فما الذي جعل الإمام الحسن «عليه السلام» يختار ولده القاسم ليكون من شهداء كربلاء؟!

ألا يدل ذلك على أن الإمام الحسن «عليه السلام» إنما ينفذ خطة إلهية دقيقة وعميقة، وأن الله أعلمهم بالأشخاص وأسمائهم، وأوكل إليهم أمر

إعدادهم على النحو الأكمل، والأفضل، والأمثل؟!

وصيته × لجنادة بن أبي أمية:

وقد ألمحنا فيما سبق إلى وصية الإمام الحسن «عليه السلام» لجنادة بن أبي أمية، وأنها وصية رائعة جداً، وقد أتحفه بها في حال اشتداد وطأة السم عليه، وقد دخل عليه جنادة وبين يديه طشت يقذف فيه الدم، ويخرج كبده قطعة قطعة، بسبب السم الذي سقاه إياه معاوية «لعنه الله» بواسطة جعدة..

ثم طلب منه جنادة أن يعظه، وهو في هذه الحال الشديدة، فقال له:

نعم، استعدّ لسفرك، وحصّل زادك قبل حلول أجلك..

واعلم أنّك تطلب الدّنيا والموت يطلبك، [ولا كمل (تحمل) يومك الّذي له باب على لومك] الّذي أنت فيه.

واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك، إلّا كنت فيه خازناً لغيرك..

واعلم أن في حلالها حساباً، و [في] حرامها عقاباً، وفي الشّبهات عتاب [عتابا]، فأنزل الدّنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم تكن قد أخذت من الميتة، وإن كان العتاب، فإنّ العقاب يسير.

واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّوجلّ..

وإذا نازعتك إلى حصبة [صحبة] الرّجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته

زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة فاتك، وإن قلت صدّق قولك، وإن صلت شدّ صولك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلمة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتّ عنه ابتداك، وإن نزلت بك أحد الملمّات آساك [واساك]، من لا يأتيك منه البوائق، ولا يختلف عليك منه الطوالق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منفساً آثرك[1].

وصية الإمام الحسن إلى أخيه الحسين:

عن ابن عباس: أن الحسين «عليه السلام» دخل على أخيه الحسن «عليه السلام»، فسأله عن حاله، فأخبره أنه في آخر يوم من أيام الدنيا..

إلى أن أخبره بأنه رأى كبده في الطست، وأنه عرف غريمه، وقال له: فما أنت صانع به يا أخي؟!

قال الحسين «عليه السلام»: أقتله والله.

قال: فوالله لا أخبرك به أبداً حتى ألقى رسول الله، ولكن اكتب يا أخي:

«هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأنه يعبده حق عبادته، لا شريك له في الملك، ولا ولي له من الذل، وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً..

(1) كفاية الأثر ص228 و 229 ومكاتيب الأئمة ج3 ص63 وبحار الأنوار ج44 ص140 والعوالم ج16 ص280 والأنوار البهية ص91 و92.

وأنه أولى من عبد، وأحق من حمد، من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى.

فإني أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي، وولدي، وأهل بيتك: أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً، وأن تدفنني مع جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإني أحق به، وببيته ممن أدخل بيته بغير إذنه، ولا كتاب جاءهم من بعده.

قال الله (تعالى) فيما أنزله على نبيه «صلى الله عليه وآله» في كتابه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾[1].

فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده.

فإن أبت عليك الامرأة، فأنشدك بالقرابة التي قرب الله (عز وجل) منك، والرحم الماسة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن لا تهريق فيّ محجمة من دم، حتى نلقى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنختصم إليه، ونخبر بما كان من الناس إلينا بعده».

ثم قبض «عليه السلام»[2].

---

(1) الآية 53 من سورة الأحزاب.

(2) الأمالي للطوسي ص158 و (ط أخرى) ص703 و (ط دار الثقافة) ص160 وبحار الأنوار ج44 ص151 ـ 152 ومدينة المعاجز ج3 ص376 ـ 378 والعوالم ج16 ص287 وبشارة المصطفى ص417 وعيون المعجزات للمرتضى ص57 ـ 59 ومكاتيب الأئمة للعلامة الأحمدي ج3 ص78 والبرهان (تفسير)

ونقول:

هل هذا تناقض؟!:

ذكرت هذه الوصية: أن الإمام الحسن طلب من أخيه: أن يدفنه عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

لكن هناك وصية أخرى ذكرها في الكافي، وستأتي تقول: إنه أمر أخاه بأن يوجهه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليحدث به عهداً، ثم يصرفه إلى البقيع ليدفنه هناك[1]. فكيف نفسر هذا الاختلاف؟!

ونجيب:

بعد الإشارة إلى أن الوصية المكتوبة التي رواها ابن عباس، و ذكرناها آنفاً، تحمل سمات الوصية المعتمدة لمن يشرف على الموت، كما هو ظاهر لمن قرأها.

أما الوصية التي ذكرها في الكافي عن أبي جعفر فهي شفهية.

ويمكن أن يكون «عليه السلام» قد قال لأخيه هذا الكلام لاعتبارات

ج4 ص484 ونور الثقلين (تفسير) ج4 ص296 وكنز الدقائق (تفسير) ج10 ص421 وأعيان الشيعة ج4 ص79 وإثبات الهداة ج5 ص170.

(1) دلائل الإمامة ص160 والكافي ج1 ص302 وراجع ص300 وبحار الأنوار ج44 ص142 و ج102 ص264 وراجع ج17 ص31 وج97 ص125 ومرآة العقول ج3 ص313 و 305 والوافي ج2 ص339 والإرشاد ج2 ص17 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج3 ص164 و ج11 ص497 و (الإسلامية) ج2 ص835 وج8 ص363 ونور الثقلين (تفسير) ج4 ص295 وكنز الدقائق (تفسير) ج10 ص420 ومدينة المعاجز ج3 ص340 ودلائل الإمامة ص160.

حاضرة، أراد من خلالها أن يشير إلى ما يفيد في إيضاح بعض الأمور للناس، ويهيئ الذهنية العامة لمواجهة كيد أهل الباطل، بوعي، ووضوح في الرؤية، فنحى في كلامه منحى آخر، فإن لكل مقام مقالاً..

وبعدما تقدم نقول:

إن رواية الأمالي، وهي الوصية المكتوبة قد جاءت لتقرر الحكم الواقعي الأولي الثابت لموضوع الدفن عند النبي «صلى الله عليه وآله» لخصوص أهل البيت المعصومين المطهرين من حيث هو.. فذكرت: أن للإنسان أن يتصرف في الملك الذي يرثه، وكل مال يملكه بمختلف الوجوه، باقتضاء نفس مالكيته لذلك، ولا يحتاج إلى إذن من أحد..

ولكن عائشة قد أذنت بدفن أبي بكر وعمر في بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع وجود النهي عن ذلك لمن لا يملك شيئاً، فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾[1].

وحرمة النبي في حياته كحرمته بعد مماته، ولا يوجد لأبي بكر وعمر ملك ورثاه أو حصلا عليه ليجوز لهما التصرف فيه من موقع المالك بصورة تلقائية.

ولعلك تقول:

لكن دفن رسول الله في هذا المكان قد أوجد عنواناً يمنع من دفن الإمام الحسن عنده أيضاً، فكيف يوصي أخاه بدفنه عنده؟! وهذا العنوان هو لزوم رعاية حرمة الرسول بعد وفاته كما في حياته، ومن حرمته عدم جواز هتك

---

(1) الآية 53 من سورة الأحزاب.

حرمة بيته، بالدخول عليه، والدفن فيه من غير إذنه، وعدم جواز ضرب المعاول فوق رأسه.. فإن كان دفن الحسن حلالاً بسبب مالكيته للمكان، فقد وجد المانع، وأصبح حراماً بعده، فهو كالوضوء الذي كان واجباً، فلما صار مضراً وجب العدول إلى التيمم.

ونجيب:

بأن الإمام الحسن «عليه السلام» قد أجاب على هذا بقوله في وصيته المكتوبة: «ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده..» بعد أن ذكر: أن أبا بكر وعمر غير مأذونين في ذلك، وقد دخلا عليه «صلى الله عليه وآله» بغير إذنه.. فمن أُذن له في التصرف أحق ممن لم يؤذن له..

أي أن المانع الذي ذكر أنه طرأ بسبب دفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالمكان قد أزيل بصدور الإذن لهم بالتصرف ممن يحق له أن يأذن، وهو الله ورسوله.. تماماً كما أذن لعلي والحسن والحسين «عليهم السلام»: بأن يعيشوا، ويجنبوا في مسجد الرسول، ومنع سائر الناس بما فيهم أبو بكر وعمر بأن يفتحوا باباً إليه.

وبذلك يظهر: أن منع الإمام الحسن «عليه السلام» أخاه من الإصرار على استعمال حقه، إنما هو بسبب وجود مانع جديد أوجده الظالمون، وهو أنهم سوف يتخذون ذلك ذريعة لسفك الدماء..

وهذا غير المنع من الدخول بسبب عدم الإذن من الله ورسوله فيه..

ويمكن أن يفهم قول الوصية المكتوبة: «ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده»: أن هذا الجواز هو الحكم الأولي الثابت للموضوع من

حيث هو، فيجوز للإمام الحسن أن يتصرف بما ورثه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو أحق برسول الله وبيته من اللذين أدخلوهما بيته بغير إذنه. فتصح الوصية من الإمام الحسن: بأن يدفن مع النبي «صلى الله عليه وآله».

لكن رواية أبي جعفر في الكافي، ناظرة لمراعاة العنوان الثانوي الطارئ والناشئ عن دفن الرسول في المكان، حيث لا يجوز هتك حرمته، ودخول بيته بغير إذنه، كما لا يجوز أن يضرب بالمعاول، وأن يرفع الصوت فوق صوته.. إلا لمن كان من أهل البيت المعصومين، الوارثين والمالكين للمكان.. فإن هؤلاء قد أذن لهم في ذلك.

ويشهد لذلك: ما روي، من دفن الزهراء «عليها السلام» مع أبيها «صلى الله عليه وآله».. إن أخذنا بهذه الرواية، وسنذكرها فيما يأتي إن شاء الله.

فكل رواية تحدثت عن مجال.. فالوصية المكتوبة تهدف إلى إثبات أحقية الإمام الحسن «عليه السلام» بالبيت، وعدوانية الذين دفنوهم معه «صلى الله عليه وآله» لعدم وجود مُلك لهم، وليس لديهم إذن..

ورواية أبي جعفر، تريد بيان كيفية التعامل مع الواقع الجديد الذي نشأ بدفن الرسول في المكان، فلم يعد من الجائز ضرب المعاول فوق رأسه، ورفع الصوت فوق صوته، إلا بإذن خاص.

وقد ذكرت الرواية: أنه قد أذن للمعصومين المطهرين، المالكين للمكان دون سواهم بكثير من الأمور.

وما فعله الآخرون من دفن أبي بكر وعمر معه إنما هو معصية لله، ومخالفة شرعية ظاهرة، وعدوان على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجميع المقاييس.

إلف الناس للواقع المفروض:

وقد دفن أبو بكر وعمر في بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومضت عقود من الزمن على ذلك، والناس يألفون الواقع القائم، وهو يفرض عليهم نفسه بنفس وجوده، حتى لو كان أمراً مستهجناً في بداية وجوده، ولكن باعتياد الناس عليه تتضاءل لديهم حالة الإنكار له..

فإذا جاءت الأجيال اللاحقة، التي لم تعرف ما جرى، فإنها تتخذ من هذا الواقع ركيزة تبني عليها علاقة عاطفية، وتؤسس لاختراع خلفيات قد تكون أساطيرية، وتوغل في أعماق الغيب، لتسبغ عليها حالة من التقديس، وللإبهام والإيهام.

فكان لا بد للإمام الحسن «عليه السلام»، وهو أقدس إنسان على وجه الأرض، وأقرب الناس إلى مصادر الغيب، والمعرفة الصحيحة، من أن يعيد الأمور إلى نصابها، ويظهر زيف وسطحية، وسذاجة هذا التفكير مشفوعاً بحجج دامغة، وأن يقرن صرخته المحذِّرة من الوقوع في أفخاخ الترهات والأباطيل بحدث جلل وكبير، وخطير.

وكان اغتيال الإمام «عليه السلام» بسموم الحقد والغدر، وهو سيد شباب أهل الجنة، والمطهر المعصوم من كل خطل وزلل، وهو أعلم الخلق وأتقاهم، وأفضلهم، وهو ابن الرسول، وابن سيدة نساء أهل الجنة، وابن سيد الأوصياء.

كان هذا الإقتران بالإغتيال الحاقد والغادر، هو الكفيل بإسقاط غدر وحقد آخر، يهدف إلى اختراع قداسات وبركات، وتكريس اعتقادات تستنبط من متن الباطل، ومن عمق الجريمة، ومن لباب المعصية لله ولرسوله.

ومن المعلوم: أن هذا الاقتران من شأنه أن يمنح الحقيقة التي يساهم في كشفها عمراً مديداً، ويجعل لها أمداً بعيداً، وعمقاً وتجذراً شديداً، لأنه يستند إلى هزة وجدانية، ويقظة عقلية، ونفحة إيمانية تعيد الأمور إلى نصابها، وتميز الصواب عن الخطأ والحق من الباطل.. من خلال حفظ مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والتأكيد على مضامين الآيات القرآنية، وأحكام الشريعة المقدسة.

وقد أكد ذلك كله بإخباره عن أمر غيبي، وهو: أن المرأة ـ يعني عائشة ـ سوف تمنع من دخول جنازة الإمام الحسن «عليه السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن حصل ذلك حوّل «عليه السلام» الجنازة إلى البقيع، لكي يدفن هناك، وكانت هذه فضيحة للخط المعادي لأهل البيت ما بعدها فضيحة.

وصية الإمام للحسين ومحمد:

قال الدينوري: إن الحسن «عليه السلام» اشتكى بالمدينة، فثقل، وكان أخوه محمد ابن الحنفية في ضيعة له، فأرسل إليه، فوافى، فدخل عليه، فجلس عن يساره، والحسين عن يمينه، ففتح الحسن عينيه، فرآهما، فقال للحسين: يا أخي، أُوصيك بمحمّد أخيك خيراً، فإنّه جلدة ما بين العينين.

ثمّ قال: يا محمّد، وأنا أُوصيك بالحسين، كانفه ووازره.

ثمّ قال: ادفنوني مع جدّي «صلى الله عليه وآله»، فإن منعتم فالبقيع[1].

ثم توفي، فمنع مروان أن يدفن مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فدفن في البقيع.

---

(1) الأخبار الطوال ص221 ومكاتيب الأئمة ج3 ص61.

ونقول:

لفت نظرنا في هذه الوصية القصيرة أمور، مثل:

1 ـ أن وصيته «عليه السلام» لأخيه الإمام الحسين «عليه السلام» بأخيه خيراً قد جاءت لتدل على أن ملاكها الرعاية، والتسديد، والحفظ، والتربية والتعليم، وتولي الشؤون، وصلاح، وإصلاح، أو تنشئة، وكفالة، ورعاية واحتضان، وكل ما يحتاج إليه، مما هو خير..

2 ـ إنه «عليه السلام» قد علّل ذلك بقوله: فإنه جلدة ما بين العينين.

وفي هذه العبارة إشارات:

أولاها: أن جلدة ما بين العينين في الإنسان هي الموضع الشريف، والمنيع العزيز فيه.. بل هو الأشرف والأعز.

الثانية: إنه لم يقل: جلدة ما بين عيني، بل قال: «العينين»، ليشمل نفسه وأخاه، وربما كل من هو منهما، ويهمه ما أهمهما.

وواضح: أن الإنسان يحامي، ويدافع ويحفظ، ما بين عينيه، ويعمل على توفير كل ما يزيده شرفاً وكرامة وعزاً..

الثالثة: إن هذا التعبير يؤكد أن لابن الحنفية موقعاً متميزاً لدى الأخوين، فهو جزء منهما، وشديد الالتصاق بهما، وهو عظيم القيمة لديهما..

ويلاحظ: أننا لا نجد الإمام الحسن يحضر من إخوته أحداً غير الحسين «عليه السلام» ومحمد، ليسمعه وصاياه، أو أن هذين هما الأكبر سناً، والأعظم مكانة، وكان سائر إخوانهما يأتمرون بأمرهما، ولا يخرجون عن إرادتهما، بما فيهم العباس بن علي «عليه السلام» أيضاً.

3 ـ إن ما أوصى به محمداً تجاه أخيه الحسين «عليه السلام» أمران:

أولهما: أوصاه بأن يكانفه.

والمكانفة: هي الصون والحياطة والحفظ، وجمع ما ندَّ، وما شذَّ عنه وضمه إليه، وكانفه عاونه.

الثاني: الموازرة، وهي التقوية، وحمل الثقل عن الآخر، والمعونة له، والتدبير الصحيح، والتخفيف عنه.

وهذا يعطي: أن الإمام الحسن «عليه السلام» يريد من أخيه محمد: أن يحفظه، ويحفظ أخاه الحسين، ويجمع إليه ما تفرق عنه، كما أنه يريد منه أن يصونه من كيد الأغيار، وشر الأشرار، وأن يحمل عنه ما يثقل كاهله..

فالمهمة لا تستبطن تربية ولا تعليماً، ولا هداية، ولا تصحيح مسار، ولا تصويب خطأ، وليس فيها كفالة ورعاية، أو احتضان وإمداد بالعاطفة والرحمة، وما إلى ذلك.

4 ـ رأينا كيف أن الدينوري ـ كآخرين ـ يحصر الذنب فيما جرى على جنازة الإمام بمروان، فلا يشير إلى سواه، مع أن ابن عساكر والذهبي، وابن سعد ذكروا في روايتهم: أن مروان صاح في بني أمية، ولبسوا السلاح[1]. كما أن عائشة كانت على رأسهم تحرّضهم، وتصدر الأوامر والتوجيهات لهم.

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج13 ص292 وسير أعلام النبلاء ج3 ص276 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص222 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص86 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص589 ـ 590 عن مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ط دار الفكر) ج7 ص44.

وصيته × لابن الحنفية:

قال الكليني: وفي وصية الإمام الحسن «عليه السلام» لأخيه محمد بن علي (ابن الحنفية):

«..أما علمت أن الله تعالى جعل وِلد إبراهيم أئمة، وفضل بعضهم على بعض، وآتى داود زبوراً، وقد علمت بما استأثر الله به محمداً.

يا محمد بن علي، إني أخاف عليك الحسد، وإنما وصف الله به الكافرين، فقال الله تعالى: ﴿**كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ**﴾[1]، ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً.

يا محمد بن علي، ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟!

قال: بلى.

قال: سمعت أباك «عليه السّلام» يقول يوم البصرة: من أحب أن يبرني في الدنيا والآخرة فليبر محمداً ولدي.

يا محمد بن علي، لو شئت أن أخبرك، وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتك.

يا محمد بن علي، أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي، ومفارقة روحي جسمي إمام من بعدي، وعند الله تعالى في الكتاب وراثة من النبي «صلّى الله عليه وآله وسلّم»، أضافها الله تعالى له في وراثة أبيه وأمه، فعلم الله أنكم خيرة خلقه، فاصطفى منكم محمداً «صلّى الله عليه وآله وسلّم»، واختار محمد علياً «عليه السّلام»، واختارني علي بالإمامة، واخترت أنا الحسين.

---

(1) الآية 109 من سورة البقرة.

فقال له محمد بن علي: أنت إمام، وأنت وسيلتي إلى محمد «صلّى الله عليه وآله»، والله لوددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام.

ألا وإن في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء، ولا تغيره نغمة الرياح، كالكتاب المعجم، في الرق النمنم، أهم بإبدائه (بأدائه)، فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل، أو ما خلت به الرسل.

وإنه لكلام يكل به لسان الناطق، ويد الكاتب، حتى لا يجد قلماً، ويؤتى بالقرطاس حمماً، ولا يبلغ فضلك، وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة إلا بالله.

الحسين أعلمنا علماً، وأثقلنا حلماً.

وأقربنا من رسول الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» رحماً، كان فقيهاً قبل أن يخلق. وقرأ الوحي قبل أن ينطق.

ولو علم الله في أحد غير محمد خيراً ما اصطفى محمداً «صلّى الله عليه وآله وسلّم»، فلما اختار الله محمداً واختار محمد علياً، واختارك علي إماماً، واخترت الحسين، سلمنا ورضينا من [هو] بغيره يرضى و [من غيره]، كنا نسلم به من مشكلات أمرنا»[1].

ونقول:

لا نريد أن نتوسع في بيان ما تضمنته هذه الوصية من إشارات، ودلالات،

---

(1) الكافي ج1 ص300 ـ 302 والوافي ج2 ص337 وبحار الأنوار ج44 ص175 وإعلام الورى ج1 ص422 و 423 والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ص78 و 79 ومرآة العقول ج3 ص304 ـ 313 ومكاتيب الأئمة للأحمدي ج3 ص59 ـ 61.

ونكتفي بالإشارة إلى ما يلي:

1 ـ صرح هذا النص: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» قد اختار الإمام الحسين «عليه السلام» إلى الإمامة ـ مع أن الله تعالى هو الذي اختاره ـ ودلنا عليه رسول الله بقوله: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا. وبحديث: يكون بعدي اثنا عشر إماماً، أو خليفة أو أميراً.. هم كلهم من قريش، وقد سمتهم بعض الروايات بأسمائهم..

بالإضافة إلى قوله «صلى الله عليه وآله» أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة، وغير ذلك.

وإنما أراد الإمام الحسن أن يلزم المناوئين، الذين يثيرون الشبهات، ويتشبثون ولو بالطحلب لإبطال أو إضعاف أمر أهل البيت «عليهم السلام» ـ يلزمهم ـ بأن أمر الحسين هو أكثر صراحة ووضوحاً، وأشد تجنيداً ورسوخاً من أن يتمكنوا من إثارة الشبهة حوله، أو الريب معه.

فألزمهم «عليه السلام» بأنه قد أوصى هو إليه، وهو الإمام الفعلي الذي تجب طاعته، وله هو التصرف في الأمور فهو قد تلقى الإمامة من أبيه علي، وتلقاها علي من النبي، وأكدتها بيعة عشرات الألوف لعلي «عليه السلام» بالولاية يوم الغدير، بتدبير رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبإشراف ورعاية منه.

كما أنه إمام عند الله تعالى، فقد قال «عليه السلام» لمحمد ابن الحنفية:

«إن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي إمام من بعدي، وعند الله تعالى في الكتاب وراثة من النبي «صلّى الله عليه وآله وسلّم»، أضافها الله تعالى له في وراثة أبيه وأمه.

فعلم الله أنكم خيرة خلقه، فاصطفى منكم محمداً «صلّى الله عليه وآله وسلّم»، واختار محمد علياً «عليه السلام»، واختارني علي بالإمامة، واخترت أنا الحسين».

وبهذا وذاك يسد ذرائع أهل الأهواء،، ويقطع الطريق على الطامعين، ويسقط شبهاتهم، وتأويلاتهم السقيمة والأثيمة.

2 ـ إن ابن الحنفية قد أوضح بما لا مجال معه للشك أنه مسلم لإمامة أخويه، عارف بفضلهما، وصرح: بأن الحسين «عليه السلام» أعلمهم علماً، وأثقلهم حكماً. وأشار إلى أمر حاسم فيما يرتبط بإمامة الحسين «عليه السلام»، وهو التالي:

أولاً: إنه «عليه السلام» كان إماماً قبل أن يخلق.

ثانياً: إنه «قرأ الوحي قبل أن ينطق..».

وهذا وذاك لا يكونان إلا في من اختاره الله تعالى لهذا المقام الشريف.

ثالثاً: أشار «رحمه الله» إلى قاعدة عقلية ملزمة لكل ذي لب، وهي أن الله تعالى لا يختار محمداً، لو كان هناك من هو خير من محمد، لأن اختيار المفضول مع وجود الأفضل سفه، وظلم، وشطط، وادّعاء للباطل ليدحضوا به الحق.. وهو لا يصدر عن الله الحكيم العليم.. فلا معنى لما يزعمه بعض الجهلة، والخبثاء من نسبة هذا الفعل إلى ساحة قدس الله تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيراً. فيقول في مقدمة كتابه: الحمد لله الذي قدم المفضول على الفاضل لحكمة اقتضاها التكليف.

3 ـ يلاحظ: أن محمد ابن الحنفية يرى: أنه بحاجة إلى وسيلة توصله إلى

الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأن هذه الوسيلة هي إمامه القائم بالأمر فعلاً، وهو الإمام الحسن «عليه السلام»، ولم يعترض عليه الإمام الحسن حين قرر ذلك.

وهذا يفسر لنا قوله «صلى الله عليه وآله»: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب». فلم يسمح لأحد بتجاوز علي «عليه السلام» والدخول على النبي «صلى الله عليه وآله» مباشرة، فإنه هتك لحرمته، وتجاوز لأمره «صلوات الله عليه».

كما أن الوصول إلى الله تعالى يحتاج إلى وسيلة موصلة إليه، ولها به نوع أنس وانسجام، ولا يصل إلى الله تعالى من يتناقض معه في كل شيء، ولا يشبهه في شيء، لا في خلقه، ولا في عمله، ولا في صفته، ولا في غير ذلك.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[1].

وفي النصوص عن أهل البيت «عليهم السلام»: أنهم باب الله الذي منه يؤتى[2].

4 ـ وقول ابن الحنفية: «والله لوددت نفسي قد ذهبت قبل أن اسمع منك هذا الكلام»، لا يريد به عدم القبول بإمامة الحسين «عليه السلام»، بل

---

(1) الآية 35 من سورة المائدة.

(2) راجع: تهذيب الأحكام ج6 ص27 ومصباح المتهجد ص652 وإقبال الأعمال ج1 ص485 و 509 وفرحة الغري ص110 وكامل الزيارات ص101 والمزار لابن المشهدي ص236 و 245 و 579 و 635 والمصباح للكفعمي ص653 وبحار الأنوار ج99 ص107 وج97 ص274 و 340 و 342.

أراد به التعبير عن الألم والأسى من فقد أخيه وإمامه الفعلي. أعني: الإمام الحسن «عليه السلام».

5 ـ وقول الإمام الحسن «عليه السلام» لابن الحنفية: «يا محمد بن علي، لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتك» يشير إلى شمولية علمهم «عليهم السلام»، وهذا هو علم الإمامة، وقد ألمح إليه «عليه السلام» ليدله على أنه إنما يتكلم معه بما هو إمام، لا بما هو أخ وقريب وحبيب، ولا بما هو إنسان كسائر الناس، ولذلك قال له: يا محمد بن علي، ولم يقل له: يا أخي، ولم يقل له: يا محمد الدالة على رفع الكلفة بسبب طول العشرة.

6 ـ وقوله «عليه السلام»: «يا محمد بن علي، إني أخاف عليك الحسد وإنما وصف الله تعالى الكفار بالحسد».. إنما يريد به:

أولاً: تقرير وجود صفة الإيمان لدى محمد، من خلال إبراز تخوفه الحسد عليه، الذي يدل على أنه خال منه بالفعل...

ثانياً: هو يخاطب محمداً بملاحظة: أن محمداً لا يدَّعي العصمة لنفسه، وصفة الإيمان، وإن كانت اكتملت في نفسه، ولا مجال لزعزعة هذه الصفة فيه بصورة مباشرة، لكن الشيطان يلتف على النفس ويعمل على هذه الصفة بصورة خفية، من خلال إثارة حالة الحسد في نفسه، وتضخيم شعوره بأنانيته، ثم تسهيل العدوان على حرمات ليس له أن يعتدي عليها، وتمني سلب ما هو حق لها، مما حصلت عليه بكدها وجهدها.

وربما تعدى ذلك إلى العدوان على العزة الإلهية، باتهامها بعدم الإنصاف، والإخلال بسنَّة العدل، لأنها أعطت غيره وحرمته (مع أنه هو الذي حرم نفسه

بتقصيره في عمله).

ويتدرج في الابتعاد عن الله، ويغادر مواضع رضاه إلى مواضع سخطه، حتى يخرج من دائرة الإسلام والإيمان، ويصير في عداد أهل الكفر والطغيان.

فيريد الإمام لفت نظر أخيه إلى هذه الأمور الدقيقة، حتى لا يبتلى بهذا البلاء، وقد خاطبه كما يخاطب سائر الناس ليعرِّفه، أن الأمور إذا بلغت هذا الحد، فإن القرابة النسبية تفقد وهجها، وجدواها.

وهناك أمور أخرى تستفاد من هذه الوصية، وقد اكتفينا بهذا القدر رعاية منا لحال القارئ الكريم..

وصايا مراسم التشييع والدفن:

1 ـ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ يَقُولُ: لَمَّا احْتُضِرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ «عليهما السلام» قَالَ لِلْحُسَيْنِ: «يَا أَخِي، إِنِّي أُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا، فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَهَيِّئْنِي، ثُمَّ وَجِّهْنِي إِلَى رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» لأُحْدِثَ بِهِ عَهْداً، ثُمَّ اصْرِفْنِي إِلَى أُمِّي فَاطِمَةَ «عليها السلام»، ثُمَّ رُدَّنِي، فَادْفِنِّي بِالْبَقِيعِ.

واعْلَمْ أَنَّه سَيُصِيبُنِي مِنَ الْحُمَيْرَاءِ مَا يَعْلَمُ النَّاسُ مِنْ صَنِيعِهَا وعَدَاوَتِهَا للهِ ولِرَسُولِه «صلى الله عليه وآله»، وعَدَاوَتِهَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ»[1].

2 ـ قال ابن رستم الطبري: ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين «عليه

---

(1) راجع: الكافي ج1 ص300 وراجع ص302 ومدينة المعاجز ج3 ص340 ودلائل الإمامة ص160 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج3 ص164 و (الإسلامية) ج2 ص835 وبحار الأنوار ج44 ص142 ومرآة العقول ج3 ص313 ونور الثقلين (تفسير) ج4 ص295 وكنز الدقائق (تفسير) ج10 ص420.

السلام»: «إذا مت فغسلني، وحنطني، وكفني، وصلِّ عليَّ، واحملني إلى قبر جدي حتى تلحدني إلى جانبه..

فإن منعت من ذلك، فبحق جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأبيك أمير المؤمنين، وأمك فاطمة الزهراء «عليهما السلام» إن خاصمك أحد ردَّني إلى البقيع، فادفني فيه، ولا تهرق فيَّ محجمة دم»(1).

3 ـ وحسب نص عيون المعجزات: «ثم أوصى إليه، وسلَّم إليه الاسم الأعظم، ومواريث الأنبياء «عليهم السلام» التي كان أمير المؤمنين «عليه السلام» سلمها إليه، ثم قال: يا أخي، إذا مت فغسلني، وحنطني، وكفني، واحملني إلى جدي حتى تلحدني إلى جانبه.

فإن منعت من ذلك، فبحق جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأبيك أمير المؤمنين، وأمك فاطمة الزهراء «عليهما السلام» أن لا تخاصم أحداً، واردد جنازتي من فورك إلى البقيع حتى تدفني مع أمي «عليها السلام»»(2).

4 ـ وعن أبي حازم، قال: لما حُضِرَ الحسن قال للحسين: ادفنوني عند أبي ـ يعني النبي «صلى الله عليه وآله» ـ أما أن تخافوا الدماء، فإن خفتم الدماء، فلا تهريقوا فيَّ دماً، ادفنوني عند مقابر المسلمين(3).

5 ـ وقال القاضي النعمان ـ بعد أن ذكر أن الإمام الحسن «عليه السلام»

(1) دلائل الإمامة ص160 وبحار الأنوار ج44 ص141.

(2) عيون المعجزات ص58 ومدينة المعاجز ج3 ص372 وبحار الأنوار ج44 ص140.

(3) تاريخ مدينة دمشق ج13 ص288 وتهذيب الكمال ج6 ص254 وتهذيب التهذيب ج2 ص260.

أوصى للإمام الحسين «عليه السلام» ـ:

«وفوَّض الأمـر إليه، وأقامه المقام الذي أقـامه الله عز وجل ورسوله «صلى الله عليه وآله» فيه، ونص عليه في محضر من شيعته، وعرفهم أنه القائم في مقام الإمامة بعده، مع ما سبق إليهم، واطلعوا عليه فيهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن أمير المؤمنين «عليه السلام».

وأوصاه أن يدفنه مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إن لم ينازع في ذلك، [فإن] نازعه في ذلك منازع ترك ذلك، ودفنه في الجبانة إلى جانب أمه فاطمة «صلوات الله عليهما».

ثم ذكر: أن الأمر بلغ القوم، وأن مروان جمع بني أمية، وحشمهم، ومواليهم، وأخذوا السلاح، فقال «عليه السلام»: «أناشدك الله أن لا تهيج في هذا الأمر، وادفني مع أمي».

وتأكيد (لعل الصحيح: وبالغ في تأكيد) ذلك عليه، واستحلفه فيه، ومات الحسن «عليه السلام»[1].

6 ـ عن عروة بن الزبير: أن الحسن قال حين حضرته الوفاة: ادفنوني عند قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر، فإن خفتم الشر فادفنوني عند أمي[2].

7 ـ قالوا: إن الحسن أوصى إلى أخيه الحسين: إذا أنا مت فاحفر لي مع

(1) شرح الأخبار للقاضي النعمان ج3 ص124 ـ 128.

(2) جمل من أنساب الأشراف ج3 ص297 ـ 298 وراجع ص399 وأنساب الأشراف للبلاذري ج3 ص60 ـ 61 وراجع ص64 و65.

أبي، وإلا ففي بيت علي وفاطمة، وإلا ففي البقيع.. ولا ترفعن في ذلك صوتاً[1].

ونقول:

إننا قبل أن ندخل في تفاصيل ما جرى نود لفت النظر إلى بضع نقاط نجدها في نصوص هذه الوصايا وهي التالية:

1 ـ لقد كان من الطبيعي أن يكرر الإمام الحسن «عليه السلام» وصيته لأخيه في مجالس مختلفة، وفي أوقات متعددة، فإن الموضوع حساس جداً، ولا بد من توعية الناس على أبعاده ودلالاته، لكي لا يتوهم أحد أن الأمور قد جاءت عفوية، وانتهت بصورة سليمة وعابرة..

ولأن النوايا ربما لم تكن سيئة بالمقدار الذي يراد الإيحاء به. ولم تكن هناك خطط مدبرة، ولا توجيهات، ولا خلفيات، ولا من أمر ونهى، وحرَّض.. بل كل ما جرى هو انفعال عابر من شخص أو أكثر، ثم هدأت المشاعر، وعادت إلى المتسرعين والمندفعين عوازب أحلامهم، وكأن شيئاً لم يكن.

2 ـ ذكر النص المروي عن أبي جعفر «عليه السلام» قوله: «ثم وجهني إلى رسول الله، ثم اصرفني إلى أمي، ثم ردَّني وادفني في البقيع».

وإن هذه الأقاويل ليست سديدة، بل هي التي يروجها الأخطبوط الأموي للتخفيف من وطأة الفضيحة التي تسببوا بها في أنفسهم.

---

(1) تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار (ط دار الكتب العلمية) ص66 والثقات لابن حبان (ط دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد ـ الهند) ج3 ص67 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص592 و 593 وج33 ص540 والتحفة اللطيفة ج1 ص282.

ويلاحظ:

أولاً: أنه «عليه السلام» ذكر أمه وجده «صلوات الله عليهما»، ولم يذكر أباه، لأن أباه مدفون في النجف، وهو بعيد عنه، فلا معنى لأن يأمر بتوجيهه إليه.. إلا إن كان المراد بالتوجيه: جعل الوجه إلى الجهة التي هو فيها.. ولو كان هذا هو المقصود لكان الأنسب أن يقول: ثم احملني إلى البقيع، لا أن يقول: ثم ردني إلى البقيع.

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد تحدث عن مجرد التوجيه ثم الصرف، ولم يتحدث عن الدفن، لا عند النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا عند أمه. فهل المراد مجرد الاقتراب من قبر النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم من قبر أمه، ليكون الدفن في نهاية المطاف في البقيع؟!

ثالثاً: لم يتضح لنا المراد من أمه هل هي السيدة الزهراء أم هي فاطمة بنت أسد. فإن كان المراد بها السيدة الزهراء «عليها السلام»، فإن مكان دفنها كان ولا يزال مجهولاً للناس. إلا أن يكون المراد توجيه جنازته «عليه السلام» إلى الجهة التي يقع فيها قبرها «عليها السلام» كجهة الغرب أو الشرق مثلاً.

رجَّح بعض الإخوة الأكارم: أن يكون المقصود هو أمه الزهراء «عليها السلام»، لأن كلمة أم إذا أطلقت، فإنها تنصرف للأم القريبة، وجهالة موضع قبرها لا يعني أن لا يوصيه بذلك، ولو بأن يزيره قبر أمه سراً، بحيث لا يوجب ذلك الدلالة على موضع دفنها. انتهى.

وقد يقال: إن هذا النص يدل على أن الزهراء «عليها السلام» لم تدفن في البقيع.

رابعاً: إن هذا النص يتحدث عن التصرف والموقف في حصيلته النهائية، أي بعد أن يواجه بالمنع، وترمى جنازته الشريفة بالسهام، فإن القرار النهائي سيكون وفق ما قررته الرواية عن أبي جعفر «عليه السلام».

3 ـ قررت رواية أبي جعفر: أن عائشة كانت تعادي الله ورسوله، وأهل البيت. ولهذه العدواة آثارها الكبيرة والخطيرة بالنسبة لعائشة.

ولو أردنا أن نتواضع في فهمنا لهذا الأمر، فإن أيسر ما يمكن قوله هنا: أن كراهة فعل يرضاه الله ورسوله، وأن يكون وقع هذا الفعل المحبوب لله ولرسوله ثقيلاً على النفس، وممجوجاً في ذائقة بعض الناس ـ ربما عدّ عدواة مع الله ورسوله..

وهذا نظير من يدعي الحب للإمام علي، ولكنه إذا علم أن علياً هذا سوف يطالبه ويحاسبه على مخالفاته، ويعاقبه على جرائمه، فإنك ستراه ينكمش عنه «عليه السلام»، ويتضاءل ثناؤه عليه، ويتنامى خوفه منه، ولا يحب الاقتراب منه أي أنه يحب علياً الذي يجاريه، ويغض النظر عنه فيما يهواه، ولا يحب علياً في ذات الله الذي لا تأخذه في الله لومة لائم..

4 ـ أما رواية ابن رستم الطبري، فقد ذكرت نص الوصية الذي جرى فيه «عليه السلام» وفق حكم الله الثابت للموضوع من حيث هو في الواقع، حسبما بيّناه في فصل سابق.. وكان لا بد من بيان هذا الجانب من القضية على لسان الإمام الحسن بالذات لدفع الشبهة، وصيانة الفكر الإيماني من التلوث بالترهات والأباطيل.

فذكرت: أن الحكم الأولي الثابت هو جواز دفن أهل بيت العصمة مع

رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويؤكد هذا المعنى: ما روي، من أن فاطمة «عليها السلام» مدفونة مع أبيها، كما قد يشير إليه قول أمير المؤمنين «عليه السلام» حين دفنها:

«السلام عليك يا رسول الله عني، والسلام عن ابنتك وزائرتك، والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلّدي.

إلى أن قال «عليه السلام»:

وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً، فستقول، ويحكم الله، وهو خير الحاكمين[1].

5 ـ والنص الأخير المتقدم في نصوص الوصايا: أمر الإمام الحسن أخاه أن يحفر له مع أبيه، وإلا ففي بيت علي وفاطمة، وإلا ففي البقيع.

والمراد بأبيه «عليه السلام» هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن قبر علي يبعد عن المدينة مئات الفراسخ..

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن كان قد دفن في بيت فاطمة إلا أنه إنما دفن في حجرة من ذلك البيت، وبقيت منه بقية تشمل الدار، وبعض

(1) الكافي ج1 ص459 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص139 وبحار الأنوار ج43 ص193 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص265 ودلائل الإمامة للطبري ص138 وقاموس الرجال ج12 ص325. وراجع: روضة الواعظين ص152 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص182 وكشف الغمة ج2 ص127.

الحجر الأخرى، فطلب منه «عليه السلام» أن يدفنه فيما تبقى من هذا البيت. ولكن الظالمين قد استولوا ـ فيما يبدو ـ على كل شيء، ومنعوا الإمام الحسن «عليه السلام» من أن يدفن في أي موضع من مواضع البيت الذي ولد ونشأ وترعرع فيه.

ويلاحظ هنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد نسب البيت إلى أبيه وأمه معاً.. ولم ينسبه إلى أحدهما بخصوصه، دون الآخر، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» حين خصّص هذا البيت لهذه العائلة لم يذكر أيّاً منهما بخصوصه، مما يعني صحة نسبة البيت إليهما معاً..

الفصل الخامس

وصايا في مرحلة الإجراء..

الذي تولى أمر الحسن:

رأينا: أن وصايا الإمام الحسن «عليه السلام» كانت موجهة لأخيه دون سواه: بأن يتولى غسله، وتحنيطه، وتكفينه، وتهيئته، ولأجل ذلك قالوا: ولي غسله الحسين، ومحمد، والعباس، وإخوته من علي بن أبي طالب(1).

وقال الشيخ المفـيد، وابن شهرآشوب، وغيرهما: «تولى الحسين «عليه السلام» غسله، وتكفينه، ودفنه»(2).

وصرحت الروايات: بأن الحسين «عليه السلام» هو الذي صلى على الحسن «عليه السلام»(3).

وكان من الطبيعي: أن يكون الحسين «عليه السلام» هو من يقوم بهذه

---

(1) كشف الغمة ص142 و 162 و (ط دار الأضواء) ج2 ص171 وبحار الأنوار ج44 ص162 و 137 عنه، وراجع: الذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص120.

(2) بحار الأنوار ج44 ص135 و 158 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص28 و 29 والإرشاد ص192 و (ط دار المفيد) ج2 ص15 وتاج المواليد (المجموعة) ص27 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص151 وعمدة الطالب لابن عنبة ص65 وإعلام الورى ج1 ص403 وكشف الغمة (ط دار الأضواء) ج2 ص139 و 165 و 207.

(3) راجع على سبيل المثال: الكافي ج1 ص300.

المهام ولا يوكلها لغيره، لأن أخاه وصّاه: بأن يتولى هو ذلك، ولم يكن الحسين «عليه السلام» ليخالف أخاه في هذه الأمور.

غير أن ثمة من يحاول أن يدّعي: أن غير الحسين هو الذي فعل ذلك، لكي يلقي الشبهة حول صحة قولهم: إن الإمام الحسين «عليه السلام» هو الذي تولى ذلك.

من الذي غسل الإمام الحسن؟!:

لاحظنا آنفاً قولهم: إن الذي ولي غسل الإمام الحسن هم: الحسين، والعباس بن علي، ومحمد ابن الحنفية.

وفي رواية قال ابن عباس: «فدعاني الحسين «عليه السلام»، وعبد الله بن جعفر، وعلي بن عبد الله بن العباس، فقال: اغسلوا ابن عمكم.

فغسلناه، وحنطناه، وألبسناه أكفانه، ثم خرجنا به، حتى صلينا عليه في المسجد»(1).

ونقول:

أولاً: إن قول ابن شهرآشوب والمفيد، وغيرهما: أن الذي تولى ذلك هو الإمام الحسين «عليه السلام».. هو الصحيح، لأنه يأتي بما هو المتوقع من الحسين «عليه السلام»، من أنه لا يخالف وصية أخيه فيه.

---

(1) الأمالي للطوسي ص158 و (ط أخرى) ص703 وبحار الأنوار ج44 ص151 ومدينة المعاجز ج3 ص376 وبشارة المصطفى ص417 وعيون المعجزات للمرتضى ص57 ـ 59.

ثانياً: لقد ثبت أن الإمام لا يغسله، ولا يدفنه إلا إمام[1].

فما معنى مشاركة ابن الحنفية والعباس بن علي وابن عباس، وعلي بن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر في أمر لا يحق مشاركة أحد فيه؟!

ويمكن الجمع بين الخبرين:

بأن يقال: إن مشاركة محمد والعباس وغيرهما كانت على سبيل المعونة، وتيسير الأمور للإمام الحسين «عليه السلام»، كإحضار الماء، وتهيئة وسائل التغسيل، كالسدر والكافور، تماماً كما وصفت الروايات حال علي «عليه السلام» حين غسل الرسول «صلى الله عليه وآله»، وكان بعض الناس يقرب وسائل التغسيل إليه..

وليس المقصود: هو مباشرة الناس لفعل التغسيل بحيث يصدق عليهم أنهم شاركوا في ذلك..

ويلاحظ: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قال لأخيه: اغسلني، وحنطني الخ.. ولم يقل له، ولو مرة واحدة ـ فيما رأيناه من نصوص ـ: وغسلوني، وكفنوني، ليكون خطاباً عاماً.

لم يصلِّ على الإمام إلا الإمام:

وكما أنه لا يغسل، ولا يدفن الإمام إلا إمام.. كذلك الحال بالنسبة للصلاة على الإمام، فإنه لا يصلي على الإمام إلا الإمام[2].

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج 27 ص 288.

(2) عيون أخبار الرضا ج 2 ص 375 و 376 و (ط الأعلمي) ج 2 ص 276 و

ولكن هؤلاء قد حاولوا لأسباب مختلفة القفز على النصوص الواردة حول هذا الأمر، فادَّعوا: أن الذي صلى على الإمام الحسن هو سعيد بن العاص..

وتفصيل ذلك يكون على النحو التالي:

1 ـ زعموا: أن الذي صلى على الإمام الحسن «عليه السلام» هو سعيد بن العاص(1).

2 ـ قالوا: «وحمله إلى البقيع.. فلم يشهده يومئذٍ من بني أمية إلا سعيد بن العاص.. وكان يومئذٍ أميراً على المدينة، فقدمه الحسين للصلاة عليه، وقال: هي السنَّة»(2).

---

277 ودلائل الامامة ص 352 و 354 وعيون المعجزات ص 102 و 104 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج 3 ص 481 ومدينة المعاجز ج 7 ص 166 و 170 و 334 وبحار الأنوار ج 27 ص 288 وج 49 ص 294 و 296 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 1 ص 197 و 199 وقاموس الرجال ج 10 ص 503 والدر النظيم ص 694 و 696.

(1) تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار (ط دار الكتب العلمية) ص66 والثقات لابن حبان (ط دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد ـ الهند) ج3 ص67 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص592 و 593 وج33 ص540 والتحفة اللطيفة ج1 ص282.

(2) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص392 ونهاية الأرب ج20 ص320 وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي سنة 1356هـ) ص142 و 143 وراجع: أسد الغابة ج2 ص15 والبداية والنهاية ج8 ص173 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص48 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص32 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص40 والتحفة اللطيفة للسخاوي ج1 ص283 والسيرة الحلبية (ط دار

3 ـ روى أبو حازم قال: شهدت الحسين «عليه السلام» حين مات الحسن «عليه السلام» وهو يدفع بعجز في قفا سعيد بن العاص ويقول: تقدم، فلولا السنَّة لما قدمتك، وسعيد أمير المدينة(1).

4 ـ وفي نص آخر: لما توفي تولى أمره أخوه الحسين «عليه السلام»، وأخرجه إلى المسجد ـ وكان سعيد بن العاص أمير المدينة ـ فقالت بنو هاشم: لا يصلي عليه إلا الحسين.

فقدَّمه الحسين، وقال: «لولا السنَّة لما قدمتك»، أو قال: «فلولا أن الأئمة تُقدَّم ما قدمناك»(2).

وقال القاضي النعمان: «يعني على ظاهر الأمر: أن السلطان، أو من أقامه للصلاة بالناس، إذا حضر الجنازة كان أحق بالصلاة عليها من وليها.

المعرفة) ج3 ص 494 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص586.

(1) منتهى الطلب للعلامة (ط ق) ج1 ص450 و (ط ج) ج7 ص307 و 308 وراجع: تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ج2 ص40 وعمدة القاري ج8 ص124 والمغني لابن قدامة ج2 ص367 والسنن الكبرى للبيهقي ج4 ص29 والمصنّف للصنعاني ج3 ص471 ومجمع الزوائد ج3 ص31 والمعجم الكبير ج3 ص136 والشرح الكبير لابن قدامة ج2 ص310 وكشاف القناع ج2 ص130.

(2) تذكرة الخواص ج2 ص65 و (ط أخرى) ص192 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص87 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص293 وترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ص223 و 224 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص591 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص460 وجواهر المطالب ص199 ومقاتل الطالبيين ص83.

فصلى عليه سعيد بن العاص، فلما انصرف الخ..»[1].

ونقول:

هنا أمور تحتاج إلى بيان، فلاحظ ما يلي:

سعيد بن العاص لم يصلِّ على الإمام:

إن ما زعمه هؤلاء، من أن سعيد بن العاص هو الذي صلى على الإمام الحسن «عليه السلام» غير مقبول..

أولاً: إن سعيد قد شارك في المنع من وصول جثمان الإمام الحسن إلى موضع دفن رسول الله «صلى الله عليه وآله». كما قاله ابن واضح اليعقوبي[2].

ثانياً: قالوا: إن سعيد بن العاص كان عدواً لأهل البيت «عليهم السلام»، ويقال: إنه هدم دار علي، وعقيل والحسن، والرباب[3].

ولكننا قدمنا: أن الذي هدم دار الرباب ـ ظاهراً ـ بعد حادثة عاشوراء ربما كان ابنه عمرو بن سعيد، المعروف بالأشدق، الذي تولى المدينة أيضاً، وكان على نهج أبيه في الانحراف عن أهل البيت «عليهم السلام».

وذلك لأن سعيداً قد مات قبل عاشوراء في سنة تسع، أو ثمان أو سبع وخمسين[4]، فهو بعد عاشوراء التي كانت إحدى وستين لم يكن على قيد الحياة.

---

(1) شرح الأخبار للقاضي النعمان ج3 ص127.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص212 و213.

(3) شرح الأخبار ج3 ص269 وراجع مناقب آل أبي طالب ج2 ص53.

(4) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج2 ص26 و (ط دار الجيل) ج2 ص606

ومما يدل على شدة عداوة سعيد بن العاص لأهل البيت وبني هاشم: ما روي عنه، من أنه قال لمروان عن بني هاشم: «والله، لا القوم أشد لي تهمة، وأسوأ فيَّ رأياً منهم فيك»(1).

ثالثاً: هناك نصوص كثيرة تفيد: أن الإمام لا يصلي عليه إلا إمام، وسعيد بن العاص لم يكن إماماً، بل كان مخالفاً للأئمة، ومناوئاً لهم.

رابعاً: لنفترض أن سعيد بن العاص قد صلى على الإمام الحسن «عليه السلام» في موضع الجنائز، فمن الذي قال: إن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يصلِّ عليه، قبل إخراجه «عليه السلام» إلى ذلك الموضع، ويكون القبول بصلاة سعيد عليه مرة أخرى قد جاء على سبيل المداراة، بهدف دفع غائلته، لو أنهم منعوه من ذلك.

والإصابة ج2 ص33 و (ط دار الكتب العلمية) ج3 ص61 وأسد الغابة ج2 ص292 ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص26 وتاريخ بغداد ج1 ص156 و 157 وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج6 ص12 و 13 وطبقات خليفة بن خياط ص45 والإكمال في أسماء الرجال ص78 والتعديل والتجريح للباجي ج3 ص1243 وتاريخ مدينة دمشق ج20 ص290 و 291 و 293 و 367 و 368 و 369 و 370 و 371 وتقريب التهذيب ج1 ص346 والكامل في التاريخ ج3 ص471 والعبر في خبر من غبر ج1 ص60 و 61 والوفيات لأحمد بن حسن الخطيب ص31 وإمتاع الأسماع ج11 ص310 والأنس الجليل ج1 ص262 وشذرات الذهب ج1 ص61.

(1) تاريخ مدينة دمشق ج21 ص129 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص97 حديث رقم 185.

خامساً: إن مما يدل على أن صلاة سعيد بن العاص على الإمام الحسن «عليه السلام» لا يمكن قبولها: أن بني أمية قد احتشدوا وهم مدججون بالسلاح، للمنع من وصول الإمام الحسن «عليه السلام» إلى موضع دفن رسول الله، وقد رموا الجثمان الشريف بالنبل، حتى سل منه سبعون سهماً.

ويذكرون: أن سعيداً هذا كان بين المحتشدين لهذا الغرض الخبيث، فقد قال ابن سعد: «فأراد الحسين «عليه السلام» أن يدفنه في حجرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقامت بنو أمية، ومروان، وسعيد بن العاص ـ وكان والياً على المدينة ـ، فمنعوه»(1).

لولا السنة ما قدمتك:

وتقدم: أن الحسين «عليه السلام» ـ حسب زعمهم ـ قدّم سعيد بن العاص للصلاة على الإمام الحسن «عليه السلام»، وقال: لولا السنة ما قدمتك..

وفسر القاضي النعمان ذلك، فقال: إن السلطان أو من أقامه للصلاة إذا حضر الجنازة كان أحقّ بالصلاة عليها من وليها.

ونقول:

إن هذا الكلام لا اعتبار به، لما يلي:

أولاً: لما تقدم، من أنه لا يصلي على الإمام إلا إمام، ولغير ذلك مما ذكرناه سابقاً.

____

(1) ترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص58 وتذكرة الخواص ج2 ص65 و (ط أخرى) ص192 وأعيان الشيعة ج1 ص576.

ثانياً: لم تجر السنَّة على أن يكون الوالي، أو من نصبه للصلاة، هو الذي يصلي على الجنائز..

وكان الناس يصلون على جنائزهم بصورة عادية وطبيعية سواء أحضر السلطان أو من أقامه للصلاة أو غاب..

وهناك موارد كثيرة تشهد على ذلك ذكرنا بعضها في بحث لنا بعنوان: «التكبير على الميت خمس لا أربع» في كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام»(1).

وتجد فيه: أن من الذين صلوا على الجنائز، وليس لهم سلطان، ولا نصبهم السلطان لذلك، مثل: زيد بن أرقم، وعيسى مولى حذيفة، وابن مسعود، ومحمد ابن الحنفية، وحصين بن عامر، وأصحاب معاذ، وأبي يوسف، وعشرات ومئات غير هؤلاء، لو شئنا استقصاء أسمائهم، لاحتجنا إلى الكثير من الوقت والجهد.

غير أن من الواضح: أن حضور الوالي للجنازة كان يحرج بعض الناس، فيضطر لدعوته للصلاة، أو أن بعض الناس يريد أن يتباهى بصلاة الأمير على ميته، فيدعوه لهذا الغرض.. وهذا لا أثر له في جعل هذا الأمر سنة.

ثالثاً: إن الحديث عن تقديم الأئمة والحكام للصلاة على الجنازة لو صح، فإنما يراد به: أئمة العدل، لا أئمة وحكام الجور المعروفون بالظلم، والجهل بأحكام الدين.

رابعاً: لقد ورد أن سعيد بن العاص كان يجهل عدد تكبيرات صلاة العيدين

---

(1) راجع: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ج1 ص227 ـ 289.

فكيف يقدِّمه الحسين للصلاة على أخيه الإمام الحسن «عليه السلام»؟!(1). فلعله يجهل كيفية صلاة الميت أيضاً.

خامساً: إن هذه السنة المدعاة هل أمضاها الشارع، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وما هي النصوص الدالة على ذلك؟! وأيَّة قيمة لسنَّة يبتدعها الأمراء أنفسهم لأنفسهم، لمصالح تعود إليهم، مثل الإمساك برقاب الناس، وتأكيد هيمنتهم عليهم؟!

ومن الذي صلى على السيدة الزهراء حين توفيت «عليها السلام»؟! ولماذا لم يعمل بهذه السنَّة المدَّعاة؟!

وإذا كان الأمراء يريدون أن يخترعوا سنَّة لأنفسهم، فهل يفترض بعلي والحسن والحسين، وعلماء الأمة وأتقيائها أن يخضعوا لإرادة الأمراء في إدخال هذا الأمر في الدين، وهو ليس من الدين؟! أم يفترض فيهم أن ينقضوا سنّتهم، وأن ينكروها عليهم، وأن يعملوا على إبطالها؟!

سادساً: إن صلاة الناس على جنازة المعصوم بعد صلاة الإمام عليها لا تضر، سواء كانوا من السلاطين، أو من الناس العاديين.

ومن الذي قال: إن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يصل على جنازة أخيه

---

(1) راجع: مسند أحمد ج4 ص416 وتاريخ مدينة دمشق ج67 ص 26 والجوهر النقي ج3 ص290 و 291 والسنن الكبرى للبيهقي ج3 ص289 و 290 و 291 وتحفة الأحوذي ج3 ص70 وعون المعبود ج4 ص8 والمصنف للصنعاني ج3 ص294 والمعجم الكبير ج9 ص303 و 304 ونصب الراية ج2 ص256 والشرح الكبير لابن قدامة ج2 ص239.

قبل إخراجها إلى موضع الجنائز؟!

وحتى لو حضر المعصوم الصلاة التي يتصدى السلطان فيها للصلاة على الجنازة، وكان موقفه في الصلاة قريباً من الجثمان.. بأن كان عن يمين المتصدي للصلاة مثلاً، فإن الصلاة التي يعتد بها عند الله هي صلاة المعصوم لا صلاة الحاكم الجائر. إذ لا شيء يدل على اقتداء المعصوم بالحاكم الجائر في هذه الحالة.

سابعاً: إن قول الإمام الحسين «عليه السلام» ـ لو صح النقل عنه ـ لولا السنة لما قدمتك، فيه إهانة وطعن ظاهر بسعيد بن العاص، وأنه لا يستحق التقديم في نفسه..

دعوى ميل سعيد بن العاص إلى بني هاشم:

وفي بعض الروايات محاولات لتسويق صلاة سعيد بن العاص على جثمان الإمام الحسن «عليه السلام» تدَّعي أن سعيد بن العاص مال إلى بني هاشم في ذلك اليوم، فقد قالوا:

إن مروان كتب إلى معاوية: إن سعيد بن العاص قد مال مع بني هاشم، وإن مروان هو الذي منع من دفنه عند جده، فكانت النتيجة هي: أن معاوية عزل سعيداً بعد ذلك عن المدينة، وولى مروان مكانه[1].

ونقول:

---

(1) تذكرة الخواص ج2 ص66 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص96 وتاريخ مدينة دمشق ج21 ص127 و 128 وج23 ص91 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص220.

أولاً: لو كان سعيد قد مال إلى بني هاشم لم يكلّمه الحسين بهذه الطريقة المهينة في قوله: «لولا السنة ما قدمتك».

ثانياً: لنفترض: أنه أظهر ميلاً لبني هاشم، فقد يكون ذلك سياسة منه ومكراً، أو خوفاً من أن يؤدي الصراع معهم إلى حدوث أمر عظيم يتحمل هو مسؤوليته، ويتعرض للأذى من أجله، إما من معاوية وبني أمية، أو من الناس من حيث يحتسب، أو لا يحتسب.

ثالثاً: لقد كان معاوية يولي مروان المدينة سنة، ثم يوليها سعيد بن العاص[1]، وهو يحاول أن يوقع بينهما[2]. فلا شيء يثبت أن عزل سعيد كان لميله لبني هاشم، وإلا لكان عزل مروان أيضاً لنفس هذا السبب أيضاً.. حيث ذكروا أنه حمل جنازة الإمام الحسن «عليه السلام» أيضاً، كما تقدم.

وقد كان سعيد أثيراً عند معاوية إلى حدّ أن يقول معاوية لعمرو بن العاص: «سعيد يميني، ومروان شمالي».

وكل ذلك يشير إلى أن عزل سعيد عن المدينة لم يكن لأجل ممالأته لبني هاشم، بل لأن سياسة معاوية كانت تقضي بإضعاف الأقوياء من أعوانه، وإبقائهم في حدود معينة، لأن شعورهم بالقوة قد يحفزهم لمنافسته في سلطانه، ويحدّ من سيطرته عليهم.

بنو أمية في مواجهة الجثمان الطاهر:

قالوا:

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج23 ص90 وراجع ص89 و 79.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج23 ص90 ـ 92.

إن بني أمية بقيادة مروان بن الحكم وعائشة قد تجمهروا، ومنعوا الجثمان الطاهر من الوصول إلى موضع دفن جده «صلى الله عليه وآله»، حيث ظنوا: أن الإمام الحسين «عليه السلام» يريد دفنه هناك(1).

وتزعُّم عائشة لعملية المواجهة هذه لا مجال لإنكاره، كما تظهره النصوص الكثيرة(2).

وإن ادَّعى بعضهم: أنها كانت قد أذنت في ذلك(3).

وقبل أن ندخل في التفاصيل نشير إلى ما يلي:

الحزن والحداد:

إن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يكن إنساناً عادياً، بل كان إماماً وهادياً، وقائداً، ورائداً، وكانت له مكانة عظيمة جداً، وهيبة، واحترام كبير، ويكفي

(1) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج3 ص60 و 62 و 64 و 65 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص13 ومقاتل الطالبيين ص74 ووفاء الوفاء ج2 ص548 وترجمة الحسن «عليه السلام» لابن عساكر، الحديث رقم 337 فما بعده، وج21 ص38 وج64 ص99 كما ذكره المحمودي. وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص204 وروضة الواعظين ص168 والإرشاد للمفيد ج2 ص18 والخرائج والجرائح ج1 ص242 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص149 وبحار الأنوار ج44 ص154 و 157 والأنوار البهية ص92 وقاموس الرجال ج12 ص300 والجمل للشيخ المفيد ص234 وكشف الغمة ج2 ص209.

(2) مقاتل الطالبيين ص75 وتاريخ اليعقوبي (ط دار صادر) ج2 ص225 وإعلام الورى للطبرسي ج1 ص415 وراجع المصادر السابقة.

(3) مقاتل الطالبيين ص75 ووفاء الوفاء، ج3 ص908 وج2 ص557.

أن نذكر قولهم: أول ذل دخل على العرب موت الحسن بن علي[1].

وقالوا: «لما توفي الحسن ارتجت المدينة صياحاً، فلا تلقى أحداً إلا باكياً»[2].

وقال أبو نجيح: «بكى على حسن بن علي بمكة والمدينة سبعاً: النساء، والصبيان، والرجال»[3].

وعن عائشة بنت سعد قالت: «حدَّت نساء بني هاشم على الحسن بن علي سنة»[4].

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص10 وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص116 و (ط دار الفكر) ج13 ص295 وتهذيب الكمال ج6 ص255 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص228 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص91 وصلح الحسن لآل ياسين ص363 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج19 ص344 وج26 ص612 وأعيان الشيعة ج1 ص576 عن كتاب أنساب قريش لابن بكار، عن أمالي محمد بن حبيب.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص113 ص116 و (ط دار الفكر) ج13 ص291 وسير أعلام النبلاء ج3 ص275 والوافي بالوفيات ج12 ص68 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص222 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص210 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص86 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص581.

(3) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص118 و (ط دار الفكر) ج13 ص297 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص235 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص90.

(4) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص116 و (ط دار الفكر) ج13 ص291 وترجمة الإمام الحسن من طبقات الكبرى لابن سعد ص91 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر

وعن أم بكـر بنت المسور: «لما مات أقام نساء بني هاشم عليه الـنوح شهراً»(1).

زاد في أسد الغابة قوله: «ولبسوا الحداد سنة»(2).

ونستطيع أن نتلمس في طبيعة هذه التعابير أمرين هما:

الأول: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد أعز العرب، وأن فقده أذلهم، وهذا يحتاج إلى تدبر وتأمل، فإن عظمة الإمام الحسن «عليه السلام» في الأمة قد حجزت ومنعت المتفلتين من الضوابط الشرعية والأخلاقية من العدوان على الناس، وجعلتهم يتهيبون الدخول في صراعات تهدف إلى تحقير الناس، وإذلالهم، فهناك من لا يسكت على أمر كهذا، ولا يداهن ولا يتهاون فيه..

والمجتمع الذي يعيش في داخله الانضباط إلى هذا الحد، ويرفض الذل والضعف من أي جهة جاء، سوف تنظر إليه الفئات والمجتمعات الأخرى نظرة احترام، وإجلال. وسوف تتهيب من الدخول معه في أي صراع يهدف

ص228 وأسد الغابة ج1 ص493 والمستدرك للحاكم ج3 ص173 والمنتخب من ذيل المذيل ص19 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج8 ص47.

(1) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص106 و (ط دار الفكر) ج13 ص283 وتهذيب الكمال ج6 ص252 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج8 ص47 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص209 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص90 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص597 والمستدرك للحاكم ج3 ص173 وأسد الغابة ج2 ص15 والمنتخب من ذيل المذيل ص19 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج8 ص47.

(2) أسد الغابة ج1 ص493 و (نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت) ج2 ص15.

إلى إسقاط هذه الهيبة.. لأن من يريد أن يفعل ذلك، إنما يقدم عليه إذا كان يرى في المجتمع تلكؤاً، وتشرذماً، وفقداناً للتناصر، وضعفاً في الحمية، وركوداً في العواطف الإنسانية، وقلة مبالات بالقيم والأخلاق، والتوجيهات الشرعية.

الثاني: إن بكاء كل الناس على الإمام الحسن «عليه السلام» على اختلاف طبقاتهم، وتنوع عشائرهم، واختلافهم في الميول، وفي الرغبات، والطموحات وغير ذلك..

إن ذلك يدل على أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد تعامل معهم في اتجاهين:

أحدهما: أنه كان دائماً مصدر خير وعطاء، وبر وسخاء، كما دل عليه ما جرى بين أبي بكرة وزوجته.. فإن الحكم بن أبي العاص الثقفي نعى الإمام الحسن «عليه السلام» للناس، فبكوا، فسمع أبو بكرة البكاء، فقال لميسة بنت شحام، امرأته، وهو مريض: ما هذا؟

قال [قالت]: نعي الحسن بن علي، فاستراح الناس من شر كثير..

قال: ويحك، بل أراحه الله من شر كثير، وفقد الناس خيراً كثيراً(1).

الثاني: إنه كان للناس على اختلاف طبقاتهم، وحالاتهم، وأوضاعهم،

(1) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج14 ص113 و (ط دار الفكر) ج13 ص298 وج10 ص296 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص236 وأنساب الأشراف ج3 ص16 وصلح الحسن لآل ياسين ص367 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص94 وعن تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج3 ص265 وأعيان الشيعة ج1 ص576 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص11.

وأخلاقهم كالوالد الرحيم.. وشعور الناس بهذه الحقيقة يمنحهم نفحة عاطفية صادقة تجاهه، ويحوله إلى قيمة يشعرون أنه لا غنى لهم عنها، وأنه ذخيرة وملاذ لهم، ومصدر طمأنينة وسكينة ورضى.. فإذا فقدوه، فإنهم يشعرون بفراغ عاطفي، واختلال في المشاعر وفي المرتكزات التي تحفظ لهم توازنهم، وتضبط حركتهم، وتنعش أرواحهم..

النعي.. والتشييع:

وحين نصل إلى النعي، والتشييع فإننا نجد:

أولاً: إن نعي الإمام الحسن لم يقتصر على أهل المدينة، بل تجاوزها حتى وصل إلى الشام من خلال كتب أرسلها مروان وسعيد بن العاص إلى معاوية، فعرف بأمر وفاته «عليه السلام» قبل أن يدفن[1].

كما أن الخبر قد وصل إلى مكة. ووصل إلى القرى والبلاد حول المدينة، فهب الناس إلى تشييع الجنازة هبة واحدة، وامتلأت المدينة بهم، فقد رووا:

عن جهم بن أبي جهم قال: لما مات الحسن بن علي بعثت بنو هاشم إلى العوالي صائحاً يصيح في كل قرية من قرى الأنصار بموت حسن. فنزل أهل العوالي ولم يتخلف أحد عنه[1].

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص119 و (ط دار الفكر) ج13 ص291 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص221 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص229 والتحفة اللطيفة ج1 ص282 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص85 وشرح الأخبار ج3 ص127.

(1) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص118 و (ط دار الفكر) ج13 ص297 وترجمة

والعوالي: ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال، وقيل: ثلاثة، وذلك أدناها وأبعدها ثمانية(1).

وقد بلغ احتشاد الناس حدّاً جعل ثعلبة يقول: «شهدنا حسن بن علي يوم مات ودفناه بالبقيع، فلقد رأيت البقيع، ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان»(2).

ومع وجود هذا الحشد الغفير، الذي يعدّ بالألوف، أو بالعشرات منها، فإن من الطبيعي أن يسعى مروان ومن معه إلى استخلاص أتباعهم من بين هذا الجمع، وربما بلغ عددهم ألفين أو أكثر أيضاً..

وإذا كان هؤلاء مسلحين، فإنهم سوف يتكتلون حول بعضهم، ثم يعلنون عن أنفسهم في الوقت المناسب، وفق التعليمات التي تلقوها من مروان أو غيره.

وإذا كانت عائشة على رأس هؤلاء، فإنهم سوف يشعرون بأنهم يستندون

الإمام الحسن لابن عساكر ص235 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص89.

(1) معجم البلدان ج4 ص166.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص118 و (ط دار الفكر) ج13 ص297 والمستدرك للحاكم ج3 ص173 وتهذيب الكمال ج6 ص256 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص79 والإصابة ج1 ص331 و (نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت) ج2 ص65 والمنتخب من ذيل المذيل للطبري ص19 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص235 وصلح الحسن لآل ياسين ص34 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص90 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص180 وج26 ص597 وج33 ص542.

إلى ركن وثيق، وأن هذه المرأة سوف تحميهم وتدافع عنهم بكل ما تستطيع، وذلك يمنحهم الجرأة على فعل أي شيء يرضيها.

ونكاد لا نشك في أن بني هاشم أيضاً قد تعمدوا التوسع في نعي الإمام الحسن «عليه السلام» ونشر خبر استشهاده على أوسع نطاق يمكن أن يصل الناعي إليه في تلك الفترة.. ولعل من جملة أهدافهم هو إظهار: أن كل دعايات وأباطيل أعداء أهل البيت «عليهم السلام» لم تؤثر في إبعاد الناس عنهم، وقطع علاقتهم بهم، ولم تفقدهم الجدية في مستوى محبتهم ومودتهم لهم.

كما أن الأئمة الذين عرفوا بما دبره أعداء أهل البيت، كانوا يريدون من الناس أن يعرفوا، وأن يروا ذلك بأم أعينهم على أوسع نطاق أيضاً..

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

فكيف إذا رأى الناس ألفي رجل مدجج بالسلاح، وهم يرمون بسهامهم الغادرة جثمان أفضل، وأقدس، وأتقى، وأعلم، وأحكم، وأطهر رجل على وجه الأرض، وهو ريحانة رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة، وهو الإمام المعصوم والمظلوم في الحياة وبعد الممات..

وهو الإمام الذي كان للناس مصدر الخيرات والبركات، والهادي إلى سبيل السعادة، والمقتول بسموم الحقد والغدر..

وهو أيضاً الذي كان كالوالد الرحيم لكبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم، أسودهم وأبيضهم.. ذكرهم وأنثاهم، غنيهم وفقيرهم، وغير ذلك..

وها هم يرون جثمانه الذي مزق أحشاءه سمّ الحقد والغدر يرمى بسهام هؤلاء الذين جاء بهم مروان، وتقودهم وتحرضهم عائشة، حتى لقد سل من

الجثمان الطاهر سبعون سهماً..

والنص الذي أشار إلى هذه الحقيقة هو التالي:

عن الحارث التيمي قال: لما مات الحسن بن علي بعث مروان بن الحكم إلى معاوية يخبره أنه مات.

قال: وبعث سعيد بن العاص رسولاً آخر يخبره بذلك.

وكتب مروان يخبره بما أوصى به حسن من دفنه مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن ذلك لا يكون وأنا حي، ولم يذكر ذلك سعيد.

فلما دفن حسن بن علي بالبقيع أرسل مروان بريداً آخر يخبره بما كان من ذلك، ومن قيامه ببني أمية ومواليهم، وإني يا أمير المؤمنين عقدت لوائي، وتلبسنا السلاح، وأحضرت معي من اتّبعني ألفي رجل، فلم يزل الله بمنه وفضله يدرأ ذلك: أن يكون مع أبي بكر وعمر ثالثاً أبداً، حيث لم يكن أمير المؤمنين عثمان المظلوم «رحمه الله» وكانوا هم الذي فعلوا بعثمان ما فعلوا.

فكتب معاوية إلى مروان يشكر له ما صنع، واستعمله على المدينة، ونزع سعيد بن العاص[1].

والظاهر: أنه لم يعزل سعيد بن العاص فوراً، لأنه استحى من عزله، وهو لم ينصبه إلا قبل يسير من الوقت.

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج4 ص90 ـ 91 و (ط دار الفكر) ج21 ص128 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص96 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص229 والتحفة اللطيفة ج1 ص283.

كما دل عليه نص آخر ذكره في نفس الكتاب، ونفس الجزء والصفحة[1].

وقد قلنا: إن مروان كان قد كتب لمعاوية: أن سعيداً قد مالأ بني هاشم على دفن الحسن مع رسول الله[2].

وسيأتي عن القاضي النعمان: أن معاوية أرسل بتوجيهاته إلى مروان، لكي يمنع من دفن الإمام الحسن «عليه السلام» عند جدِّه.

---

(1) راجع المصادر في الهامش السابق.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج4 ص91 و (ط دار الفكر) ج21 ص127 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص95.

الباب الخامس

هكذا شيع الإمام..

الفصل الأول

رواية الكافي عن أبي جعفر ×..

التشييع بحسب رواية الكافي:

روي عن أبي جعفر «عليه السلام»: أنه قال ـ بعد ذكر وصية الإمام الحسن للحسين «عليهما السلام» في تجهيزه، ودفنه، وإخباره بما يكون من عائشة ـ:

فَلَمَّا قُبِضَ الْحَسَنُ «عليه السلام» ووُضِعَ عَلَى سَرِيرِه، فَانْطَلَقُوا بِه إِلَى مُصَلَّى رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله»[1]، الَّذِي كَانَ يُصَلِّي فِيه عَلَى الْجَنَائِزِ، فَصَلَّى عَلَى الْحَسَنِ «عليه السلام»، فَلَمَّا أَنْ صَلَّى عَلَيْه حُمِلَ فَأُدْخِلَ الْمَسْجِدَ.

فَلَمَّا أُوقِفَ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» بَلَغَ عَائِشَةَ الْخَبَرُ، وقِيلَ لَهَا: إِنَّهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ لِيُدْفَنَ مَعَ رَسُولِ الله..

فَخَرَجَتْ مُبَادِرَةً عَلَى بَغْلٍ بِسَرْجٍ، فَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ رَكِبَتْ فِي الإِسْلَامِ سَرْجاً، فَوَقَفَتْ وقَالَتْ: نَحُّوا ابْنَكُمْ عَنْ بَيْتِي، فَإِنَّه لَا يُدْفَنُ فِيه شَيْءٌ، ولَا يُهْتَكُ عَلَى رَسُولِ الله حِجَابُه.

فَقَالَ لَهَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ «صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمَا»: قَدِيماً هَتَكْتِ أَنْتِ وأَبُوكِ حِجَابَ رَسُولِ الله، وأَدْخَلْتِ بَيْتَه مَنْ لَا يُحِبُّ رَسُولُ الله قُرْبَه، وإِنَّ الله سَائِلُكِ

---

(1) صرحت الرواية الأخرى، المروية عن أبي جعفر «عليه السلام»: بأن الحسين «عليه السلام» هو الذي صلى على الإمام الحسن «عليه السلام»، فراجع: الكافي ج1 ص300.

عَنْ ذَلِكِ يَا عَائِشَةُ.

إِنَّ أَخِي أَمَرَنِي أَنْ أُقَرِّبَه مِنْ أَبِيه رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» لِيُحْدِثَ بِه عَهْداً.

واعْلَمِي أَنَّ أَخِي أَعْلَمُ النَّاسِ بِالله ورَسُولِه، وأَعْلَمُ بِتَاوِيلِ كِتَابِه مِنْ أَنْ يَهْتِكَ عَلَى رَسُولِ الله سِتْرَه، لأَنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى يَقُولُ: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾(1).

وقَدْ أَدْخَلْتِ أَنْتِ بَيْتَ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» الرِّجَالَ بِغَيْرِ إِذْنِه، وقَدْ قَالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾(2).

ولَعَمْرِي لَقَدْ ضَرَبْتِ أَنْتِ لأَبِيكِ وفَارُوقِه عِنْدَ أُذُنِ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» الْمَعَاوِلَ، وقَالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ الله أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى**﴾(3).

ولَعَمْرِي لَقَدْ أَدْخَلَ أَبُوكِ وفَارُوقُه عَلَى رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» بِقُرْبِهِمَا مِنْه الأَذَى، ومَا رَعَيَا مِنْ حَقِّه مَا أَمَرَهُمَا الله بِه عَلَى لِسَانِ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله».

إِنَّ الله حَرَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْوَاتاً مَا حَرَّمَ مِنْهُمْ أَحْيَاءً.

وتَالله يَا عَائِشَةُ، لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي كَرِهْتِيه، مِنْ دَفْنِ الْحَسَنِ عِنْدَ أَبِيه رَسُولِ

(1) الآية 53 من سورة الحزاب.

(2) الآية 2 من سورة الحجرات.

(3) الآية 3 من سورة الحجرات.

الله «صلى الله عليه وآله» جَائِزاً فِيمَا بَيْنَنَا وبَيْنَ الله لَعَلِمْتِ أَنَّه سَيُدْفَنُ، وإِنْ رَغِمَ مَعْطِسُكِ.

قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ وقَالَ: يَا عَائِشَةُ، يَوْماً عَلَى بَغْلٍ، ويَوْماً عَلَى جَمَلٍ، فَمَا تَمْلِكِينَ نَفْسَكِ، ولَا تَمْلِكِينَ الأَرْضَ عَدَاوَةً لِبَنِي هَاشِمٍ.

قَالَ: فَأَقْبَلَتْ عَلَيْه، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ، هَؤُلَاءِ الْفَوَاطِمُ يَتَكَلَّمُونَ، فَمَا كَلَامُكَ؟!

فَقَالَ لَهَا الْحُسَيْنُ «عليه السلام»: وأَنَّى تُبْعِدِينَ مُحَمَّداً مِنَ الْفَوَاطِمِ، فَوَالله لَقَدْ وَلَدَتْه ثَلَاثُ فَوَاطِمَ: فَاطِمَةُ بِنْتُ عِمْرَانَ بْنِ عَائِذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ، وفَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ، وفَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بْنِ الأَصَمِّ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ حُجْرِ بْنِ عَبْدِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرٍ.

قَالَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِلْحُسَيْنِ «عليه السلام»: نَحُّوا ابْنَكُمْ، واذْهَبُوا بِه، فَإِنَّكُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ.

قَالَ: فَمَضَى الْحُسَيْنُ «عليه السلام» إِلَى قَبْرِ أُمِّه.

ثُمَّ أَخْرَجَه، فَدَفَنَه بِالْبَقِيعِ(1).

---

(1) الكافي ج1 ص302 وراجع ص300 وبحار الأنوار ج44 ص142 و ج102 ص264 وراجع ج17 ص31 وج97 ص125 ومرآة العقول ج3 ص313 و 305 والوافي ج2 ص339 والإرشاد ج2 ص17 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج3 ص164 و ج11 ص497 و (الإسلامية) ج2 ص835 وج8 ص363 ونور الثقلين (تفسير) ج4 ص295 وكنز الدقائق (تفسير) ج10 ص420 ومدينة المعاجز ج3 ص340.

ونقول:

هناك أمور كثيرة تضمنتها هذه الرواية تحدثنا عنها في هذا الفصل، وما سبقه من فصول، فلا حاجة إلى إعادته بتفاصيله، فلا محيص عن الإشارة إليه بصورة خفيفة، ونحاول أن نعطي سائر النقاط بعض حقها في البيان، فنقول:

يريد أن يحدث برسول الله عهداً:

تقول هذه الرواية وغيرها: إن الإمام الحسن «عليه السلام» طلب من الحسين، أن يوجهه بعد موته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليحدث به عهداً.. والإمام الحسن إذا مات كيف يتصور أن يحدث عهداً برسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي كان قد مات قبل حوالي أربعين سنة أيضاً؟!

ويجاب:

1 ـ بأن الموت لا يعني الانقطاع التام عن الحياة. وقد ذكر الله سبحانه: أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.. وقد كلّم النبي «صلى الله عليه وآله» قتلى المشركين، في قلب بدر، وكلّم علي «عليه السلام» في حرب الجمل بعض قتلى أعدائه.. وحين سئل النبي «صلى الله عليه وآله» عن ذلك، والحال أنهم أموات لا يسمعون، قال لهم: ما أنتم بأسمع منهم الخ..

ونقول في زيارة أهل القبور: السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة.

وفي الزيارة للنبي والإمام نقول: أشهد أنك ترى مقامي، وتسمع كلامي، وترد سلامي..

2 ـ وفي الروايات الكثير من الشواهد على سماع الأموات:

فعن صفوان بن يحيى في جملة حديث قال : قلت له ـ يعني: لأبي الحسن

«عليه السلام» ـ: هل يسمع الميت تسليم من يسلم عليه؟!

قال: نعم، يسمع أولئك وهم كفار، ولا يسمع المؤمنون[1].

وعن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: الموتى نزورهم؟!

فقال: نعم.

قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟!

قال: إي والله، إنهم ليعلمون بكم، ويفرحون بكم، ويستأنسون إليكم[2].

وعن أبي الحسن موسى «عليه السلام»: ما من مؤمن إلا وهو يلم بأهله كل جمعة.. فإن رأى خيراً حمد الله عز وجل، وإن رأى غير ذلك استغفر واسترجع[3].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: إن أرواح المؤمنين يلتقون.

قلت: يلتقون؟!

فقال: يتساءلون، ويتعارفون، حتى إذا رأيته قلت: فلان[1].

---

(1) مستدرك الوسائل ج2 ص362 وسفينة البحار ج9 ص470 عنه، ومستدرك سفينة البحار ج9 ص470.

(2) من لا يحضره الفقيه ج1 ص180 ـ 181 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج3 ص222 و (الإسلامية) ج2 ص878 ومستدرك الوسائل ج2 ص362 وج10 ص384 وبحار الأنوار ج99 ص300 وسفينة البحار ج9 ص470 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص366 وج8 ص371 وج9 ص470 وفلاح السائل ص85.

(3) بحار الأنوار ج6 ص258 عن سعد السعود.

(1) المحاسن ج1 ص285 و (دار الكتب الإسلامية ـ طهران) ج1 ص178 وبحار

وفي كربلاء، قال علي الأكبر لأبيه الحسين «عليه السلام»: «هذا جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً»(1).

وقال علي «عليه السلام» مخاطباً رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين دفن الزهراء «عليها السلام»: «وسَتُنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، واسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا لَمْ تَجِدْ إِلَى بَثِّه سَبِيلاً الخ..»(2).

والنصوص الدالة على ذلك كثيرة..

3 ـ إن روح الإمام الحسن «عليه السلام» تأنس وتسعد إذا كانت بالقرب من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولعله أراد أيضاً أن يخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو بالقرب منه بتظافر أمته على هضمه، وإيذائه، ويبث بعض الغليل المعتلج في صدره، ولم يجد إلى بثه سبيلاً.

الأنوار ج6 ص234 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص221 ـ 222.

(1) بحار الأنوار ج45 ص44 ومثير الأحزان ص51 والعوالم، الإمام الحسين ج 17 ص 287.

(2) الكافي ج1 ص459 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص139 وبحار الأنوار ج43 ص193 و 211 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص265 ودلائل الإمامة ص138 وقاموس الرجال ج12 ص325. وراجع: روضة الواعظين ص152 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص182 وكشف الغمة ج2 ص127 ومرآة العقول ج5 ص328 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج2 ص216 والأمالي للمفيد ص282 والأمالي للطوسي ص110 وبشارة المصطفى ص397.

4 ـ دلت هذه الوصية الحسنية الميمونة على رجحان تقرب الإنسان المؤمن من الأنبياء والأئمة بعد موته، وأن يجدد بهم عهداً، وأن يدخله أهله إلى مشاهدهم.. ويبدو أن الشيعة قد أخذوا هذا التصرف من الإمام الحسن «عليه السلام»، ولهم في رسول الله أسوة حسنة، كما أن أئمتهم أسوة وقدوة لهم بدلالة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

أصرفني إلى أمي فاطمة:

1 ـ وتقدم قول الرواية عن أبي جعفر: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قال لأخيه: «ثم اصرفني إلى أمي فاطمة». فإن أريد به خذني إليها، وادفني عندها، فلا يمكن أن يكون المقصود هو فاطمة الزهراء «عليها السلام»، لأن أحداً لا يعلم أين دفنت الزهراء «عليها السلام» إلا الأئمة الطاهرون «صلوات الله عليهم»..

إلا إن كان الإمام الحسن «عليه السلام» بوصيته لأخيه أن يزير جثمانه قبر أمه، دون أن يعلم أحد أن المعنى هو الموضع الذي دفنت فيه الزهراء «عليها السلام».

فلا بد أن يراد بأمه فاطمة: جدته فاطمة بنت أسد، فإن الجدة أم أيضاً.

إلا أن يقال: المراد بالصرف إلى أمه هو جعل وجهه إلى الجهة التي هي فيها، كجهة المغرب أو المشرق، أو نحو ذلك. وربما كان الاحتمال الأول أقرب إلى الاعتبار.

2 ـ كما أن قوله «عليه السلام»: «ثم ردّني، فادفني بالبقيع» يدل ـ كما هو الراجح ـ على أن قبر فاطمة الزهراء «عليها السلام» ليس في البقيع، بل في

جهة أخرى، تحتاج إلى الصرف عنها، ثم الرجوع إليها.

صنيع عائشة:

1 ـ وقد أخبر الإمام الحسن «عليه السلام» بصورة جازمة عما سيكون من عائشة عند تشييع جنازته، ولكنهم يحاولون دفع مروان إلى الواجهة، حتى لقد قال بعضهم: «فأبى مروان أن يدعه، ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك»(1).

فهم يصورون: أن مروان كانت له مصلحة في موقفه هذا، وهو نيل رضا معاوية، ليعيده إلى الولاية.

أما عائشة، فيسكتون عنها، ويبدو: أنهم لا يرون أن لها مصلحة في هذا المنع، بل يحاول البعض الزعم بأنها وافقت على دفن الحسن مع جده، لكن مروان هو الذي تصدى لهذا المنع، مع من حشدهم من بني أمية ومواليهم، وقد لبسوا السلاح، فلما رأى الإمام الحسن ذلك، تراجع عن هذا الطلب(2).

2 ـ غير أن من الواضح: أن مروان كان يُعرف أنه ليس موضع ثقة فيما

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص110 و (ط دار الفكر) ج13 ص287 والبداية والنهاية ج8 ص44 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص48 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص216 وإحقاق الحقّ (الملحقات) ج11 ص175 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص88 وج26 ص588.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص111 و (ط دار الفكر) ج13 ص289 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص218 و 219 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص50 ومقاتل الطالبيين ص75 و (ط المكتبة الحيدرية) ص49 ومصادر أخرى.

يقدم عليه: كما ظهر من تدبيراته السيِّئة التي أدت إلى قتل عثمان، كما أنه كان بمواقفه هذه موضع تهمة، بأنه يجر النار إلى قرصه ليرضى عنه معاوية، ويعيده إلى ولاية المدينة.. ولأجل ذلك احتاج إلى الاستعانة بعائشة.

أما عائشة، فلعل الكثيرين كانوا يظنون أنها تريد لنفسها مقاماً، أو ولاية كما أنها زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأم المؤمنين، وبنت الخليفة الأول أبي بكر والمعظمة والمبجلة، والمقدمة عند عمر بن الخطاب، ولعمر في نفوس الناس مكانة وعظمة خاصة كما أوضحناه في كثير من كتبنا.

فكان مروان يحتاج إلى غطاء من عائشة، المرأة التي لا تتردد في اتخاذ أي موقف ضد علي وأهل بيته «عليهم السلام».

ولأجل ذلك كان أول عمل عمله مروان، حين علم بأن بني هاشم يريدون أن يحملوا جنازة الإمام الحسن إلى بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن ركب بغلة وتوجه إلى عائشة، وأخبرها بالحال، فما أسرع ما استجابت له، فقدم لها بغلته، فركبتها، وتوجهت إلى موضع تجمع بني أمية وأشياعهم، وأعلنت موقفها الرافض لدخول جثمان الإمام الحسن «عليه السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وحرّضت الأمويين على المواجهة، فرشقوا الجثمان الطاهر بالنبل، وتجلى سوء الأدب، وعدم الإحترام لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولأهل بيته، وجرأة السفهاء على أقدس ما في هذا الوجود كأوضح ما يكون.

وظهر للناس أمران:

أحدهما: أن جميع من تصدى للجثمان الطاهر حتى عائشة كانوا لا يوقرون

رسول الله، ولا أحداً من أهل بيته، إذا وجدوا أن مصالحهم مرهونة بأي تصرف تجاههم مهما كان سيئاً، وقبيحاً.

الثاني: إن ما جرى قد أظهر مدى عداوة هؤلاء لله ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، ولأهل بيته الطاهرين «عليهم السلام».

ولكن السؤال هنا هو:

أولاً: لماذا لا يكون سبب منعها من دفن الإمام الحسن مع رسول الله أموراً أخرى، لا ربط لها بالمحبة ولا العداوة؟!

ثانياً: لو سلم أن سبب المنع يمكن أن يكون هو العداوة، ولكن لا يوجد ما يثبت ذلك، سوى أنها صرحت: بأنها لا تحب الإمام الحسن، وعدم حبها للحسن لا يعني بغضها وعداوتها له.

ولو سلم بوجود بغض له، فيفترض انحصاره به، ولا يتعداه إلى بغض غيره، فما معنى تسرية هذه العداوة والبغض من الإمام الحسن «عليه السلام» إلى عداوة لله ولرسوله؟!

ثالثاً: لو سلمنا بجميع ذلك كله، فلا معنى لتعميم عداوتها لأهل البيت جميعاً أيضاً..

ويجاب:

ألف: إن الرضا بظلم البريء أمر بشع مناف للفطرة، والوجدان، ولا يقرّه العقل السليم، فكيف إذا كان الظلم للبريء في حال موته، فإنه يصبح أبشع، وأشنع وأفظع، وللمساوئ أجمع..

وعائشة جعلت من نفسها غطاء لظلم بريء هو أقدس الناس وأطهرهم،

وأفضلهم من جهتين:

أولاهما: العدوان على حقوقه، بما هو ميّت وبريء، وقد تمثل هذا بالمنع من إدخال جنازته إلى بيتٍ هو المالك والوارث له من جده، سواء أكان دخوله إليه، لأجل أن يدفن فيه بما هو أرضه وبيته، أو كان لأجل أن يجدد العهد بجده..

الثاني: تحريضها المناوئين من بني أمية وأشياعهم على مواجهة بني هاشم، حتى رموا جنازة ابن نبيهم، وسيد شباب أهل الجنة، وإمام الأمة وأفضل الخلق، وأطهرهم بالنبال.. فأصيب الجثمان الطاهر بسبعين سهماً كما نقل، كل ذلك تحت وطأة تحريضها لهم، فضلاً عن سائر الإرتكابات والإهانات التي وجهت لأهل بيت العصمة. وحتى ضد من أصبح في عداد الأموات.

وليت شعري إذا كان هذا القدر من التحدي والتصدي، والظلم قد صدر في حق الإمام الحسن «عليه السلام» بعد موته، بالرغم من الحواجز الاجتماعية والعرفية التي تمنع من ذلك، وبالرغم من حاكمية أجواء القداسة، وهيمنة حالة الرفض والإدانة لأية إساءة لمقام رموز القداسة، وأئمة الدين.. وهي الأجواء التي أرسى قواعدها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما بثه في الناس في حياته عن مقام الإمام الحسن «عليه السلام»، وعن منزلته عند الله.

ثم بالرغم من الخوف من ردات فعل الهاشميين وحلفائهم، وتحول أكثر الناس إلى تأييدهم ونصرتهم، والخوف من انفلات الزمام، والدخول في متاهات لم يحسبوا لها حساباً، ولم يعدوا لها ما يقيهم من أخطارها وأضرارها.

إن ذلك كله إذا كان قد سمح بإظهار هذا القدر من العدوان والطغيان،

والبغض، والحقد، فما بالك بأتون الحقد المتفجر الذي تضمه جوانحهم، مما لم يجدوا إلى التنفيس عنه وإظهاره سبيلاً؟!

وهل كانوا سيأخذون جثمان سيد شباب أهل الجنة ليقطعوه إرباً إرباً، أو أنهم سوف يحرقونه، ويذرون رماده في الهواء، وهل سيغيرون على كل أحبابه، وأصحابه، وأبنائه، وأهله، وعشيرته.. لاستئصالهم بأبشع الطرق، وأحقر الوسائل، حتى لا يبقى منهم نافخ نار؟!

وهل سيتنامى حقدهم إلى حد العدوان على قبر جدَّه النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» لاقتلاعه، ليكون مصير جثمان سيد الكائنات وأفضل المخلوقات هو نفس مصير ولده، ومصير سائر أبنائه وعشيرته، وكل من يمت إليه بصلة؟!

ب: وفي مقابل ذلك نلاحظ: أنه لم يكن هناك أي مبرر لهذا البغض والحقد على أهل البيت. فلو بدأنا بمشكلتهم مع أمير المؤمنين «عليه السلام»، فنجد:

أن المشكلة من الأساس لم تكن معه، بل كان هو الضحية والمظلوم فيها، لأن الأمر الذي أثار حفيظتهم عليه هو مجرد قوله لهم، حين وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لماذا خالفتم القرار الإلهي، والنص النبوي، فكان جزاؤه منهم هو هتك حرمته، وضرب زوجته، وإسقاط جنينها، وإضرام النار على بابه بهدف إحراقه بمن فيه.. وفيه: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، و..

ثم أخذوه ملبباً بحمائل سيفه، ومسحوا يدهم على يده، مدَّعين: أنه قد بايعهم.. والنص الشرعي يقول: لا بيعة لمكره.

ثم كان ذنبه في عهد عمر وعثمان: أنه أصر على اعتقاده بأنهم قد أخطأوا، وخالفوا أمر الله ورسوله.. ولم يزد على ذلك، فجازوه بالإبعاد والحرمان،

ومواصلة حملات التشويه، واضطهاد محبيه، وكل من عرفوا أنه يرى فيهم مثل رأيه أو يكاد، كأبي ذر «رحمه الله» وغيره، ممن تعرض للنفي والإبعاد، ولغير ذلك من أذايا.

كما أنه كان يعرف أهداف الشورى التي جاءت بعثمان، وأن هدفها هو إضعاف جانبه، وتصغير شأنه، وإيجاد مناوئين ومنافسين له، وتكريس الخلافة في عثمان، ثم في بني أمية، من خلال معاوية، ومن ينسج على هذا المنوال..

ولكن سوء أعمال عثمان التي كان يرسمها ويشرف على تنفيذها مروان بن الحكم كانت سبباً في ثورة الناس ضد عثمان وقتله..

فتوجه الناس إلى علي ليبايعوه فرفض طلبهم، ولاحقوه أياماً من بيت إلى بيت حتى رضي، ولكنه شرط عليهم أن يسير فيهم بكتاب الله وسنة رسوله.. وتمت البيعة له.

فلما أراد أن يجري فيهم سيرة وسنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» نابذوه، وحاربوه، وكانت الحرب بقيادة وزعامة عائشة، وقد سميت الحرب بحرب الجمل، لأنها كانت هي راكبة الجمل الأدبب التي تنبحها، وقد نبحتها كلاب الحوأب بالفعل، كما أخبرها وحذرها رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وكان قادة الحرب معها طلحة والزبير الذين قتلوا فيها، وقتل معهم الألوف أيضاً..

ولم تفد تحذيرات النبي «صلى الله عليه وآله» لعائشة ولطلحة والزبير، في تجنّب الدخول في هذه الحرب.

وانتهت حرب الجمل.. ولم يكن له ذنب فيها، إلا أنه دفع البغاة والناكثين

عن نفسه.

ثم جاءت حرب صفين، ولا مبرر لها سوى البغي عليه بما هو خليفة وإمام، ممن يريد أن يستولي على الحكم بأي ثمن، فكان لا بد لعلي من أن يدافع عن نفسه وأهله، وحكمه المشروع بجميع المقاييس، وهذا الدفاع مما يحكم به العقل والشرع، والفطرة، والعرف، وما إلى ذلك.

فكان علي «عليه السلام» هو المظلوم والمعتدى عليه، في جميع الأدوار، والأحوال، فهو ضحية إصراره على ضرورة الإلتزام من كل أحد، منذ وفاة الرسول وإلى حين حكم علي «عليه السلام» بمراعاة أحكام الشريعة، والإمتثال لأوامر الله تعالى.

ج: وكان الحسن والحسين «عليهما السلام» يسيران على نفس الخط، ولهم نفس الرأي والنهج والموقف، الذي لا يتجاوز الدعوة إلى تطبيق أحكام الله، وعدم تجاوز توجيهات رسول الله..

يُضاف إلى ذلك: الدفاع عن النفس والولد، ولاسيما الحسنان «عليهما السلام»، وابن الحنفية، حين يكون هؤلاء هدفاً للعدوان، والتجني، كما هو الحال في حربي الجمل وصفين.

وكانت حياتهما «عليهما السلام» حياة سلم، وانقياد لأحكام الشريعة، وما يفرضه المنطق السليم والقويم.

بل إن الكثيرين يدّعون: أن الحسن «عليه السلام» كان عثمانياً، يخالف أباه في شأن عثمان. ويحاولون تسخير بعض النصوص التي لا تثبت أمام النقد العلمي البريء والموضوعي لتسويق هذا الزعم.

وقد حضر الحسنان «عليهما السلام» حربي الجمل وصفين وفقاً لما اقتضاه، وفرضه واجب الدفاع عن النفس، وعن الإمام والإمامة مقابل الناكثين، والبغاة الظالمين.

فلماذا تحقد عائشة ومن معها على الإمام الحسن «عليه السلام»، بعد كل هذا، وهو لم يسئ إلى أحد بشيء، ولا نافس أحداً على شيء، سوى أنه يطالبهم بتنفيذ الأوامر الإلهية، والالتزام بالتوجيهات النبوية، عملاً بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فلماذا أصبحت المطالبة بالعمل بأحكام الله منكراً، وتحولت إلى حقد ماحق لا يبقي ولا يذر، حتى يصل الأمر إلى حد رمي جثمان الأموات بعشرات السهام؟!

بل وإن هذا ليس من الاختلاف في الرأي الذي يدَّعون أنه لا يفسد في الودِّ قضية، بل هو مجرد مطالبة فريق فريقاً آخر بالإلتزام بما فرضه الله ورسوله، من دون أن يكون للفريق المطالِب (بكسر اللام) رأي جديد. لكن الفريق المطالَب (بفتح اللام) هو الذي جاء برأي جديد يخالف تشريعات الله، وتوجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله».

د: وإذا أردنا أن ندخل إلى جوهر المشكلة، ونعرف سبب هذا الحقد الدفين من عائشة على أهل البيت، وعلى الإمام الحسن «عليه وعليهم السلام»، حتى لقد صرحت بأنها لا تحبه، وجعلت ذلك سبباً ومبرراً لمنع جثمانه من الدخول إلى موضع دفن جدِّه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقد يصح القول: بأن البيئة التي عاشت فيها عائشة تختلف عن البيئة

التي عاش فيها علي والحسن والحسين «عليهم السلام».

مما يعني: أنها بزواجها من رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد انتقلت من بيئة إلى أخرى غريبة عنها.. أو مناقضة لها، فلم تستطع أن تتأقلم مع الجو الجديد. ففي بيئة النبوة والإمامة هناك ضوابط شرعية وأخلاقية، وقيم تحكم وتهيمن.. وهي بيئة طهر، وصفاء، ونقاء، والتزام، وتقوى، وزهد، وبذل، وتضحية في سبيل الله، والمستضعفين، وفي سبيل القيم، وترشيد الفضائل.. وسعي مطَّرد نحو نيل الكمالات والمقامات.

والبيئة التي تهيمن على أكثر البيوت الأخرى لم تكن معنية بالشرع، والأخلاق والقيم، والتقوى، والزهد، والبذل، والتضحية.

ولأجل ذلك نلاحظ: أنه بمجرد دخول عائشة إلى بيت الزوجية الجديد، دخل هذا البيت في أجواء من التشنج، والمشاحنات بين عائشة والزوجات الأخريات، باستثناء اللواتي استأثرت عائشة بولائهن، وجعلت منهن معها فريقاً لا يهدأ، ولا يكل، ولا يمل في خلق المشكلات، التي كان أكثرها ينتهي إليها، أو يكون لها فيها السهم الأوفر.

بل طالت مشكلاتها حتى الزوجات اللواتي لم تجتمع معهن في بيت الزوجية كخديجة «عليها السلام»، التي ماتت قبل ذلك بزمان، ثم اتسع الأمر ليطال حتى من أراد النبي أن يخطبها من النساء.

يُضاف إلى ذلك: المشكلات الكثيرة التي كانت تثيرها مع علي وفاطمة والحسنين «صلوات الله عليهم».

هذا، بالإضافة إلى ما كان ينال رسول الله من هموم ومتاعب بسبب

إثاراتها وتحريكاتها، وتصرفاتها معه أيضاً.

هـ: إن عائشة كانت تدرك أن بيئتها الجديدة لديها ثقافة، ومعارف، وعادات، وخصال، وخصوصيات، وميزات في الصفاء، والطهر والعصمة، والأخلاق الكريمة، والزهد، والتقوى، والعبادة، والآداب، ما لا يوجد نظيره في أي بيت آخر على الإطلاق.

وكان يفترض بكل من دخل هذا البيت: أن يعمل على التشبّه بأهله، وتصحيح أوضاعه، وصيانة سلوكه، بحيث يقترب، ويتفاعل، ويتكامل في ظل هذا الواقع الجديد.

ولكن عائشة آثرت أن تواصل حياتها على ما كانت عليه في استرسال يصل إلى حد الإهمال، والعزوف عن تغيير المسار، بل هي قد سعت لتسخير الأجواء الجديدة لصالحها، وأن تطبعها بطابعها، فلم تنجح فيما أرادت، لأن العنصر المؤثر في هذا البيت، وهم: النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته الأطهار، وهم: علي وفاطمة والحسنان كانوا هم المرآة التي تظهر العيوب والندوب، والتشوهات لدى الآخرين، وتظهر أيضاً الكمالات والفضائل، والتقوى، والورع، والزهد، والعقل، والإتزان، والحكمة لدى من تكون هذه الصفات والسمات فيهم.

وبالمقارنة بين ما ظهر من هؤلاء وهؤلاء، يمتاز هؤلاء عن أولئك، ويظهر البون الشاسع بينهما.

و: وهذا هو بيت القصيد، ومنشأ العقدة، فإن هذا التمايز والتباين كان من موجبات النفور، وتعاظم الكراهة، وظهور الحسد، وكثرة الأذى والنكد،

وإنما يتعاظم هذا الحسد، ويزيد هذا النكد، بحسب تعاظم الأخطاء، ووضوح الفوارق، ويدرك الناس: أنهم أمام نوعين مختلفين، تجمعهما عناوين فضفاضة وعامة، لا تتجاوز الظاهر، ولا تعبر عن الحقيقة والواقع.

ز: وقد انفجرت هذه العقدة في حرب الجمل، ثم عند استشهاد الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام»، وإظهار الشماتة بموته، بصورة فيها الكثير من الخفة، ثم عند استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام».

خرجت على بغل بسرج:

تقول الرواية المتقدمة عن عائشة: «فخرجت مبادرة على بغل بسرج، فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً».

وركوب البغل المسرج هو المذموم في قوله «صلى الله عليه وآله»: «إذا ركب ذوات الفروج السروج»[1].

(1) مستدرك الوسائل للنوري الطبرسي ج 8 ص275 وبحار الأنوار ج 6 ص307 ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الهاشمي الخوئي ج 11 ص198 وجامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج13 ص370 ومستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج 5 ص 347 وج 10 ص52 وتفسير القمي ج 2 ص305 والتفسير الصافي للفيض الكاشاني ج 5 ص25 والبرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني ج 5 ص62 وتفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي ج5 ص 36 وتفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب للشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي ج12 ص232 وتفسير الميزان ج5 ص395 ونفس الرحمن في فضائل سلمان للميرزا حسين النوري الطبرسي ص397.

أما ركوب المرأة البغل غير المسرج، فلا حرج ولا ذم فيه.

وعائشة قد ركبت البغل المسرج المذموم.

أما ما روي، من أن فاطمة الزهراء «عليها السلام» ركبت بغلة يوم عرسها[1] وأن علياً «عليه السلام» أركبها حماراً، ودار بها على بيوت الأنصار في المدينة، يطلب نصرتهم حين موت رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2] فيرد عليه:

أولاً: لا حاجة إلى أن تركب فاطمة حماراً ولا بغلة يوم عرسها، لأن بيتها وبيت أبيها في المسجد متجاوران، ويمكن أن تنتقل من بيت أبيها إلى بيت زوجها، أو من حجرة إلى حجرة ببضع خطوات.

ثانياً: عرفنا أن ركوب المرأة بغلة بغير سرج لا ذم فيه، بل المذموم هو ركوب البغلة المسرجة، كما تقدم.

ثالثاً: بالنسبة لركوب الحمار نقول:

---

(1) كشف الغمة للإربلي ج 1 ص387 ومستدرك الوسائل ج14 ص198 ودلائل الإمامة للطبري ص103 ومدينة المعاجز ج2 ص351 وبحار الأنوار ج43 ص140 وجامع أحاديث الشيعة ج20 ص169.

(2) راجع: الإختصاص للشيخ المفيد ص184 وبحار الأنوار ج29 ص191 و 151 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج8 ص423 وراجع: مستدرك سفينة البحار ج2 ص407 وكتاب سليم بن قيس (ط سنة 1422هـ) ص302 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص107 والسقيفة وفدك للجوهري ص63 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص13 وغاية المرام ج5 ص315 وج6 ص18 و 26 ونفس الرحمن للطبرسي ص480.

ألف: لم يرد ذم على ركوبه، لا مسرجاً، ولا بدون سرج، مع أنه لم يذكر: أن الذي ركبته فاطمة كان مسرجاً أو غير مسرج.

ب: إن النصوص صرحت: بأنها «عليها السلام» ركبت أتاناً عليها كساء له خمل[1].

والأتان: هي أنثى الحمار.

نحوا إبنكم:

بالنسبة لقول عائشة: «نحُّوا ابنكم عن بيتي، فإنه لا يدفن فيه (في نص آخر: في بيتي) شيء، ولا يهتك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حجابه»، نقول:

إنها تكلمت:

أولاً: عن تنحية ابنهم عن البيت.

ثانياً: إنها نسبت البيت إلى نفسها.

ثالثاً: إن دفن الإمام الحسن «عليه السلام» مع جده هتك لحجاب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأما بالنسبة للحديث عن ابنهم، فنقول:

ألف: يلاحظ أنها لم تقل: نحُّوا ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل قالت: إبنكم، مع أنها سمعت رسول الله يقول كرات ومرات عن الحسن والحسين: بأنهما ابناه. فلا يجديها، كما لم يجدِ بني أمية تعمّد سلخه عن رسول

(1) راجع: الإختصاص للمفيد ص184 وبحار الأنوار ج29 ص191 وبيت الأحزان ص158 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج8 ص423.

الله، والإصرار على إنكار بنوتهما له «صلى الله عليه وآله».

ب: لو أردنا أن نحسن الظن هنا، فإننا نقول:

لعلها تحاشت نسبة الحسن إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنها لو نسبته إليه، فربما يتعاطف الناس معه، ويقولون: إذا كان الحسن ابن الرسول، فلماذا يمنع من دخول بيت أبيه، فإن بيت أبيه بيته أيضاً.

البيت بيتها:

وأما بالنسبة لقولها: إن البيت بيتها، فنقول:

ج: لقد تحدثنا عنه حين الكلام حول الوصية المكذوبة في فصل سابق.

ولكننا نكتفي بالإشارة هنا إلى ما روي عن عباد بن عبدالله بن الزبير، قال: سمعت عائشة تقول يومئذٍ: هذا الأمر لا يكون أبداً، يدفن ببقيع الغرقد، ولا يكون لهم رابعاً.

والله، إنه لبيتي، أعطانيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حياته، وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمري، وما آثر علي عندنا بحسن[1].

ونلاحظ: أن هذه الرواية رواها عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، فنقول:

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص114 و (ط دار الفكر) ج13 ص293 وسير أعلام النبلاء ج3 ص 276 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص224 ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج7 ص45 وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم) ص92 والطبقات الكبرى لابن سعد (ط الخانجي بمصر) ج3 ص393 وشرح إحقاق الحق ج26 ص591.

أولاً: إن المتوقع من عبّاد هذا: أن ينصر خالة أبيه عائشة بكل ما يستطيع، فقد كانت على رأس الجيش الذي حارب علياً، وكان أبوه وجده الزبير من قادته، وقتل جده الزبير في تلك الحرب، وقتل طلحة أيضاً، وكما يجر بعض الناس النار إلى قرصه، فإنه يجرها إلى قرص خالته وخالة أبيه أحياناً، ولاسيما إذا كان ذلك يشفي غليله ممن قتل جده، كما قلنا.

ثانياً: إذا كان أبو بكر قد طالب فاطمة «عليها السلام»: بأن تأتي بشهود على أن فدكاً لها، مع أنها كانت في يدها، وعمالها فيها لعدة سنوات، فجاءته بعلي والحسنين وأم أيمن، فرد شهادتهم، لأنه اعتبر أنهم يجرّون النار إلى قرصهم، مع أن الله تعالى قد شهد لهم بالعصمة والطهارة، وشهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأم أيمن بأنها من أهل الجنة، فإننا نطالب عائشة بأن تأتي بشهود يشهدون لها بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ملّكها البيت في حياته.

ثالثاً: إنها أقسمت بالله على أن النبي «صلى الله عليه وآله» ملّكها البيت في حياته، مع أنه لم يكن هناك داعٍ للقسم، فإن أحداً لا يجرؤ على تكذيبها فيما تدَّعيه، أو أن يسألها عن حجتها عليه، ولو أن أحداً فعل ذلك لأخذته السيوف المشهورة من كل جانب كائناً من كان.

ل: لماذا قالت: «فإنه لا يدفن فيه شيء»، ولم تقل: لا يدفن فيه أحد؟! فإن هذا هو التعبير الطبيعي عن الأشخاص..

ويمكن أن يُجاب:

بأن كلمة شيء يعبر بها عن أي موجود كان، مهما كان، جنساً ونوعاً، حقيراً كان أو جليلاً، من البشر أو من غيرهم، كالحيوانات، وغيرها..

وحيث إن عائشة لم تكن في مقام التكريم والتعظيم، فإن قرينة المقام تسوقنا إلى أنها أرادت معنى سيئاً، يستقبح ذكره، ولا أقل من أنها تحقره، بتجاهله، وبالتعبير عنه بكلمات مبهمة.

هتك حجاب الرسول:

وأما بالنسبة لما ادَّعته، من أن دفن الإمام الحسن مع جده هتك لحجاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنقول:

لقد تصدى لها الإمام الحسين «عليه السلام»، وأجابها بما يلي:

أولاً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» إذا كان قد قرر أن يدفن عند جده، فذلك يعني: أنه لا يرى في ذلك هتكاً لحرمته «صلى الله عليه وآله».

ومن المعلوم:

ألف: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال للناس ـ كل الناس ـ عن أهل بيته: لا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم[1]. ولم يستثن عائشة ولا غيرها..

ب: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرر إمامة الحسن وإمامة أخيه للأمة بأسرها، فيفترض بالأمة، بما فيها عائشة، ومروان، وبنو أمية: أن يطيعوه فيما يأمر وينهى.

---

(1) راجع: الكافي ج1 ص287 ـ 288 وبحار الأنوار ج35 ص210 ـ 211 ومرآة العقول ج3 ص213 والوافي ج2 ص269 وتفسير الصافي ج1 ص462 والبرهان (تفسير) ج2 ص105 وج4 ص443 ونور الثقلين (تفسير) ج1 ص502 وكنز الدقائق (تفسير) ج3 ص441 ـ442 وغاية المرام ج2 ص351 وج3 ص109 ـ 110.

كما أن القرآن قد صرح في آية التطهير بعصمته «عليه السلام»، وهو سيد شباب أهل الجنة.

فكيف يكون دفنه «عليه السلام» عند جده هتكاً لحرمة جده؟!

ثانياً: إن المطلوب كان هو إدخال الإمام إلى الحجرة التي دفن فيها جده «صلى الله عليه وآله» ليجدد العهد به، بعد المنع من الدفن بقرار حاسم من عائشة: ولا يدفن في بيتي شيء[1]، وقد قالت عائشة: «ولا تدخلوا بيتي من لا أحب»[2].

فلماذا منعت من ذلك أيضاً؟!

ثالثاً: إن أبا بكر وعمر بن الخطاب قد هتكا حجاب رسول الله بطلبهما من عائشة أن يدفنا مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فأذنت لهما، فشاركت هي أيضاً أباها وعمر في هتك هذا الحجاب!!

رابعاً: وهل قول عمر عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنه يهجر. وضرب

---

(1) راجع: الكافي ج1 ص302 وبحار الأنوار ج17 ص31 وج44 ص143 وج97 ص125 ومرآة العقول ج3 ص314 والأنوار البهية ص92 ونور الثقلين (تفسير) ج4 ص296 وكنز الدقائق (تفسير) ج10 ص421.

(2) راجع: الإرشاد للمفيد ج2 ص18 والخرائج والجرائح ج1 ص242 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص149 وبحار الأنوار ج44 ص153 و 154 و 157 والأنوار البهية ص92 والدرجات الرفيعة ص125 وقاموس الرجال ج12 ص300 وأعيان الشيعة ج1 ص576 والجمل للمفيد ص234 وكشف الغمة ج2 ص209 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص204 وروضة الواعظين ص168.

الزهراء، وإسقاط جنينها، ومحاولة إحراق بيتها، وهي وعلي والحسنان فيه ـ هل هذا ـ ليس هتكاً لحجاب الرسول، ولا هو عدوان على مسجده؟!

فلماذا رضيت بذلك، ولم تعترض؟! ثم يكون مجرد الدخول إلى حجرته ليجدد ولده الشهيد العهد به هتكاً وعدواناً؟!

أم أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يحب أبا بكر وعمر وعائشة أكثر من ولده وحبيبه وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة؟!

خامساً: إن دخول الابن على أبيه ليس هتكاً لحرمته، لأن بيت الأب هو بيت الابن، أما دخول الغرباء عليه ودفنهم في بيته بغير إذنه، فهو هتك لحرمته.

سادساً: إن دفن الغرباء في بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه مخالفة لثلاث آيات قرآنية هي:

ألف: الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾(1).

فقد دلت هذه الآية على:

1 ـ أن جميع البيوت التي أسكن النبي فيها نساءه هي ملك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» كما كانت عليه قبل إسكانهن، وليست للنساء.

2 ـ إن الدخول إلى بيوت النبي يحتاج إلى إذن من صاحب البيت، لا من أي شخص كان صاحب البيت قد أسكنه فيه،ثم انتهى الأمر بموت صاحب البيت، وانتقال ملكيته إلى ورثته، وليست الزوجة ممن يرث من الأرض.

---

(1) الآية 53 من سورة الأحزاب.

ب: الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾(1)

فما معنى ضرب المعاول فوق رأس رسول الله «صلى الله عليه وآله» لدفن أبي بكر وعمر، بإذن من امرأة بانت من زوجها بمجرد موته، ولم تعد لها علاقة به، ولا بأمواله وبيوته، وحرمة النبي «صلى الله عليه وآله» بعد موته كحرمته في حياته؟!

وهو «صلى الله عليه وآله» حتى في حال موته يسمع الأصوات، ويرد التحايا.. ويرى ويعرف مواقع من يأتيه، ومن يغيب عنه.

وقد ذكرنا فيما سبق شواهد عديدة من النصوص على ذلك.

ج: الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(1)

والمقصود: هو المنع من أي صوت مزعج ومهين لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولم يكن النبي يتكلم مع جلسائه بصوت عالٍ، فلا بد من مراعاة مستويات صوته، فلا يتكلم أحد في محضره بأصوات تزيد عليها، سواء أكان النبي يتكلم، أم كان ساكتاً..

ودفع هذا الوهم هو ما تكفلت به آية الأمر بغض الأصوات عنده «صلى الله عليه وآله».

---

(1) الآية 2 من سورة الحجرات.

(1) الآية 3 من سورة الحجرات.

وبذلك يظهر أيضاً: أن الشرع لم يمنع من دفن الحسن عند جده، بل الذي منع منه هو الظلم والعدوان، وإشهار السيوف، والإشراف على سفك الدماء بغير حق.

وهذا المنع لا أثر له في رفع الحكم الشرعي القاضي بالجواز، وسيعاقب المانعون بصورة عدوانية على جرأتهم هذه.

سابعاً: ثم قال الإمام الحسين «عليه السلام» لعائشة: إنه لو كان دفن الإمام الحسن «عليه السلام» جائزاً فيما بينهم وبين الله لعلمت عائشة: أنه سيدفن، وإن رغم معطسها. والمعطس: الأنف.

ولنا أن نفهم هذا الكلام على أنه «عليه السلام» يقول: إذا كان دفن الحسن عند جده جائزاً على كل حال، حتى لو لزم سفك الدماء، والتعرض للحتوف، فإنهم سيكونون على أتم الاستعداد لذلك.. ولن يمنعهم حشد المقاتلين من بني أمية وأشياعهم.. ولكنه جواز شروط بعدم حصول سفك للدماء، كما قلنا.. ولو عملاً بوصية الإمام الحسن نفسه.

ابن الحنفية يحرج عائشة:

وقد تصدى محمد بن علي (ابن الحنفية) لعائشة، وواجهها بما أحرجها، فقد أشار:

أولاً: **إلى أنها** قد ركبت الجمل في حرب الجمل، وها هي اليوم تركب البغل (بسرج) وتحضر بين حشود الرجال، وهذا لا يليق بالمرأة العادية، فما بالك بزوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ثانياً: إن هذا الفعل لا يلتقي مع أمر الله نساء النبي بالقرار في بيوتهن، في

قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى﴾[1].

وتبرج الجاهلية الأولى حالة يرغب الناس عن تداولها للاستهجان.

ثالثاً: إن عداوتها لعلي وأهل البيت، وبني هاشم، كانت تحدث لها هياجاً يخرجها عن طورها، وتزول عنها حالة الثبات والاستقرار، فلا تحملها الأرض بسبب تأجج الحقد في داخلها.

ولم تجد عائشة جواباً على ما قاله ابن الحنفية، تحفظ به ماء وجهها، فلجأت إلى أسلوب الإهانة والتحقير، والاستهانة، فقالت له: يا ابن الحنفية، هؤلاء الفواطم يتكلمون، فما كلامك؟!

وفي هذا الجواب روائح كريهة وممجوجة، فهي:

أولاً: حين نادته نسبته إلى أمه لا إلى أبيه، فقالت: يا ابن الحنفية، ونسبت الحسن والحسين إلى أمهما أيضاً ليظهر الفرق في الشرف بين ابن امرأة من بني حنيفة، وبين أبناء فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيدة نساء العالمين.. ولم تنسب الحسنين إلى علي «عليه السلام»، لأن محمداً هو ابن علي أيضاً، كما أنها لا تستطيع أن تذكر علياً بخير أبداً[1].

---

(1) الآية 33 من سورة الأحزاب.

(1) راجع: مسند أحمد بن حنبل ج6 ص288 و 38 والجمل للشيخ المفيد (ط سنة 1413 هـ) ص158 والسنن الكبرى للبيهقي ج1 ص3 والإحسان ج8 ص198 والمستدرك على الصحيحين ج3 ص56 والطبقات الكبرى لابن سعد (ط سنة 1405 هـ) ج2 ص231 و 232.

وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر ـ بيروت ـ سنة 1401 هـ) ج1 ص162

ثانياً: يبدو: أنها لم تجد عيباً في محمد، يمكن أن ترميه به، سوى أن أمه لا تضارع فاطمة الزهراء «عليها السلام»، فإن محمداً كان من خير الرجال عقلاً، وأخلاقاً، وكمالاً، والتزاماً، وتقوى، وتفانياً في سبيل الله، وشجاعة، وشهامة، وما إلى ذلك..

ثالثاً: لعلها أرادت أيضاً أن تثير في نفس محمد حالة من الحسد لأخويه، ثم التأسيس لنشر حالة من النفور، والجفاء، والفرقة بين الإخوة.

رابعاً: إن عائشة اتخذت في مقايستها بين أم محمد، وبين أم الحسن والحسين ذريعة لمنع محمد من الكلام، ولم تجبه على ما احتج به عليها.

ومن المعلوم: أنه ليس لأحد إذا واجهته الحجج الدامغة: أن يقول لمن احتج عليه: اصبر حتى أراجع نسبك، لأرى إن كان يحق لك الاحتجاج أو لا. فإن حق الاحتجاج والمطالبة بالجواب ليس مرهوناً بالأنساب، بل الحجة التي قدمها هي المعيار، بمقدار ما تحمله من هداية للحق، أو من جنوح إلى الباطل.

زاد بعض الإخوة هنا قوله:

وقد قيل: انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال[1]، وينسب هذا القول

وشرح صحيح مسلم للنووي ج4 ص138 و 139 والصوارم المهرقة ص105 والإرشاد للمفيد ص 194 وتاريخ الأمم والملوك (ط ليدن) ج 1 ص 1801 وسبل الهدى والرشاد ج 11 ص 175.

(1) غاية المرام ج4 ص492 وشرح كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لعبد الوهاب ص12 وعيون الحكم والمواعظ ص517 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم ص68 ومستدرك نهج البلاغة ص157 وكنز العمال (ط مؤسسة

لسيد الحكماء، أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأرسل نسبته إليه إرسال المسلمات الشهيد الثاني «رحمه الله» في بعض رسائله بلفظ: «لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قيل»[1].

الحسين يتصدى لعائشة:

فبادر الإمام الحسين «عليه السلام» لأخذ عنان الكلام عن محمد أخيه، وقال لها: إن في نسب أخيه ثلاث فواطم، لا مجال لإنكار فضلهن، فإن كان الانتساب إلى الفواطم هو المعيار، كما زعمت عائشة، فإن ثلاث فواطم تكفي ابن الحنفية لامتلاك الحق في الكلام والاحتجاج، وأصبحت بحسب منطقها مطالبة بالجواب على احتجاجاته..

ولكنها ليس فقط لم تجب بشيء، بل تكلمت بما دل على عجزها عن الجواب، حيث قالت: نَحُّوا ابْنكُمْ، واذْهَبُوا بِه، فَإِنَّكُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ. أي أن من صفاتهم الغلبة على الآخرين بالحجج، فلا يَدَعُون لهم مقالاً، ولا مجالاً..

ولا بأس بالتذكير هنا:

أولاً: بأن عائشة التي أرادت أن تردع ابن الحنفية عن الكلام، بحجة أنه ليس من أبناء الفواطم، قد أسقطت عن نفسها الصلاحية للكلام والاحتجاج،

الرسالة) ج16 ص197 و 269 عن ابن السمعاني في الدلائل، وتفسير الآلوسي ج11 ص188 وج14 ص210 وج15 ص329 وأعيان الشيعة ج9 ص328 والمناقب للخوارزمي ص375 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص538 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص5 وج2 ص151.

(1) رسائل الشهيد الثاني (ط.ج) ج1 ص7 ـ 8

فهي بنت أم رومان، وليست من بنات الفواطم.

ثانياً: إن عائشة لم تكن تعتقد: أن فاطمة سيدة نساء العالمين تمنح الحق لأبنائها بالاحتجاج، فهي لا تعترف لها بالعلم والفضل، وبغير ذلك من صفات الكمال، بل كانت تعتبرها امرأة كسائر النساء، ولكن ما تريده هو مجرد إسكات محمد، والتخفيف من عبء الاحتجاج الذي تعرف أنه لن يكون في صالحها.

هل دفنت الزهراء ÷ في البقيع؟!:

قول الرواية المتقدم: «فَمَضَى الْحُسَيْنُ «عليه السلام» إِلَى قَبْرِ أُمِّه. ثُمَّ أَخْرَجَه، فَدَفَنَه بِالْبَقِيعِ». قد يقال: إنه يدل على أنه «عليه السلام» لم يدفن أخاه عند أمه، بل هو قد مضى إلى أمه ليجدد العهد بها، ثم أخرجه فدفنه بالبقيع.

فما في بعض النصوص، من أنه «عليه السلام» قد دفن أخاه عند أمه سيدة نساء العاليمن «عليها السلام» غير دقيق.

بل يمكن الاستدلال بقوله: «ثُمَّ أَخْرَجَه، فَدَفَنَه بِالْبَقِيعِ» على أن أمه لم تدفن في البقيع، إلا إن كان المقصود بأمه: فاطمة بنت أسد.

وقد تقدم: أنه خلاف إطلاق كلمة أمي فاطمة، وخلاف إطلاق كلمة فاطمة.

الفصل الثاني

الطوسي والمرتضى «ره» يرويان..

من رواية الأمالي وعيون المعجزات:

وذكرت رواية الأمالي عن ابن عباس، ورواية السيد المرتضى في عيون المعجزات وصية الإمام الحسن «عليه السلام» لأخيه، وتسليمه الاسم الأعظم، ومواريث الأنبياء، التي كان أمير المؤمنين «عليه السلام» قد سلمها إليه، إلى أن قالت رواية الأمالي:

قال ابن عباس: فدعاني الحسين «عليه السلام»، وعبدَ الله بن جعفر، وعليَّ بن عبد الله بن العباس، فقال: اغسلوا ابن عمكم.

فغسلناه، وحنطناه، وألبسناه أكفانه، ثم خرجنا به، حتى صلينا عليه في المسجد.

وإن الحسين «عليه السلام» أمر أن يفتح البيت، فحال دون ذلك مروان بن الحكم، وآل أبي سفيان، ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان، وقالوا: أيدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتيل ظلماً بالبقيع، بشر مكان، ويدفن الحسن مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»! والله لا يكون ذلك أبداً، حتى تكسر السيوف بيننا، وتنقصف الرماح، وينفد النبل.

فقال الحسين «عليه السلام»: أما والله الذي حرم مكة، لَلحسن بن علي بن فاطمة أحق برسول الله وبيته ممن أدخل بيته بغير إذنه.

وهو والله أحق به من حمال الخطايا، مسيِّر أبي ذر «رحمه الله»، الفاعل بعمار ما فعل، وبعبد الله ما صنع، الحامي الحمى، المؤوي لطريد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكنكم صرتم بعده الأمراء، وبايعكم على ذلك الأعداء، وأبناء الأعداء.

قال: فحملناه، فأتينا به قبر أمه فاطمة «عليها السلام»، فدفناه إلى جنبها «رضي الله عنه وأرضاه».

قال ابن عباس: وكنت أول من انصرف، فسمعت اللغط، وخفت أن يعجل الحسين «عليه السلام» على من قد أقبل، ورأيت شخصاً علمت الشر فيه، فأقبلت مبادراً، فإذا أنا بعائشة ـ في أربعين راكباً ـ على بغل مرحل، تقدمهم وتأمرهم بالقتال.

فلما رأتني قالت: إلي إلي يا بن عباس، لقد اجترأتم علي في الدنيا، تؤذونني مرة بعد أخرى، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب.

فقلت: وا سوأتاه! يوم على بغل، ويوم على جمل، تريدين أن تطفئي فيه نور الله، وتقاتلي أولياء الله، وتحولي بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين حبيبه أن يدفن معه.

ارجعي، فقد كفى الله (تعالى) المؤنة، ودفن الحسن إلى جنب أمه، فلم يزدد من الله (تعالى) إلا قرباً، وما ازددتم منه والله إلا بعداً.

يا سوأتاه! انصرفي فقد رأيت ما سرك.

قال: فقطبت في وجهي، ونادت بأعلى صوتها: أما نسيتم الجمل يا ابن عباس، إنكم لذوو أحقاد.

فقلت: أما والله ما نسيه أهل السماء، فكيف ينساه أهل الأرض؟!

فانصرفت وهي تقول:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر(1)

إضافة من عيون المعجزات:

وفي عيون المعجزات قوله: فلما فرغ من شأنه، وحمله ليدفنه مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ركب مروان بن الحكم ـ طريد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ بغلة وأتى عائشة، فقال لها: يا أم المؤمنين، إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والله إن دفن معه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة.

قالت: فما أصنع يا مروان؟!

قال: الحقي به، وامنعيه من أن يدفن معه.

قالت: وكيف ألحقه.

قال: اركبي بغلتي هذه.

فنزل عن بغلته وركبتها، وكانت تثوّر الناس، وبني أمية على الحسين «عليه السلام»، وتحرضهم على منعه مما همّ به، فلما قربت من قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانت قد وصلت جنازة الحسن «عليه السلام»، فرمت

---

(1) الأمالي للطوسي ص158 و (ط أخرى) ص703 وبحار الأنوار ج44 ص151 ومدينة المعاجز ج3 ص376 وبشارة المصطفى ص417 وعيون المعجزات للمرتضى ص57 ـ 59.

بنفسها عن البغلة، وقالت: والله لا يدفن الحسن هاهنا أبداً أو تجز هذه، وأومت بيدها إلى شعرها.

فأراد بنو هاشم المجادلة، فقال الحسين «عليه السلام»: الله الله، لا تضيعوا وصية أخي، واعدلوا به إلى البقيع، فإنه أقسم عليَّ إن أنا منعت من دفنه مع جده «صلى الله عليه وآله» أن لا أخاصم فيه أحداً، وأن أدفنه بالبقيع مع أمه «عليها السلام».

فعدلوا به، ودفنوه بالبقيع معها «عليها السلام».

فقام ابن عباس وقال: يا حميراء، ليس يومنا منك بواحد. يوم على الجمل، ويوم على البغلة.

أما كفاك أن يقال يوم الجمل حتى يقال يوم البغل؟!

يوم على هذا، ويوم على هذا، بارزة عن حجاب رسول الله، تريدين إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره المشركون.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقالت له: إليك عني، وأفٍّ لك ولقومك.

إلى أن قالت الرواية عن الإمام الحسن «عليه السلام»: «روي أنه دفن مع أمه «عليها السلام» سيدة نساء العالمين في قبر واحد»(1).

وفي نص آخر، قال عن ابن عباس:

ثم أقبل على عائشة وقال لها: وا سوأتاه! يوماً على بغل، ويوماً على جمل؟!

---

(1) عيون المعجزات ص57 ـ 59 وبحار الأنوار ج44 ص140 ـ 142 عنه.

تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله؟!

ارجعي فقد كفيت الذي تخافين، وبلغت ما تحبين، والله منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين.

وقال الحسين «عليه السلام»: والله لولا عهد الحسن إليَّ بحقن الدماء، وأن لا أهريق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مآخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا.

ومضوا بالحسن «عليه السلام»، فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف «رضي الله عنها»[1].

وفي مناقب ابن شهرآشوب: مثله مع اختصار، وزاد فيه: ورموا بالنبال جنازته حتى سل منها سبعون نبلاً، فقال ابن عباس بعد كلام: جمّلت وبغّلت ولو عشت لفيّلت[2].

وفي رواية الخرائج والجرائح عن الإمام الصادق «عليه السلام»:

ثم قال لعائشة: وا سوأتاه! يوماً على بغل، ويوماً على جمل.

وفي رواية: يوماً تجملت، ويوماً تبغلت، وإن عشت تفيلت.

فأخذه ابن الحجاج الشاعر البغدادي، فقال:

---

(1) بحار الأنوار ج44 ص155 ـ 157 عن الإرشاد للمفيد ج2 ص17 وكشف الغمة ج2 ص211 وروضة الواعظين ص185 وإعلام الورى ج1 ص414 ومقاتل الطالبيين ص81.

(2) مناقب آل أبي طالب ج4 ص42 ـ 44 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص204 وبحار الأنوار ج44 ص157 والأنوار البهية ص93.

يـــا بنـــــت أبي بكـــــر لا كـــــــان ولا كنـــــــت
لـــك التســـع مـــن الـــثمن وبالكــــــل تملكـــــت
تجمّلـــــــت تبغّلـــــــت وإن عشـــــت تفيّلـــــت[1]

ونقول:

إن أكثر ما ذكر في هذه النصوص التي ذكرت في كتاب الأمالي للطوسي، وعيون المعجزات للسيد المرتضى قد تحدثنا عنه فيما سبق من مطالب وفصول، فلا حاجة للإعادة، فإنه تكرار بلا موجب..

ولذا آثرنا الاقتصار هنا على موارد يسيرة، أحببنا أن نعيد لفت النظر إليها بعبارة مختصرة، وذلك كما يلي:

1 ـ قلنا: إن تغسيل الإمام لا يكون إلا من إمام مثله، فلا صحة لقولهم: إن ابن عباس، وابنه علياً، قد شاركا، أو انفردا بتغسيل الإمام الحسن «عليه السلام».

وكذلك الحال فيما يقال عن آخرين بهذا الخصوص.

2 ـ احتج مروان وبنو أمية لمنعهم من دفن الإمام الحسن «عليه السلام» مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بدفن عثمان بشر مكان بالبقيع، وقالوا: والله لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا، وتقصف الرماح، وينفد النبل.

ونقول:

لماذا هذه النقمة على الإمام الحسن «عليه السلام»؟! فهو «عليه السلام»

---

(1) الخرائج والجرائح ج1 ص243 وبحار الأنوار ج44 ص154 و 155 عنه.

ليس فقط لم يقتل عثمان، بل هو لم يشارك في قتله، لا من قريب، ولا من بعيد، بل إن الكثيرين يقولون: إنه شارك في الدفاع عنه، إلى أن طلب منه عثمان نفسه الامتناع عن هذه المشاركة.

بل لقد أشاعوا وأذاعوا عنه: أنه كان عثمانياً، وأنه كان يخالف أباه في الرأي في عثمان، وأنه كان يناقشه فيه.. وقد ذكرنا ذلك كله في ثنايا هذا الكتاب، وفي كتاب الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام».

وعن دفن عثمان بشرِّ مكان في البقيع، وهو حش كوكب، الذي كان مقبرة لليهود نقول:

هل كان الإمام الحسن «عليه السلام»، أو أحد بني هاشم هم السبب في دفن عثمان في ذلك الموضع الكريه؟!

3 ـ لقد أقسم الحسين «عليه السلام» بالله الذي حرم مكة: أن الذي انتهك حرم رسول الله، ودخل بيته بغير إذنه هو من أدخل بيته الغرباء عنه بغير إذنه.

وأما إدخال الحسن «عليه السلام» فلا ضير فيه، فيحق له الدخول على جده، لأن البيت بيته.. وهو مأذون له في دخوله.. فترى: أن ما أقسم به «عليه السلام» مرتبط بتحريم مكة، وما أراد إثباته بالقسم: هو هتك حرمة بيت النبي، بإدخال الغرباء إليه، وعدم حصول الهتك بإدخال الحسن إلى قبر جده.

4 ـ كما أن الحسن «عليه السلام» هو من الذين طهرهم الله بنص آية التطهير، ومن الأئمة المعصومين..

أما عثمان، فهو حمّال الخطايا، وليس مطهراً، ولا معصوماً.

ويبدو لنا: أن التعبير بحمّال الخطايا ناظر إلى أنه هو الذي أفسح المجال للآثمين، والطامعين، والظالمين، والمجرمين لارتكاب المآثم والجرائم، وكان يحميهم، ويدافع عنهم، ويمنحهم القوة، ويمدهم بالأموال والعطايا، ويتجاوز ويتستر على جرائمهم وموبقاتهم.

وهو الذي اعتدى على كبار الصحابة كعمار، وأبي ذر، وابن مسعود، وغيرهم.. كما أنه هو الذي آوى طريد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الحكم بن أبي العاص، ونقض ما قرّره رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حق ذلك الآثم الظالم.

وهو الذي حمى الحمى، ومنع الناس من الضرب في الأرض لتحصيل أرزاقهم.

فهل من يكون هذا حاله أحق برسول الله «صلى الله عليه وآله»، من ابن الرسول الذي هو إمام مطهر معصوم، وسيد شباب أهل الجنة؟!

5 ـ وقد أشرنا فيما سبق إلى أنهم قالوا: إن المراد بأم الإمام الحسن «عليه السلام» ليس هو فاطمة الزهراء، لأن الزهراء «عليها السلام» لا يعلم موضع قبرها إلى يومنا هذا.. وقد ناقشنا قولهم هذا: بأنه مخالف لظاهر الإطلاق، فلا نعيد.

عائشة في أربعين راكباً:

وذكرت رواية الأمالي: أن ابن عباس يقول: إنهم بعد أن دفنوا الإمام الحسن «عليه السلام» عند أمه قال: «وكنت أول من انصرف، فسمعت اللغط، وخفت أن يعجل الحسين على من قد أقبل، ورأيت شخصاً علمت الشر فيه،

فأقبلت مبادراً فإذا بعائشة ـ في أربعين راكباً ـ على بغل مرحل تقدمهم وتأمرهم بالقتال».

ولنا على هذه الفقرة ملاحظات هي التالية:

ابن عباس في المدينة، أو في الشام؟!:

إن حديث الأمالي هذا مروي عن ابن عباس، وذكر أن الحسين دعاه هو وابن جعفر وعلي بن عبد الله بن العباس، وأمرهم بتغسيل الإمام الحسن «عليه السلام». إلى أن ذكر ابن عباس: أنه بعد دفن الإمام عند أمه كان أول من انصرف.

وهذا يعني: أن ابن عباس كان في المدينة حين استشهاد الإمام الحسن.. مع أن الرواية التي ذكرت شماتة معاوية بموت الإمام الحسن «عليه السلام» ذكرت: أن معاوية سجد، وسجد من حوله، وكبّر وكبّروا معه، فدخل عليه ابن عباس، فقال له: يا ابن عباس، أمات أبو محمد؟!

قال: نعم، رحمه الله، وبلغني تكبيرك وسجودك الخ..

فهذه الرواية تدل على أن ابن عباس كان حين موت الإمام الحسن في الشام، فكيف نفهم هذه الأمور؟!

ونجيب:

بأن قول الرواية: «فدخل عليه ابن عباس الخ..» تدل الفاء فيه على أن دخول ابن عباس كان بعد سجود معاوية وتكبيره بمدة يسيرة.. لأن الفاء تدل على التعقيب بلا فصل. أي أنها تدل على الفورية العرفية، فلعل ابن عباس

سافر إلى الشام بعد دفن الإمام الحسن «عليه السلام» مباشرة.. ولعله قطع المسافة في مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام أو أربعة، أو حتى أسبوعاً، فلما وصل إلى الشام دخل على معاوية.. فهذا الفصل بين حدث جرى في الشام، وحدث جرى في المدينة لا يعتبر فصلاً معتداً به.

ويرى العرف: أن الفورية التي تصحح استعمال الفاء الدالة على التعقيب بلا مهلة متحققة.. وهذا كاف في دفع مثل هذا الإشكال.

هل كان ابن عباس أعمى؟!:

إن سبط ابن الجوزي ذكر: أنه لما دخل ابن عباس على معاوية، وجرى بينه وبينه ما جرى، كان بصر ابن عباس قد ذهب.

ولكن ابن عباس في رواية الأمالي يقول عن تشييع جثمان الإمام: «ورأيت شخصاً علمت الشر فيه». وهذا يعني: أن بصره لم يذهب، فهل كان بصر ابن عباس قد ضعف كثيراً حين وفاة الإمام، حتى أصبح يرى أشباحاً يصعب عليه التمييز بينها، ولذلك قال: «رأيت شخصاً علمت الشر فيه، فاقبلت مبادراً، فإذا بعائشة». وكأنه لم يعرف ذلك الشخص في البداية، فلما بادر إليه عرف أنه عائشة.. وضعف بصره هو السبب في عدم معرفته في البداية، كما أن شدة ضعف بصره هي التي خوّلت سبط ابن الجوزي: أن يعتبر بصره قد ذهب.. وسوف نتحدث عن هذا الإشكال وحلِّه في موضع آخر من هذا الجزء.

إلا أن نقول ـ كما قال بعض الإخوة الأكارم ـ:

إن كلام ابن عباس قد جاء على سبيل التدرج في سرد الوقائع.. والشاهد على ذلك: أنه قال: إنه رأى شخصاً من بعيد، فعرف أنه شخص فيه أو معه

شرّ، فلما قرب، إذا هو عائشة.. وبذلك يكون القول بأن ابن عباس كان ضعيف البصر آنئذٍ موضع ريب. انتهى.

ألفان، أو أربعون؟!:

ذكرت الرواية: أن عائشة قدمت في أربعين راكباً، مع أن رواية أخرى قالت: إن مروان كتب لمعاوية: أنه جمع ألفي رجل، فكيف نجمع بينهما؟!

ونجيب:

بأن الأربعين رجلاً هم الذين رافقوا عائشة حين جاءت على بغل مرحل لتحرض بني أمية ومواليهم على قتال الحسين «عليه السلام» وبني هاشم، ولكن الذين جمعهم مروان لمواجهة بني هاشم، كانوا ألفي رجل، وقد انضم إليهم هؤلاء الأربعون، وكان لهم موقف واحد ضد بني هاشم.

عائشة تأمر بالقتال:

صرحت رواية الأمالي: بأن عائشة كانت تأمر أتباعها بالقتال.. وهذا يكذّب ما يحاول البعض أن يدّعيه، من أنها خرجت لتصلح بين الفريقين، ولم تكن منحازة لبني أمية، فإن هذه المزاعم لا تعدو كونها ترهات واهية، وأوهاماً بالية..

لكي لا يتهم الحسين ×:

ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: إن الحسين بن علي «عليهما السلام» أراد أن يدفن الحسن بن علي «عليهما السلام» مع رسول الله «صلى الله عليه

وآله»، وجمع جمعاً.

فقال رجل سمع الحسن بن علي «عليه السلام» [يقول]:

قولوا للحسين: ألا يهرق فيَّ دماً[1].

ونقول:

عرفنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» أوصى أخاه أن لا يهرق في أمره محجمة من دم، فلو أن الإمام الحسين «عليه السلام» حين رأى تصميم بني أمية على منعه، ولو بقيمة سفك الدماء، ورأى عائشة تحرض الناس على القتال، ورأى عشرات النبال تنهال على الجثمان الطاهر، حتى سلّ منه سبعون سهماً.

لو أنه وهو في مثل هذا الأجواء قال لهم: إن أخي أوصاني أن لا أهرق في أمره محجمة من دم، لاتهموه بأنه ـ والعياذ بالله ـ قد هاله الأمر، وضعف وجبن عن المواجهة، فاخترع هذه القضية على لسان أخيه، لتكون مخرجاً له من المأزق الذي هو فيه.

فكان من الأجدى والأصلح: أن يتولى إبلاغ هذه الوصية إلى الإمام الحسين «عليه السلام»، وإلى ذلك الجمع كله شخص آخر يكون حاضراً لما يجري.

وحين ظهر تصميم الإمام الحسين «عليه السلام» على دخول الجثمان إلى حجرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبلغه ذلك الرجل الوصية على مرأى ومسمع من الجميع، فكانت الوصية هي التي حسمت الموقف.

ويبدو: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد كرر هذه الوصية على مسامعهم

---

(1) علل الشرايع ج1 ص225 وبحار الأنوار ج44 ص150 والعوالم ج16 ص193.

بعد ذلك.

ماذا عن حلف الفضول؟!:

روى ابن عساكر عن الحسن بن محمد ابن الحنفية ما جرى حين دفن الإمام الحسن «عليه السلام»، فكان مما قال:

لما مرض حسن بن علي مرض أربعين ليلة، فلما استُعِزَّ به، وقد حضرت بنو هاشم، فكانوا لا يفارقونه، يبيتون عنده بالليل، وعلى المدينة سعيد بن العاص، وكان سعيد يعوده، فمرة يؤذن له، ومرة يحجب عنه.

فلما استعزّ به بعث مروان بن الحكم رسولاً إلى معاوية يخبره بثقل الحسن بن علي.

إلى أن قال:

فانتهى حسين بن علي إلى قبر النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: احفروا ها هنا.

فنكب عنه سعيد بن العاص، وهو الأمير، فاعتزل ولم يحل بينه وبينه.

وصاح مروان في بني أمية ولفها، وتلبسوا السلاح، وقال مروان: لا كان هذا أبداً.

فقال له حسين: يا ابن الزرقاء! ما لك ولهذا؟! أوال أنت؟!

قال: لا كان هذا، ولا يُخلص إليه وأنا حي!!

فصاح حسين بحلف الفضول، فاجتمعت بنو هاشم، وتيم، وزهرة، وأسد، وبنو جعونة بن شعوب من بني ليث، قد تلبسوا السلاح.

وعقد مروان لواء، وعقد حسين بن علي لواء.

فقال الهاشميون: يدفن مع النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى كانت بينهم المراماة بالنبل، وابن جعونة بن شعوب يومئذ شاهر سيفه(1).

ونقول:

تضمن هذا النص أموراً، نذكر منها:

التحدي بالسيف:

إن ابن جعونة بن شعوب، الذي هو من الموالين للحسين «عليه السلام» كان شاهراً سيفه، وكأنه يريد الإيحاء: بأن التحدي بالسيف قد جاء من قبل فريق الحسين، لا من قبل بني أمية.

لم تشر الرواية إلى السم:

وذكر هذا النص: أن الإمام الحسن مرض أربعين ليلة، ولم يشر إلى أنه «عليه السلام» مات مسموماً بتدبير من معاوية..

وإطالة مدة مرضه «عليه السلام» قد يكون هدفها: أن لا يخطر أمر دس السم إليه «عليه السلام» على البال، ويصبح أمراً منفصلاً عن موضوع الموت يحتاج إلى من يحمله إلى الناس كأمر طارئ، وخارج عن سياق الأحداث، وبذلك يفقد قوة التأثير، وتضعف مساهمته في ايقاظ الوجدان، وتحفيز المشاعر.

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج13 ص292 و 293 وترجمة الإمام الحسن «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر ص221 و 222 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص85.

ابن العاص لا يعارض الحفر:

وتصرح الرواية: بأن الحسين «عليه السلام» عيّن الموضع الذي يريد حفر القبر فيه لدفن الإمام الحسن «عليه السلام» عند جده، ثم أصدر أمره بالشروع بالحفر، فثارت ثائرة بني أمية، فلبسوا السلاح الخ..

وذكر أن سعيد بن العاص اعتزل، ولم يحل دون ذلك، وكان هذا السياق يريد أن يفهم الناس أموراً، هي:

1 ـ إن الإمام الحسين «عليه السلام»، قد ضرب بالمعاول عند قبر النبي «صلى الله عليه وآله»، وأساء إليه، وهتك حرمته.

2 ـ إنه استفز بني أمية، وكان هو السبب في حملهم السلاح، وتأزيم الأمور.

3 ـ إنه قد وصل إلى بيت النبي «صلى الله عليه وآله»، وشرع في الحفر فيه مع أن رواية الأمالي المتقدمة صرحت بالقول: إنهم خرجوا بالجثمان، وصلّوا عليه في موضع الجنائز: «وأن الحسين «عليه السلام» أمر أن يفتح البيت، فحال دون ذلك مروان بن الحكم، وآل أبي سفيان، ومن حضر هناك من ولد عثمان الخ..».

إلى أن قال: إنهم قالوا: «والله لا يكون ذلك أبداً، حتى تكسر السيوف بيننا، وتتقصف الرماح، وينفد النبل».

4 ـ يلاحظ: أنه يراد إظهار سعيد بن العاص على هيئة الوداعة، والهدوء، وحب السلامة. ربما للتوطئة لتقبل الناس دعوى: أن الحسين «عليه السلام» قدمه للصلاة على الجنازة.. ليكون لبني أمية أيضاً نصيب من التعقل، والتبصر،

والنظر في عواقب الأمور.

مع أن اليعقوبي يقول: إن سعيداً شارك في المنع من وصول الجثمان إلى موضع دفن جدّه، ليجدد به العهد..

ومع أن وصية الإمام الحسن لأخيه قد فرضت عليه أن يدفنه في البقيع، إذا وجد معارضة في ذلك.

الدعوة بحلف الفضول:

أما دعوة الحسين «عليه السلام» بحلف الفضول. وما جرى حسبما قررته الرواية، فيبدو أيضاً: أن الهدف منه هو: إظهار أن الحسين «عليه السلام» هو البادئ بجمع الرجال للقتال، وهو الذي أشهر العدواة للطرف الآخر.. فكانت النتيجة المراماة بالنبل، مما يعني: أن ما أصاب الجثمان الطاهر من النبال، وفي حال الهياج والتوتر لا يمكن تحديد مصدره، فلعله من فريق ثالث حاقد، يهدف إلى تسعير الموقف.

رواية شرح الأخبار:

وبعد أن ذكر القاضي النعمان: أن الإمام الحسن أوصى إلى الإمام الحسين «عليهما السلام» قال:

وفوض الأمر إليه، وأقامه المقام الذي أقامه الله عز وجل ورسوله «صلى الله عليه وآله» فيه، ونص عليه في محضر من شيعته، وعرّفهم: أنه القائم في مقام الإمامة بعده، مع ما سبق إليهم، واطَّلعوا عليه فيهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن أمير المؤمنين «عليه السلام».

وأوصاه أن يدفنه مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إن لم ينازع في

ذلك، [فإن] نازعه في ذلك منازع ترك ذلك، ودفنه في الجبانة إلى جانب أمه فاطمة «صلوات الله عليهما».

وقيل: إن ذلك انتهى إلى عائشة، واختلف القول فيه عنها.

فقال قوم: إنها قالت: ألا ما في البيت إلا مكان قبر واحد كنت أردته لنفسي، والحسن أحق به مني.

وقيل: بل منعت من ذلك أشد المنع، وركبت بغلاً، وخرجت إلى جماعة بني أمية، تقول: هكذا اغتصب علي بيتي، ويدفن الحسن في مكان أعددته لنفسي.

وقيل: إن بعض الشعراء قال في ذلك شعراً يقول فيه:

فيوماً على بغل ويوماً على جمل

والله أعلم أي ذلك كان منهما.

وكان سعيد بن العاص عاملاً لمعاوية على المدينة، وكان بها يومئذ مروان بن الحكم. فانتهى الذي قاله الحسن «عليه السلام» إلى سعيد، وقال له بنو أمية: ما أنت صانع في ذلك؟!

هؤلاء يريدون أن يدفنوا الحسن مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم قد منعوا عثمان من ذلك.

فقال سعيد: ما كنت بالذي أحول بينهم وبين ذلك.

فغضب مروان بن الحكم، وقال: إن لا تصنع في هذا شيئاً، فخلّ بيني وبينهم.

فقال: أنت وذلك.

فجمع مروان بني أمية، وحشمهم ومواليهم، وأخذوا السلاح.

فبلغ ذلك الحسن، فقال للحسين «عليه السلام»: أناشدك الله أن لا تهيج في هذا الأمر، وادفني مع أمي.

وتأكيد ذلك عليه، واستحلفه فيه. ومات الحسن «عليه السلام».

وبلغ الحسين «عليه السلام» اجتماع من جمعه مروان، وأنهم قد أخذوا السلاح ووقفوا ليمنعوا من دفن الحسن مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فحمي لذلك واهتاج له.

وكان «عليه السلام» أبي النفس، شهماً، شجاعاً. وجاءه مواليه وشيعته، فأمرهم، فأخذوا سلاحهم.

واحتمل سرير الحسن «عليه السلام» ليصلي عليه.. وخرج سعيد بن العاص، فدفع الحسين «عليه السلام» في قفاه، وقال له: تقدم لولا السنة ما قدمتك.

يعني على ظاهر الأمر: أن السلطان، أو من أقامه للصلاة بالناس، إذا حضر الجنازة كان أحق بالصلاة عليها من وليها.

فصلى عليه سعيد بن العاص، فلما انصرف قام عبد الله بن جعفر إلى الحسين «عليه السلام»، فقال له: عزمت عليك لما امتثلت وصية أخيك ولم تخالفه، وتلقح شراً.

ووقف إلى جمع بني أمية، فقال: قد علمتم الحسين بن علي «عليه السلام»، وأنه لا يقر على الضيم، وقد أوصاه أخوه أن يدفنه بالبقيع، فلا تلجئوه إلى

أن يلقح شراً بوقوفكم، فانصرفوا.

وتقدم عبد الله بن جعفر، فأخذ بمقدم السرير، ولم يزل بالحسين «عليه السلام» حتى أجابوا.

ومضى نحو البقيع، فدفنه إلى جنب فاطمة «عليها السلام»، كما أوصى بذلك، وانصرفوا.

وسبق الخبر إلى معاوية بموت الحسن «عليه السلام» في الوقت الذي مات فيه قبل أن يدفن، وأنه أوصى أن يدفن مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأظهر لموته سروراً، وقال: إن صدق ظني بمروان فيمنعه من دفنه مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجعل يقول: إيهاً مروان.

فلما دفن أرسلوا رسولاً إليه ثانياً بالخبر، ففرح لذلك، وأثنى على مروان خيراً(1).

ونقول:

تضمنت رواية القاضي النعمان أموراً، نذكر منها بعضها، ونكل بعضها الآخر إلى ما قدمناه من بيان لنصوص تضمنت نفس الموضوع الذي احتاج منا إلى بعض البيان، فنقول:

النص على إمامة الحسين ×:

ذكر في الرواية:

أن الحسن «عليه السلام» أوصى للحسين، وأقامه المقام الذي أقامه الله

---

(1) شرح الأخبار للقاضي النعمان ج3 ص124 ـ 128.

ورسوله وأمير المؤمنين «عليهم السلام»، ونص عليه في محضر شيعته الخ..

وإذا ضممنا هذا إلى ما ورد عن الأئمة، من أن كل واحد منهم كان ينص على الذي بعده، فإن ذلك يقطع الطريق على الزعم الذي يقول: إنه لا نص من الحسن على الحسين في أمر الإمامة بعده.

بنو أمية يبادرون إلى حمل السلاح:

1 ـ وقد صرحت الرواية: بأن بني أمية بمجرد سماعهم: أن الحسن «عليه السلام» أوصى أخاه بأن يدفنه مع جده، إلا إذا نوزع. حملوا السلاح وتهيأوا للحرب، وذلك قبل شهادة الإمام الحسن «عليه السلام».

وهذا يكذِّب ما زعمته بعض الروايات، من أن الحسين «عليه السلام» كان هو البادئ بجمع الرجال، والداعي بحلف الفضول.

2 ـ وصرحت الرواية المتقدمة: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» طلب من أخيه أن لا يهيجه جمع بني أمية، واستحلفه على ذلك فحلف.. فهناك وصية، ووعد بالوفاء، وهناك قسم يحرم الحنث به في الشرع الشريف.

ثم تزعم الرواية نفسها: أن الحسين «عليه السلام» قد أخلف الوعد، وحنث بالقسم، فإنه لما بلغه اجتماع بني أمية بالسلاح، حمي واهتاج، وكان أبيَّ النفس شجاعاً شهماً..

فأولاً: إن هذا طعن بصدق الإمام وبأخلاقياته، وبدينه.

ثانياً: إن آية التطهير قد حكمت بطهارته من كل ذنب، وصدقه، وبأنه لا يخلف وعده، ولا يحنث بيمنه.

ثالثاً: إن صاحب النفس الأبية، والشهم الشجاع، يجب أن يمنعه إباؤه وشهامته، وشجاعته.. عن معصية الله، ولا يصلح جعل الشهامة والإباء، والشجاعة سبباً للحنث باليمين، ومخالفة الوعد، وعدم التزامه «عليه السلام» بوصية أخيه..

فكيف جعلت الرواية هذا الإباء، والشجاعة، والشهامة سبباً، ومبرراً، وعذراً للخلف وللحنث والعصيان؟!

القاضي النعمان لم يكن منصفاً:

1 ـ ذكرت الرواية صلاة سعيد بن العاص على جثمان الإمام الحسن «عليه السلام»، وأن الإمام الحسين «عليه السلام» هو الذي قدّمه للصلاة، وأنه قال له: لولا السنّة لما قدمتك.

وقلنا: إن ذلك كله موضع شك وريب، وذكرنا ذلك فيما سبق، فلا نعيد.

2 ـ لاحظنا: أن القاضي النعمان، وإن لم يصرح ببراءة عائشة، ولكنه سعى لإلقاء الشبهة حول حقيقة ما فعلته، حيث اعتبر أن الروايات متعارضة منها ما يقول: إنها وافقت على دفن الإمام عند جده..

بل بعضها ادَّعى: أنها قال: إن الإمام الحسن أحق منها بالدفن عنده «صلى الله عليه وآله».

وبعضها يذكر تحريضها بني أمية على القتال، بالإضافة إلى أمور أخرى ذكرنا بعضها، تسيء إلى الإمام «عليه السلام».

وكأني بالقاضي النعمان يتظاهر بالورع والتقوى في هذا المورد لتعمية الأمور على الناس، وكان الحري به: أن يكون مع الحق مهما كان صعباً ومراً

في ذائقة أهل الأهواء والعصبيات..

تعابير كريهة:

وتدَّعي الرواية: أن عبد الله بن جعفر، قال للإمام الحسين «عليه السلام»: «عزمت عليك لما امتثلت لوصية أخيك ولم تخالفه، وتلقح شراً».

ثم توجه لبني أمية وقال: «وقد أوصاه أخوه أن يدفنه بالبقيع، فلا تلجئوه إلى أن يلقح شراً بوقوفكم، فانصرفوا».

فأولاً: إن الإمام الحسين «عليه السلام» لا يأبى الامتثال لوصية أخيه، حتى يحتاج إلى عزيمة عبد الله بن جعفر عليه.

ثانياً: إن الإمام الحسين «عليه السلام» مطهر معصوم بنص آية التطهير، وكما دلت عليه أقوال الرسول «صلى الله عليه وآله» فيه، والمعصوم لا يلقح الشر.

ثالثاً: إن ظاهر الرواية: أن مجرد وقوف بني أمية هو الذي يدعو الحسين «عليه السلام» لإلقاح الشر، ولا يلتزم بوصية أخيه.

وما الذي يضره في وقوف الناس في أي مكان أحبوا، مهما طال وقوفهم فيه؟!

رابعاً: إن هذا الأمر لا يصدر عن جاهل، فهل يصدر عن أعقل الناس؟!

كما أن هـذا التصرف في ظاهره لا يعـدو كونه مكابرة، سببها العـناد، والمكاسرة، والعصبية، والتحدي، وليس وراءه خطة وهدف صحيح..

وهذا ما لا يمكن قبوله في حق الحسين «عليه السلام». فإن مجرد وقوف بني أمية في مكان بعينه، لا ينبغي أن يغضب أحداً من الناس، فضلاً عن

بلوغ الأمر إلى حد إلقاح الشر.

خامساً: إن هذا التبسيط للأمور، يراد منه تبرئة بني أمية من أقبح الجرائم، لأن المفروض أنه لم يصدر منهم أية إساءة، سوى أنهم اختاروا مكاناً فوقفوا فيه. وأي ضرر لحق بالحسن أو الحسين «عليهما السلام» من ذلك الوقوف، حتى لو كانوا قد لبسوا السلاح؟!

وبذلك تتم أيضاً تبرئتهم من رمي الجنازة المطهرة بالنبل.

سرعة وصول خبر الوفاة لمعاوية:

وتقول الرواية المتقدمة: «وسبق الخبر إلى معاوية بموت الحسن «عليه السلام» في الوقت الذي مات فيه قبل أن يدفن، وأنه أوصى أن يدفن مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأظهر لموته سروراً، وقال: إن صدق ظني بمروان فيمنعه من دفنه مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجعل يقول: إيهاً مروان.

فلما دفن أرسلوا رسولاً إليه ثانياً بالخبر، ففرح معاوية لذلك، وأثنى على مروان خيراً»(1).

(1) شرح الأخبار للقاضي النعمان ج3 ص197.

الفصل الثالث

شماتات وهنات في الروايات..

شماتة معاوية بموت الحسن ×:

لما بلغ معاوية موت الحسن بن علي «عليهما السلام»، سجد، وسجد من حوله، وكبّر وكبّروا معه.

فدخل عليه ابن عباس (وعند سبط ابن الجوزي: أنه لما دخل عليه، كان بصره قد ذهب) فقال له: يا ابن عباس، أمات أبو محمد؟!

قال: نعم رحمه الله، وبلغني تكبيرك وسجودك، أما والله ما يسد جثمانه حفرتك، ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك.

قال: حسبته ترك صبية صغاراً، ولم يترك عليهم كثير معاش.

فقال: إن الذي وكَّلهم إليه غيرك.

وفي رواية: كنا صغاراً فكبرنا.

قال: فأنت تكون سيد القوم.

قال: أما وأبو عبد الله الحسين بن علي «عليهما السلام» باقٍ فلا[1].

---

(1) بحار الأنوار ج44 ص159 عن ربيع الأبرار للزمخشري، وعن العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، وعن مناقب آل أبي طالب ج3 ص203 وتذكرة الخواص ج2 ص67 و 68.

ونقول:

السجود والتكبير لماذا؟!:

إن معاوية قد أظهر سروره بموت الإمام الحسن «عليه السلام»، وجاراه في هذا السرور من كانوا حوله، وكبر وكبروا معه، وسجد وسجدوا معه.. والسجود إنما يكون شكراً لله وتقرباً إليه سبحانه بما يرضيه..

ولكن ما لفت نظرنا هنا: هو سجود هؤلاء وتكبيرهم، والسجود والتكبير من العبادات التي يتقرب بها إلى الله.. فكيف صار موت إمام الخلق، وريحانة الرسول، وسيد شباب أهل الجنة، والمطهر المعصوم، وهو أطهر وأعلم، وأفضل الخلق من موجبات الشكر، ويطلب بهذا الشكر رضا الله سبحانه ومن موجبات المثوبة الإلهية؟!

ولعل سبب فرح معاوية: هو أنه كان من شروط الهدنة: أن لا يعهد معاوية لأحد بعده، وأن يكون الأمر بعده للحسن، ثم للحسين «عليهما السلام».. فإذا استشهد الحسين «عليه السلام»، فإن معاوية سيصبح قادراً على طرح اسم ولده يزيد للخلافة بعده.

وكان قد حاول التخلص من الإمام الحسن «عليه السلام» عدة مرات بواسطة السم وفشل[1]، ربما لأن الجرعة لم تكن كافية، أو لأنه قد تم معالجتها

---

(1) تذكرة الخواص ج2 ص61 و (ط أخرى) ص192 وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص83 والغدير ج11 ص8 و 10 و 11 و 12 والدر النظيم ص511 وروضة الواعظين ص167 ومقاتل الطالبيين ص48 وشرح الأخبار

في الوقت المناسب، وهو يخشى أن يتكرر الفشل، وأن يفتضح الأمر، ويصبح أكثر صعوبة بعد ذلك..

ابن عباس أين؟!:

وهنا سؤال يحتاج إلى جواب، وهو أنه قد تقدم: أن ابن عباس «رحمه

ج3 ص124 والإرشاد للمفيد ج2 ص16 وتاج المواليد (المجموعة) ص26 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص202 وعمدة الطالب لابن عنبة ص67 ومدينة المعاجز ج3 ص374 و 375 وبحار الأنوار ج44 ص156 و 158 و 161 والمستدرك للحاكم ج2 ص173 وج3 ص176 والمنتخب من ذيل المذيل ص19 والمصنف للصنعاني ج11 ص452 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص631 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص390 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص49 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص282 و 283 وتهذيب الكمال ج6 ص251 وسير أعلام النبلاء ج3 ص273 والإصابة ج2 ص66 وتهذيب التهذيب ج2 ص260 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص30 وربيع الأبرار للزمخشري ج5 ص157 والتذكرة الحمدونية ج9 ص293 والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج5 ص225 ووفيات الأعيان ج2 ص66 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص38 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص46 وحياة الحيوان الكبرى ج1 ص90 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص207 و 208 ومطالب السؤول ص365 وكشف الغمة ج2 ص190 و 205 و 207 و 208 والعدد القوية ص352 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص737 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص209 والتحفة اللطيفة ج1 ص283 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج3 ص360 وينابيع المودة ج2 ص428.

الله» قد شارك في تشييع جنازة الإمام، وجرى بينه وبين عائشة كلام حاد في هذه المناسبة، وقد واجهها بالاعتراض على عملها حسبما تقدم.. فكيف يكون في الشام حين وصل خبر وفاة الإمام إليها؟! وإنما وصل هذا الخبر قبل دفن الإمام «عليه السلام»؟!

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن من المعقول جداً: أن يكون خبر استشهاد الإمام قد وصل إلى معاوية قبل دفن الإمام، كما صرح به القاضي النعمان في كتابه: شرح الأخبار ج3 باعتبار:

1 ـ أن بني هاشم، والحسين بالذات كانوا قد أوصلوا نعي الإمام «عليه السلام» إلى البلاد التي في محيط المدينة، حتى إلى العوالي التي تبعد عنها أربعة أميال، وأقصاها ثمانية أميال.. وأيضاً لأنه «عليه السلام» كان يريد أن يجتمع الناس بأعداد كبيرة ليشاركوا في هذا التشييع المهيب، ويشهدوا طرفاً من مظاهر كيد بني أمية، وحقدهم على سيد شباب أهل الجنة.

فقد ظهرت بوادر ظهور هذا الحقد حتى قبل استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام»، حيث يتناهى إلى مسامعهم: أن الإمام أوصى أن يدفن عند جده، أو أوصى بأن يحملوه إليه ليجدد العهد به.. فخافوا أن يغتنمها الحسين فرصة، ويدفن أخاه في المكان، فأظهروا الخلاف، واستعدوا للمواجهة..

فتوسع بنو هاشم في نعيه «عليه السلام»، واقتضى ذلك توفير الفرصة للناس ليشاركوا في مراسم التشييع على أوسع نطاق، ولعل ذلك احتاج إلى انتظار أيام ثلاثة أو أكثر.. حتى وصلت الرسائل إلى الشام، وعلم معاوية

بموت الحسن قبل أن يدفن.. كما قال القاضي النعمان وغيره..

2 ـ إن المسافة بين المدينة وبين الشام قد تصل إلى ألف وماءتين وثلاثين كيلومتراً تقريباً.. وكانوا قد رتبوا للبريد، الذي يعتمد على الخيل والرواحل السريعة، منازل بحيث تستلم الخيل الرواحل التي في المنزل اللاحق من التي وردت من المنزل السابق، وتواصل انطلاقها إلى المنزل الذي يليه، إلى أن تصل إلى هدفها.

3 ـ توقع معاوية: أن يتصدى مروان للمنع من دفن الإمام مع جده، وقوله محفزاً له: إيهاً مروان، يدل على أن خبر موته «عليه السلام» قد وصل إليه قبل دفنه.

وتتأكد إمكانية ذلك، إذا كان قد تأخر دفن الإمام يومين أو ثلاثة أيام للسبب الذي أشرنا إليه.

4 ـ ويزيد الأمر وضوحاً: قول أبي الحسن المدائني: وصل نعي الحسن من المدينة إلى البصرة في يومين وليلتين، فقال الجارود بن أبي سبرة:

إذا كان شراً سار يوماً وليلة وإن كان خيراً جرد السير أربعا

إذا ما الشر أقبل نحونا بإحدى الدواهى الربد سار وأسرعا[1]

مع أن المسافة بين البصرة والمدينة هي ألف ومئة كيلومتر، فهي تقترب

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص14 وراجع: شرح الأخبار ج3 ص130 و 131 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص297 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص236.

من المسافة بين المدينة والشام.

كما أن بسر بن أبي أرطاة قد أمهل شخصاً سبعة أيام ليأتيه من معاوية برسالة بالعفو عن بعض الناس، فذهب إلى الشام، وعاد إلى الكوفة في سبعة أيام(1).

وجاء بلال بن أبي بردة من البصرة إلى الكوفة في يوم وليلة، ليشير على خالد القسري بإعطاء هشام بن عبد الملك طائفة من أمواله، لئلا يستأصله هشام(2).

وسار ذكوان مولى آل عمر من مكة إلى المدينة في يوم وليلة، والمسافة بينهما أربع مئة وثلاثون كيلومترا(3).

5 ـ أما حضور ابن عباس مجلس معاوية في الشام، فيمكن تصوره أيضاً إذا كان ابن عباس قد غادر المدينة إلى الشام، بمجرد انتهاء التشييع، ولعل مسافة الطريق استغرقت ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة أو ستة أيام، ثم دخل على معاوية في أول، أو ثاني يوم وصوله مثلاً.. فإن ذلك لا يخل بمعنى

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص167 و (ط الأعلمي) ج4 ص127 و 128 وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج5 ص189 والكامل في التاريخ ج3 ص415 ونهاية الأرب ج20 ص292.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج7 ص153 و (ط الأعلمي) ج5 ص476 وتجارب الأمم ج3 ص121.

(3) عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص138 و (منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية) ج1 ص223.

العطف بالفاء، لأن عدم المهلة في معناها، إنما هو عرفي، والعرف يميز بين الأطراف في العطف، فقد يكون الفصل بساعة مخلاً بمعنى الفاء في مورد، ولا يكون الفصل بعشرة أيام مخلاً في مورد آخر، كما في المورد الذي نتحدث عنه.. فإن العطف بالفاء بعد ذكر شماتة معاوية وقول الراوي: «فدخل عليه ابن عباس» يبقى دالاً على التعقب بلا فصل، ولا يعتبر الفصل بالأيام الثلاثة أو الأربعة، أو العشرة فصلاً معتداً به في مثل هذه الحالات، فإن هذا الفصل اليسير لا يضر في استحضار الذهن للحدثين، والربط بينهما.. بملاحظة المسافة بين مكاني الحديثين.

حوار ابن عباس ومعاوية:

وحول الحوار الذي جرى بين معاوية وابن عباس حول شماتة معاوية بموت الإمام الحسن «عليه السلام» نقول:

إنه كان حوار لافتاً، لأنه تضمن ما يلي:

1 ـ إن أكثر ما يزعج الجبابرة والطواغيت: هو أن تكشف مكامن عجزهم، ومواجهتهم بها، وهذا ما صنعه إبراهيم مع طاغوت زمانه الذي ادّعى أنه يحيي ويميت، فجاء برجلين فقتل أحدهما، وأطلق الآخر.. ليكون قد أمات الأول وأحيا الثاني بزعمه..

فلم يدخل معه إبراهيم في نقاش ليبين: أن هذه مغالطة باطلة، فإنه وإن أمات أحدهما لكنه لم يحيِ الآخر، بل تركه ليواصل الحياة التي منحه الله إياها.

بل واجهه بما يعجز عنه، لأن الطواغيت يدعون أنهم يملكون موقع الإله القادر على كل شيء، والمالك لكل شيء، فقال له إبراهيم: بل أنت عاجز

وضعيف أمام قدرة الله: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾(1).

وهذا بالذات ما واجه به ابن عباس معاوية، فقد قال له: رداً على فرحه باستشهاد الإمام «عليه السلام»: «أما والله ما يسد جثمانه حفرتك، ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك».

2 ـ إن الطاغوت لا يملك إلا الوسيلة التي يميت بها غيره، وهي مما لا يختص به، فكل الناس، أو أكثرهم يمكنهم أن يقتلوا وأن يميتوا غيرهم.

وذلك هو وسيلتهم لحفظ ماء وجههم حين ظهور عجزهم عن التصرف في القلوب والمشاعر، والأفكار، والرؤى، والعقول، والاعتقادات.. فيلجأون إلى وسيلة الإماتة، لأنهم لا يملكون قدرات شاملة لجميع الأشياء، لكن الله تعالى قادر على كل شيء.

3 ـ وأدرك معاوية عجزه عن مجاراة ابن عباس في الفكر والبرهان والحجة، فحاول صرف الأنظار عن النقطة الحساسة التي أثارها ابن عباس، فزعم له: أنه يفكر في الوضع المعيشي لأبناء الإمام، في الوقت الذي اعترف فيه: أنه لا يعرف عنهم شيئاً، هل هم صغار أم كبار، ولا يعرف إن كان لديهم ما يسد حاجتهم أم لا.

وكأنه أراد أن يوحي للناس: أنه هو الذي يعول الإمام الحسن، حتى بعد وفاته.. مع أن ما كان يصل إلى الإمام الحسن هو تنفيذ للشرط الذي

---

(1) الآية 258 من سورة البقرة.

وضعه عليه في عقد الهدنة، وهو لا يعدو كونه جزءاً ضئيلاً جداً من أمواله التي جعلها الله تعالى له، ويريد أن يؤديها «عليه السلام» إلى أهلها ومستحقيها من أيتام الجمل وصفين، وسائر أصحاب الحاجات.

فمعاوية قد استولى على أموال لا يحق له الاستيلاء عليها، فليس له أن يمن على أصحابها بذلك الجزء الضئيل جداً الذي هو لهم، وكان يؤخذ منه بناء على شروط قطعها على نفسه.

4 ـ على أن كلام معاوية هذا يتضمن تعريضاً بالإمام الحسين «عليه السلام» الذي يفترض أن يكون هو الكافل لأبناء أخيه، بأنه يخل بهذا الواجب، حتى بالنسبة لأقرب الناس إليه.

5 ـ فأجابه ابن عباس: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» لا يعوّل على معاوية في إعالة أبنائه، بل هو يكل أمر عائلته إلى الله سبحانه أولاً، على أن يكون السبب القريب لحفظها هو وصيه وأخوه الإمام الحسين «عليه السلام».

6 ـ ولكن معاوية لم يقف عند هذا الحد، بل تجاوزه لإثارة شهية ابن عباس لمنافسة الإمام الحسين في مقامات هو قاصر عنها، وقد خص الله تعالى بها أهلها، في نصوص قرآنية، وتصريحات ودلالات نبوية واضحة، فقال لابن عباس: «فأنت تكون سيد القوم».

فأدرك ابن عباس ما يرمي إليه معاوية، وأنه يريد أن يزج به في أتون يهلك به دينه ودنياه، وهذا ربح وفوز لمعاوية، حين يرى أن العلاقات الحميمة بين أهل البيت الواحد، قد ضعفت، أو أن حالة التنافس قد فرضت نفسها، فما كان من ابن عباس، إلا أن رشقه بنفس سهامه، حين قال له: «أما وأبو عبد

الله الحسين بن علي «عليهما السلام» باق، فلا».

عروة يروي ما جرى:

ومن المعلوم: أن عروة بن الزبير، الذي كان منحرفاً عن أهل البيت «عليهم السلام»، ويسعى لدرء الشبهات عن خالته عائشة بكل ما يستطيع قد روى ما جرى على النحو التالي:

عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال الحسن حين حضرته الوفاة: ادفنوني عند قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر، فإن خفتم الشر فادفنوني عند أمي.

وتوفي الحسن، فلما أرادوا دفنه أبى ذلك مروان، وقال: لا يدفن عثمان في حش كوكب، ويدفن الحسن هاهنا! فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية، فأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم، فجاؤوا بالسلاح.

فقال أبو هريرة لمروان: يا مروان! أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع؟! وقد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول له ولأخيه حسين: هما سيدا شباب أهل الجنة؟!.

فقال مروان: دعنا عنك، لقد ضاع حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» لو كان لا يحفظه غيرك، وغير أبي سعيد الخدري، وإنما أسلمت أيام خيبر!

قال: صدقت أسلمت أيام خيبر، إنما (ولكني) لزمت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم أكن أفارقه، وكنت أسأله، وعنيت بذلك حتى علمت، وعرفت من أحب ومن أبغض، ومن قَرَّبَ ومن أبعد، ومن أقر ومن نفى، ومن دعا له ومن لعنه!

فلما رأت عائشة السلاح والرجال، وخافت أن يعظم الشر بينهم، وتسفك الدماء قالت:

البيت بيتي، ولا آذن أن يدفن فيه أحد.

فقال محمد بن علي لأخيه: يا أخي، إنه لو أوصى أن يدفن لدفناه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى.

فقال: إلا أن تخافوا الشر، فأي شر أشد مما ترى؟!

فدفن بالبقيع إلى جنب أمه.

ويقال: إن الحسن أوصى أن يدفن مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فأظهر الحسين ذلك قبل موت الحسن، فأنكره مروان بن الحكم وكتب بقول الحسين إلى معاوية.

فكتب إليه معاوية: إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشد المنع، كما منعنا من دفن عثمان مع النبي «صلى الله عليه وآله».

فأتى الحسين الحسن، فأخبره بذلك، فقال: يا أخي اجتنبت القتال في حياتي، أفتريد أن يكون ذلك عند سريري؟! فضمن له أن لا يفعل.

ويقال: إنه لم يجر بينه وبين الحسين في ذلك شيء.

فلما توفي أراد الحسين دفنه مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فمنعه مروان من ذلك، وكاد أن يكون بين الحسين وبينه في ذلك شر، فأمسك الحسين عن دفنه مع النبي «صلى الله عليه وآله»(1).

---

(1) جمل من أنساب الأشراف ج3 ص297 ـ 298 وراجع ص399 وأنساب

ونقول:

مروان يحتقر أبا هريرة:

1 ـ ظهر من كلام مروان لأبي هريرة: أنه لا يهتم له ولحديثه، ولا لحديث أبي سعيد الخدري، ولا يقيم لهما أي وزن، بل إن قوله: «وإنما أسلمت أيام خيبر» يريد به التشكيك في صحة أو دقة ما ينقله أبو هريرة، ويثير الشبهة حول أمانته في النقل..

كما أن قوله له: «دعنا عنك»، فيه استهانة ظاهرة به وتصغير لشأنه.

2 ـ والظاهر: انه خشي من أن يتأثر بعض الناس بكلام أبي هريرة، لأنه يدل على أن من يكون سيد شباب أهل الجنة لا يعامل بالطريقة التي ظهرت في هذا التشييع، بل يحفظ له مقامه، ويبالغ في إكرامه واحترامه، فما معنى أن تسل السيوف، ويرمى جثمانه بالنبال، ويمنع من الدفن عند جده، و في بيته؟!

3 ـ وقد زعم أبو هريرة: أنه قد لازم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم يكن يفارقه.. واعتبر هذا جواباً على تشكيك مروان بحفظ أبي هريرة وضبطه، وأمانته في النقل.

غير أننا نقول:

إنه جواب غير صحيح، فقد كان أبو هريرة من أهل الصفة، الذين يلازمون المسجد لأجل القوت والمأوى. فلا يدل ذلك على ملازمتهم للنبي.

كما أنه سافر إلى البحرين وبقي فيها مدة، وكان ينقل عن كعب الأحبار،

الأشراف للبلاذري ج3 ص60 ـ 61 وراجع ص64 و65.

وينسب ذلك لرسول الله.

وقد صرَّح على باب مسجد الكوفة: بأنه يشهد أن علياً أحدث في المدينة، وبأن أهل العراق يزعمون: أنه يكذب على رسول الله، والكلام حول هذا الرجل كثير ولا يكاد ينتهي.

4 ـ واللافت: أن جواب أبي هريرة لمروان ـ برواية ابن أخت عائشة ـ قد تضمن طعناً قوياً في مروان حين قال: «عرفت من أحب ومن أبغض، ومن قَرَّبَ ومن أبعد، ومن أقر ومن نفى، ومن دعا له ومن لعنه».

فإن هذه الأوصاف قد اجتمعت في فريقين: فمن أحب رسول الله، وقرب، ومن أقر، ومن دعا له هما الحسن والحسين ومن هو على مثل نهجهما.

ومن أبغض وأبعد، ونفى، ولعن هو الفريق الآخر، وهم آل الحكم بن أبي العاص.

واللافت: أن مروان لم يجب أبا هريرة على أقواله هذه، مع أنها تمسه في الصميم.. وليس ذلك إلا لأنه لا يملك له جواباً، ولا يستطيع له إنكاراً.

عائشة في مهمة إصلاحية:

1 ـ وقد منحت رواية عروة لعائشة خالته تبرئة مجانية، وحولت التهمة عنها إلى غيرها، وحمَّلت مروان وزر ما جرى، وصرفت اهتمامات عائشة إلى محاولة الإصلاح، والتهدئة، والمنع من تطور الأمور، حيث قالت: فلما رأت عائشة السلاح والرجال، وخافت أن يعظم الشر بينهم، وتسفك الدماء قالت: «البيت بيتي، ولا آذن أن يدفن فيه أحد».

ويا ليت عائشة تخبرنا بصدق: ألم تكن قد رأت السلاح في أيدي الرجال

من فريقها؟! ألم ترهم يرمون جنازة الإمام الحسن بالنبل، حتى أصيب الجثمان بسبعين نبلة؟! ألم تكن تحرضهم على القتال، وهي راكبة على بغل بسرج؟!

ألم تقل لهم: نحوا ابنكم عن بيتي، ولا يدفن في بيتي شيء؟!

ألم تقل لهم: لا تدخلوا بيتي من لا أحب؟! وغير ذلك.

ومن جهة أخرى بالنسبة لخوفها من سفك الدماء، نقول:

ليتها خافت من سفك الدماء في حرب الجمل، وهي راكبة الجمل الأدبب، وقد نبحتها كلاب الحوأب. وظلت تحرض الناس على القتال، حتى سفكت دماء ألوف كثيرة تعد بالعشرات بين قتيل وجريح.

2 ـ وربما يكون ما ذكره عروة في روايته صحيحاً، فإن الألوف المؤلفة التي نعي إليها استشهاد الإمام، وحضرت من مختلف القرى حتى التي كانت تبعد عن المدينة أميالاً عديدة.

إن حضور هذه الألوف، ربما يكون قد أخافها، وأفقدها الأمل بالنصر، فلم تجد بداً من الإنسحاب، والتملص، والتخلص، والإكتفاء بما ارتكبته.

وقد سجل الأمويون ومن تابعهم وشايعهم على أنفسهم فضيحة قبيحة، فيما ارتكبوه من بغي، وعدوان على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى أهل بيته، وعلى المؤمنين المخلصين.

معاوية هو الداء الدوي:

لكن هذه الرواية قد أماطت اللثام عن أمر آخر، وهو: أن مروان لم يندفع للمنع من عند نفسه، بل هو تلقى الأوامر والتوجيهات من معاوية، فهيأ الأمور، وجمع الجموع وجمع السلاح، وحرك عائشة، ودفع بها إلى الميدان.

فقد ذكرت هذه الرواية: إن الحسن أوصى أن يدفن مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فأظهر الحسين ذلك قبل موت الحسن.

فأنكره مروان وكتب بقول الحسين إلى معاوية.

فكتب إليه معاوية: إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشد المنع، كما مُنِعْنا من دفن عثمان مع النبي «صلى الله عليه وآله».

فأتى الحسين الحسن، فأخبره بذلك، فقال: يا أخي اجتنبت القتال في حياتي، أفتريد أن يكون ذلك عند سريري؟! فضمن له أن لا يفعل.

وهذا ما حصل بالفعل.

وقد يجوز لنا أن نحتمل أن يكون الإمام الحسين «عليه السلام» قد تعمد إعلان وصية أخيه قبل وفاة أخيه.. لأنه كان يعرف كيف يفكر مناوؤوهم، وما الذي يخططون ويرسمون. فكان بصدد إجهاض خططهم وفضحهم، وإبطال كيدهم.

البيت بيتي:

زعمت عائشة: أن البيت الذي دفن فيه النبي «صلى الله عليه وآله» هو بيتها، وهذا غير صحيح، وقد تحدثنا في هذا الكتاب وفي غيره: أنه «صلى الله عليه وآله» دفن في بيت فاطمة.

أما بيت عائشة، فهو من جهة القبلة، وبابه يفتح إلى جهة الشام.

لم يكن مروان والياً على المدينة:

وقد ذكر في بعض المصادر رواية عروة المتقدمة عنه، وعن القاسم بن

محمد[1]، ولكن بصورة مختصرة، وفيها قوله: «فلما أراد بنو هاشم أن يحفروا له منعهم مروان، وهو والي المدينة في أيام معاوية».

غير أننا نقول:

أولاً: صرحت بعض الروايات التي قدمناها: أن باب الموضع الذي دفن فيه النبي «صلى الله عليه وآله» قد أغلق، ولم يمكنوهم من الدخول إليه.

ثانياً: إن مروان لم يكن والياً على المدينة حين استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام»، بل كان الوالي هو سعيد بن العاص، وتقدم: أن معاوية كان يوليها مروان سنة، ثم يوليها سعيد سنة..

نقضتم العهد بيننا وبينكم:

وفي بعض المصادر: أن الحسين «عليه السلام» قال لهم حين دفن أخيه:

«والله لولا عهد الحسن إلي بحقن الدماء، وأن لا أهريق في أمره محجمة من دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا»[2].

---

(1) العقد الفريد ج5 ص16 و 103 و (ط الشرقية بمصر) ج2 ص177 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص199 و200 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج19 ص248.

(2) الإرشاد للمفيد ج2 ص16 و (ط دار المفيد) ج2 ص19 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص150 و 151 وكشف الغمة ج1 ص586 و (ط دار الأضواء) ج2 ص209 وبحار الأنوار ج44 ص157 وشرح الشافية لابن أمير الحاج ص345 وروضة الواعظين ج1 ص168 وأعيان الشيعة ج1 ص576.

ونقول:

لعل المراد بالعهد الذي نقضوه، وكان فيه شروط لأهل البيت على مناوئيهم هو عقد الهدنة الذي تقدم. واحتمال أن يكون المراد بالعهد، ما كان يوصيهم الله ورسوله به من حفظ أهل بيته ونصرتهم ومودتهم ونحو ذلك.. ربما يقال: إنه بعيد عن مساق هذه العبارة.

الحفر في بيت علي وفاطمة:

عن الحسن «عليه السلام»: إنه أوصى إلى أخيه الحسين: إذا أنا مت فاحفر لي مع أبي، وإلا ففي بيت علي وفاطمة، وإلا ففي البقيع. ولا ترفعن في ذلك صوتاً، فمات في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين، بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين، وهو ابن تسع وأربعين سنة.

وصلى عليه سعيد بن العاص، قدمه الحسين، وقال: تقدم، فلولا أنها سنة ما قدمتك.

ثم أمر الحسين أن يحفر له في بيت علي وفاطمة.

فبلغ ذلك بني أمية، فأقبلوا وعليهم الدروع، وقالوا: والله لا نتخذ القبور مساجد.

فنادى الحسين في بني هاشم، فأقبلوا بالسلاح.

ثم ذكر الحسين قول أخيه: لا ترفعن في ذلك صوتاً، فحفر له بالبقيع، ودفن هناك «عليه السلام» في أحسن مقام[1].

(1) تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار (ط دار الكتب العلمية) ص66

ونقول:

1 ـ لقد لفت نظرنا في هذا النص أمر لم نكن نتوقعه، فهو يقول: إن الإمام الحسن طلب أن يحفر له مع أبيه، وقد قلنا: أن المراد به جده المصطفى «صلى الله عليه وآله».

ولنفترض: أن موضع دفن النبي «صلى الله عليه وآله» هو البيت الذي سكنت فيه عائشة، وصارت تدعي أنه بيتها. وأن النبي ملكها إياه ولنفترض أنها تخيلت أن لها الحق بأن تمنع من دخول من تكرههم إلى البيت الذي سكنت فيه، وإن لم يكن ملكاً لها.

ولكن الرواية تقول: إن الحسين لم يأمر بالحفر له مع أبيه، بل أمر فقط بالحفر له في بيت علي وفاطمة، وبيت علي وفاطمة لا ربط له بما تدَّعيه عائشة، فلماذا أقبلت عائشة، وأقبل بنو أمية وعليهم الدروع، وقالوا: والله، لا تتخذ القبور مساجد؟!

2 ـ ألا يدل هذا على أنهم كانوا لا يريدون أن يدفن الحسن «عليه السلام» في ذلك المحيط كله، وليس فقط في الحجرة التي دفن فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله؟! فإن بيت فاطمة وعلي «عليهما السلام» كان يضم أكثر من حجرة، وربما كان له دار أيضاً، فإن الذين كانوا يسكنون فيه لا تكفيهم حجرة واحدة.

والثقات لابن حبان (ط دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد ـ الهند) ج3 ص67 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص592 و 593 وج33 ص540 والتحفة اللطيفة ج1 ص282.

3 ـ ومع غض النظر عن الأدلة التي ذكرناها حول دفن النبي «صلى الله عليه وآله» في بيت فاطمة، لا في بيت عائشة، فإن ما ذكر في هذه الرواية يدل ذلك على أن بيت علي «عليه السلام» كان ملاصقاً للحجرة المدفون فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الأمر الذي يقوي احتمال أن تكون هذه الحجرة مقتطعة من بيت علي وفاطمة «عليهما السلام»، وهذا ما استدللنا عليه بالعديد من الأدلة والشواهد، كما تقدم.

4 ـ ولأجل هذه الملاصقة أوصى «عليه السلام» أخاه الحسين، بأن لا يرفع صوتاً، احتراماً لجوار رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقربه منه.

ما معنى اتخاذ القبور مساجد؟!:

ولنا أن نسأل عن معنى قول بني أمية في تبرير لبسهم الدروع، ومنعهم من الحفر في بيت علي وفاطمة: «والله، لا نتخذ القبور مساجد».

فأولاً: لم يكن بيت علي وفاطمة مسجداً بل كان بيتاً، مملوكاً لذريتهما؟!

ثانياً: من الذي قال لهم: إن أحداً سوف يتخذ قبر الحسن مسجداً بعد دفنه «عليه السلام» فيه؟!

ثالثاً: لو صح هذا، فأي مكان يدفن فيه الإمام يمكن أن يتخذ مسجداً، ولا يختص الأمر بالإمام الحسن «عليه السلام»، فهل كان عليهم أن يمنعوا من دفن الإمام في أي بقعة من بقاع الأرض؟! فهل يدفنونه في السماء؟! أو يلقونه في البحار؟! أو يحرقون جثمانه بالنار؟! نعوذ بالله من هذا الطغيان، ومن غضب الملك الديان.

رابعاً: لماذا نسبوا اتخاذ القبور مساجد إلى أنفسهم، لو دفن الإمام الحسن

في ذلك المكان، ولم ينسبوه إلى شيعة الإمام الحسن؟! إلا إن كان مرادهم ـ كما قاله بعض الإخوة الأكارم ـ: لا نرضى باتخاذ القبور مساجد، فينسب اتخاذه إلى من رضي به.

خامساً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» مدفون في ذلك الموضع، فلماذا لم يتخذوه مسجداً؟!

سادساً: لماذا لم يمنعوا من دفن أبي بكر وعمر هناك حتى لا يتخذ أحد قبريهما مسجداً، ولماذا لم يتخذوه مسجداً بعد دفنهما؟!

بنو هاشم، وصلاة سعيد بن العاص:

وقالوا أيضاً: حضر سعيد بن العاص ليصلي على الإمام الحسن «عليه السلام»، فقالت بنو هاشم: لا يصلي عليه أبداً إلا حسين.

قال: فاعتزل سعيد بن العاص، فوالله ما نازعنا في الصلاة، وقال: أنتم أحق بميتكم، فإن قدمتموني تقدمت.

فقال الحسين بن علي: تقدم، فلولا أن الأئمة تُقدم ما قدمناك[1].

وإنما أعدنا ذكر هذه الرواية هنا للإشارة إلى أن هؤلاء قد رفعوا من مقام سعيد بن العاص الجاهل، والمعادي لأهل البيت، والهادم لمنازلهم، والمشارك

(1) ترجمة الإمام الحسن «عليه السلام» من طبقات ابن سعد ص87 وراجع: تذكرة الخواص ج2 ص65 و (ط أخرى) ص192 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص293 وترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ص223 و 224 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص591 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص460 وجواهر المطالب ص199 ومقاتل الطالبيين ص83.

في المنع من دفن أقدس الناس على وجه الأرض، رفعوا مقامه إلى حد أنهم جعلوه في عداد الأئمة..

ونحن لا نعترض على ذلك إن كان المراد: أنه من أئمة الجور والبغي والطغيان الذين يفرضون على الناس ما يريدون تحت طائلة سحق واستئصال من يعترض أو يمانع، أو يتردد في إجراء قراراتهم..

آخر الفصول

رثاء.. وأحزان.. وملحق..

رثاء المحبين:

ويقولون: إنه لما وضع الحسين «عليه السلام» أخاه الإمام الحسن في لحده قال راثياً له:

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي ورأسك معفور وأنت سليب
أو استمتع الدنيا لشيء أحبه إلى [ألا] كل ما أدنى إليك حبيب
فلا زلت أبكي ما تغنت حمامة عليك وما هبت صبا وجنوب
وما هملت عيني من الدمع قطرة وما اخضر في دوح الحجاز قضيب
بكائي طويل والدموع غزيرة وأنت بعيد والمزار قريب
غريب وأطراف البيوت تحوطه ألا كل من تحت التراب غريب
ولا يفرح الباقي خلاف الذي مضى وكل فتى للموت فيه نصيب
فليس حريباً من أصيب بماله ولكن من وارى أخاه حريب
نسيبك من أمسى يناجيك وليس لمن تحت التراب نسيب(1)

---

(1) بحار الأنوار ج44 ص160 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص45 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص205.

وعنه «عليه السلام» أنه قال:

إن لم أمت أسفاً عليك فقد أصبحت مشتاقا إلى الموت[1]

ولسنا بصدد التحقيق حول مدى صحة نسبة الأبيات إلى الإمام الحسين «عليه السلام»، أو أنه «عليه السلام» تمثل بها، أو أن أحداً أجراها على لسانه على طريقة لسان الحال.

ورثى النجاشي الحسن بن علي «عليه السلام» فقال:

يا جعد بكيه ولا تسأمي بكاء حق ليس بالباطل
عن ابن بنت الطاهر المصطفى وابن ابن عم المصطفى الفاضل
كان إذا شبت له ناره يوقدها بالشرف القابل
لكي يراها بائس مرمل أو فرد حي ليس بالآهل
لم تغلقي باباً على مثله في الناس من حاف ومن ناعل
أعني فتى أسلمه قومه للزمن المستحرج الماحل
نعم فتى الهيجاء يوم الوغا والسيد القائل والفاعل[2]

(1) بحار الأنوار ج44 ص161 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص45 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص205.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص119 و (ط دار الفكر) ج13 ص298 ونظم درر السمطين ص206 وأنساب الأشراف ج3 ص70 وترجمة الإمام الحسن لابن

وهذا البيت الأخير يدل على كذب قولهم: إنه إذا التقت حلقتا البطان لم يغن الحسن «عليه السلام» عنكم شيئاً.

ويدل على كذب هذه المقولات، رثاء الفضل بن عباس للإمام الحسن «عليه السلام»:

أصبح اليوم ابن هند آمنا ... ظاهر النخوة إذ مات الحسن

رحمة الله عليه إنما ... طالما أشجى ابن هند وأرن

استراح القوم منه بعده ... إذ ثوى رهنا لأجداث الزمن

فارتع اليوم ابن هند آمنا ... أينما يقمص بالعير السمن(1)

الرنين: الصياح.

قمص العير: نفر وأعرض قلقاً.

تأبين الحسين للحسن:

عن ابن السماك، قال: قال الحسين بن علي عند قبر أخيه الحسن يوم مات:

رحمك الله أبا محمد، إذ كنت لناصر [لتناصر، أو لتباصر] الحق مظانه،

عساكر ص237.

(1) مناقب آل أبي طالب ج4 ص43 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص203 وبحار الأنوار ج44 ص159 وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص175. وراجع: ربيع الأبرار ج5 ص145 والمختصر في أخبار البشر ج1 ص183 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص40.

وتؤثر الله عند مداحض الباطل في مواطن التقية، بحسن الروية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يداً طاهرة [الأطراف نقية الأسرة]، وتمنع ماردة [بادرة] أعدائك بأيسر المؤونة عليك.

وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لبان الحكمة، وإلى روح وريحان، وجنة نعيم.

أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الأسى عنه[1].

تأبين ابن الحنفية:

عن عمر بن علي بن أبي طالب قال: لما قبض الحسن بن علي بن أبي طالب، ووقف على قبره أخوه محمد بن علي، فقال:

يرحمك الله أبا محمد، فإن عزت حياتك، لقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمنه بدنك، ولنعم البدن بدن تضمنه كفنك.

وكيف لا يكون هكذا وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك أكف الحق، وربيت في حجور الإسلام، ورضعت

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص117 و (ط دار الفكر) ج13 ص296 وعيون الأخبار لابن قتيبة (ط مصر) ج2 ص314 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص233 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص597 وج19 ص422 وج26 ص599 عن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج7 ص46 وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج4 ص230 وحياة الحسن بن علي للقرشي ج1 ص439. وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ج2 ص139.

ثدي الإيمان، وطبت حياً وميتاً، إن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، فلا نشك في الخير لك يرحمك الله. ثم انصرف[1].

زيارة الحسين قبر أخيه:

أبو البختري، عن جعفر، عن أبيه: أن الحسين بن علي «عليهما السلام» كان يزور قبر الحسن «عليه السلام» في كل عشية جمعة[2].

ونقول:

لا شك في رجحان زيارة القبور عند الشارع المقدس، لكن زيارة الحسين لأخيه عشية كل جمعة تحمل معها ما هو أكبر من مجرد زيارة القبور، إنها تحمل

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج14 ص117 و118 و (ط دار الفكر) ج13 ص296 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص225 ومروج الذهب ج2 ص477 و (منشورات دار الهجرة إيران ـ قم) ج2 ص428 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص234 ونظم درر السمطين ص205 ومعارج الوصول ص82 وجواهر المطالب ج2 ص202 وزهر الآداب وثمر الألباب للقيرواني ج1 ص98 وصلح الحسن لآل ياسين ص367 وتهذيب الكمال ج6 ص255 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص32 والغدير ج5 ص171 عن العقد الفريد ج2 ص8 و (ط الشرفية) ج2 ص6 والمجالس الفاخرة ص45 و 151 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص178 وج11 ص253 وج26 ص600 و 602 وج27 ص195 وجمهرة خطب العرب ج2 ص31.

(2) قرب الإسناد ص65 و (نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم) ص139 والعوالم ج16 ص297 وبحار الأنوار ج44 ص150 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج14 ص408 و (الإسلامية) ج10 ص317 وهداية الأمة ج5 ص463 وجواهر الكلام ج20 ص88 والأنوار البهية ص94.

معاني الحنين، والوفاء، والتكريم، والتعظيم، والإجلال، والتدليل على عمق العلاقة بينهما، وعلى مدى الانسجام والتلاقي التام في الرأي، والفكر، والفهم للأمور.

كما أن المواظبة على هذه الزيارة تدل على خطأ من يمنعون الناس عنها، ولعلهم لا يريدون للناس أن يزوروا أئمتهم، وإن اشتاقوا إليهم، لكي لا يتذكروا جهادهم، وتضحياتهم، ولا ما جرى عليهم من ظلم، وأذى، كما أنهم يريدون أن لا يعرف الناس فكرهم، ومنهجهم، وأخلاقهم، وعلمهم، وسياساتهم وما إلى ذلك..

ملحق..

وقبل أن نختم الكلام حول السيرة العطرة لسيدنا ومولانا الإمام الحسن المجتبى «صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين» أود أن أضع أمام القارئ الكريم رسالة لا تزيد عن نصف صفحة كان قد أرسلها إلى الحسن بن يسار البصري جواباً على رسالة له سأله فيها عما يقوله «عليه السلام» في مسألة القدر، وحيرتهم في الاستطاعة..

وكان الحسن البصري منحرفاً عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعن الفضل بن شاذان: أنه كان يلقى أهل كل فرقة كما يهوون، ويتصنع للرياسة، وكان رئيس القدرية.

وها أنا أضع رسالة الحسن البصري، ورسالة أبي محمد الحسن المجتبى «عليه السلام» بين يدي القارئ ليكون ذلك من دلائل تفردهم في العلم، على جميع الخلائق.

وحيث إن الرسالتين المشار إليهما، قد وردتا بنصوص مختلفة في عباراتها، لكنها متحدة في المآل والمؤدى، فقد رأينا أن نذكر عدة نصوص لكلا الرسالتين ليتمكن القارئ من المقارنة بينها، فلعله يتبين له بعض ما قد يكون قد خفي على غيره..

وقد آثرنا أيضاً الاقتصار على ذكر النصوص، من دون تدخل يمس المضمون في معانيه ومبانيه..

ولأن العلامة الجليل، الحجة، الشيخ علي الأحمدي، قد أودع هاتين الرسالتين في كتابه القيم: «مكاتيب الأئمة» (مكاتيب الإمام الحسن «عليه السلام») من ص53 ـ ص57.

فقد قال «رحمه الله»:

جاء في الحديث: أن الحسن بن أبي الحسن البصري كتب إلى الحسن بن علي «عليهما السلام»:

من الحسن البصري إلى الحسن ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

أما بعد، فإنكم معاشر بني هاشم، الفلك الجارية في اللجج الغامرة، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والأئمة القادة، الذين من تبعهم نجا، (ومن تخلَّف عنهم هوى)، والسفينة التي يؤول إليها المؤمنون (بركوبها ينجو المؤمنون)، وينجو (ويعتصم) بها المستمسكون.

(أما بعد فـ) قد كثر ـ يا ابن رسول الله ـ عندنا الكلام في القضاء والقدر، واختلافنا في الاستطاعة، فتُعْلِمنا ما نرى عليه رأيك ورأي آبائك، فإنكم ذرية بعضها من بعض، من عِلم الله علِّمتم، وهو الشاهد عليكم، وأنتم شهداء على الناس، والسلام.

فأجابه الحسن بن علي «صلوات الله عليهما»:

من الحسن بن علي إلى الحسن البصري:

«أما بعد، فقد انتهى إليَّ كتابك عند حيرتك وحيرة من زعمت من أمتنا، وكيف ترجعون إلينا، وأنتم بالقول دون العمل (الفعل)!

واعلم، أنه لولا ما انتهى إلي من حيرتك وحيرة الأمة قبلك، لأمسكت

عن الجواب، ولكني الناصح ابن الناصح الأمين.

و (اعلم أن) الذي أنا عليه: أنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره، فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله عز وجل فقد فجر.

إن الله سبحانه لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة[1]، (ولا أهمل العباد من الملكة)، ولكنه عز وجل المالك لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله عز وجل لهم صادّاً، ولا عنها مانعاً، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء سبحانه أن يمنَّ عليهم فيحولَ بينهم وبينها فَعَلَ، وإن لم يفعل، فليس هو الذي حملهم عليها إجباراً، ولا ألزمهم بها إكراهاً، بل احتاجه (الحجة له) ـ جل ذكره ـ عليهم: أن عرَّفهم، وجعل لهم السبيل (السبل) إلى فعل ما دعاهم إليه، وترك ما نهاهم عنه، ولله الحجة البالغة (على جميع خلقه). والسلام»[2].

ونصُّ الكتاب على رواية تحف العقول:

كتب الحسن البصري، إلى أبي محمد الحسن بن علي «عليهما السلام»:

أما بعد، فإنكم معشر بني هاشم، الفلك الجارية في اللجج الغامرة، والأعلام النيرة الشاهرة، أو كسفينة نوح «عليه السلام» التي نزلها المؤمنون، ونجا فيها المسلمون.

كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر، وحيرتنا في الاستطاعة،

---

(1) وفي نسخة: زاد «ولهم يهمل العباد سدى من المملكة».

(2) كنز الفوائد ج1 ص365.

فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك «عليهم السلام»، فإن من عِلم الله عِلمكم، وأنتم شهداء على الناس، والله الشاهد عليكم، ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم.

فأجابه الحسن «عليه السلام»:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل إليَّ كتابك، ولولا ما ذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذاً ما أخبرتك..

أما بعد، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره: أن الله يعلمه فقد كفر. ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر.. إن الله لم يُطَع مكرهاً، ولم يُعص مغلوباً، ولم يُهمِل العباد سدى من المملكة، بل هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم.

بل أمرهم تخييراً، ونهاهم تحذيراً..

فإن ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً، وإن انتهوا إلى معصية، فشاء أن يمن عليهم: بأن يحول بينهم وبينها فَعَلَ، وإن لم يفعل، فليس هو الذي حملهم عليها جبراً، ولا أُلزموها كرهاً، بل منَّ عليهم: بأن بصَّرهم، وعرَّفهم، وحذَّرهم، وأمرهم، ونهاهم، لا جَبْلاً لهم على ما أمرهم به، فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه، ولله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين. والسلام على من اتبع الهدى[1].

---

(1) تحف العقول ص231 وإرشاد القلوب ص198 وبحار الأنوار ج5 ص40 ح63 وراجع: الفقه المنسوب للإمام الرضا ص408 وجمهرة رسائل العرب.

ونص الكتاب على رواية العدد القوية:

كتب الحسن البصري إلى الحسن بن علي «عليهما السلام»:

أما بعد، فأنتم أهل بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأن الله جعلكم الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يلجأ إليكم اللاجئ، ويعتصم بحبلكم القالي، من اقتدى بكم اهتدى ونجا، ومن تخلف عنكم هلك وغوى،

وإني كتبت إليك عند الحيرة، واختلاف الأمة في القدر، فتفضي إلينا ما أفضاه الله إليكم أهل البيت، فنأخذ به.

فكتب إليه الحسن بن علي «عليهما السلام»:

أما بعد، فإنا أهل بيت كما ذكرت عند الله وعند أوليائه، فأما عندك وعند أصحابك، فلو كنا كما ذكرت ما تقدمتمونا، ولا استبدلتم بنا غيرنا، ولعمري لقد ضرب الله مثلكم في كتابه، حيث يقول: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾[1] هذا لأوليائك فيما سألوا، ولكم فيما استبدلتم، ولولا ما أريد من الاحتجاج عليك وعلى أصحابك ما كتبت إليك بشيء مما نحن عليه.

ولئن وصل كتابي إليك لتجدن الحجة عليك وعلى أصحابك مؤكدة، حيث يقول الله عز وجل: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[2].

فاتَّبع ما كتبت إليك في القدر، فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد

---

(1) الآية 61 من سورة البقرة.

(2) الآية 35 من سورة يونس.

كفر، ومن حمل المعاصي على الله فقد فجر، إن الله عز وجل لا يُطلع (يطع)[1] بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولا يُهمِل العباد من المَلَكة، ولكنه المالك لما ملَّكهم، والقادر على ما أقدرهم.

فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن (لن يكون) عنها صادّاً مثبطاً، وإن ائتمروا بالمعصية، فشاء أن يحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل، وإن لم يفعل، فليس هو حملهم عليها، ولا كلَّفهم إياها جبراً، بل تمكينه إياهم، وإعذاره إليهم طرَّقهم ومكَّنهم، فجعل لهم السبيل إلى أخذ ما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه، ووضع التكليف عن أهل النقصان والزمانة. والسلام[2].

انتهى ما ذكره العلامة الأحمدي في كتابه.

وفي كتاب أعلام الهداية ج4 ص212 نقلاً عن كتاب المنية والأمل ص22 نص آخر يقول:

رفع أهالي البصرة إليه «عليه السلام» رسالة يطلبون منه رأيه في مسألة الجبر، فأجابهم «عليه السلام»:

«من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر، إن الله لا يطاع استكراهاً، ولا يعصى لغلبة، لأنه المليك لما ملَّكهم، والقادر على ما أقدرهم (عليه).

فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما فعلوا، (وإن عملوا بالمعصية،

---

(1) هكذا في المصدر، والصواب: «لا يطاع»، كما في نصوص المصادر الأخرى.

(2) العدد القوية ص33 وتحف العقول ص231 وبحار الأنوار ج10 ص137.

فلو شاء حال بينهم وبين ما فعلوا، فإذا لم يفعلوا)، فليس هو الذي أجبرهم على ذلك.

فلو أجبر الله الخلق على الطاعات لأسقط عنهم الثواب، ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم لكان عجزاً في القدرة، ولكن (له) فيهم المشيئة التي غيّبها عنهم، فإن عملوا بالطاعات (بالطاعة) كانت له المنّة عليهم، وإن عملوا بالمعصية كانت له الحجة عليهم».

ونقول:

إننا نسجل هنا بضع ملاحظات على سبيل الاختصار، وهي التالية:

1 ـ إن الحسن البصري قد بدأ بنفسه، كما أظهره النص الأول الذي نقله لنا الكراجكي «رحمه الله»، وكان الأدب مع الإمام الحسن «عليه السلام» يقتضي أن يبدأ بالحسن، ثم يذكر نفسه..

2 ـ إنه نسب الإمام الحسن إلى رسول الله، فقال: ابن رسول الله، ولم يقل: ابن علي.. فإن كان سبب استبعاد اسم علي «عليه السلام»، هو القلى والبغض له، فإن نسبته إلى رسول الله تُحفِظ الأمويين وتزعجهم، فإنهم كانوا يحاولون إنكار حقيقة كون الحسنين «عليهما السلام» ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقصة الحجاج مع يحيى بن يعمر، معروفة، فراجع كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام»».

3 ـ إن كلام الحسن البصري، يتضمن حقائق جميلة واعترافات جليلة ككونهم «عليهم السلام» سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى.

وأن الله تعالى شاهد على أهل البيت، وهم شهداء على الناس.

وأن علمهم من علم الله، وأنهم مصابيح الدجى، واعلام الهدى، والأئمة القادة.

4 ـ لكن جواب الإمام الحسن «عليه السلام» إليه، قد جاء قوياً وحازماً، وحاسماً، وصريحاً وواضحاً حيث ذكر «عليه السلام» أن ما ذكره البصري، من أنهم يرجعون إلى أهل البيت، فإنما يرجعون إليهم بالقول دون العمل..

وهذه إدانة فرضها الواقع الذي يحتم على الإمام الصدق والصراحة في معالجة الواقع المريض، وأن لا يغتر بالمجاملات والعبارات الفضفاضة، والمرصعة بالشكليات والجماليات.

5 ـ واللافت هنا: أنه «عليه السلام» قد بيَّن للبصري: أن من عرف الحق وأعرض عنه، واكتفى بالقول، من دون أن ينصره عملاً، وأن يسجل موقفاً لم تجب مخاطبته، ولا تجدي نصيحته. علماً بأن إسداء النصح للمؤمنين واجب على كل من يملك النصيحة، فما بالك بالإمام الذي يجب أن يكون للناس كالوالد الرحيم؟!

لكن ما دعا الإمام «عليه السلام» إلى الجواب على سؤال الحسن البصري هو: أن البصري قد اعترف بأنه هو ومن معه، لم يصلوا إلى حد معرفة الحق، ورفض العمل به.. بل هم لا يزالون في حيرة في المسألة التي طرحها. فهي غير واضحة لهم، الأمر الذي يحتم على العلماء بالله، والأمناء على وحيه: أن يعلموهم، ويخرجوهم من حيرتهم، فلعل هذا الاخراج يثمر قبولا بهذا الحق، والتزاماً عملياً به، ولو لدى بعضهم.. فكان لا بد من إسداء النصيحة والدلالة

على الحق. من قبل من جعله الله تعالى له مقام الناصح الأمين.

6 ـ ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» لم يكتف بوصف نفسه بالناصح، بل ذكر أباه، واصفاً له: بالناصح، وبالأمين أيضاً، الذي يؤدي الحق إلى طالبه كما هو، وحق الجاهل أن تعلمه، وحق المتحير أن تدله على الصواب، وتحثه على الالتزام به..

وهل أراد بالناصح الأمين أباه علياً أو أراد النبي الأكرم؟! أو أرادهما معاً؟! نقول:

إذا كان علي «عليه السلام» هو نفس النبي «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة، فلا محذور بالنسبة للطرف الآخر، أياً كانت هذه الاحتمالات..

7 ـ وبعدما تقدم، فإننا نفسح المجال للقارئ الكريم ليتأمل في المضامين التي حفلت بها رسالة الإمام «عليه السلام» ليلتمس بعضاً من جوانب عظمته، وغزير علمه، وصافي قريحته..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله..

كلمة الختام:

وبعد..

فإن ختام الكلام في كلمة الختام هو: أننا ما زلنا نكتشف في أنفسنا جوانب كثيرة وكبيرة من القصور، والجهل والضعف فيما يرتبط بأحوال أئمتنا «عليهم السلام»، وعظيم فضلهم، وسامق مقامهم، وغزير علمهم، وخالص طهرهم، وصواب منطقهم، وصحة وسلامة نواياهم، وباهر إنجازاتهم، وجليل تضحياتهم، فهم مجمع الأسرار، ومصدر الأنوار، لا يدرك أحد مداهم، ولا يمكن الإحاطة بمعناهم.

من أجل ذلك أقول:

إن هذا الكتاب لا يعبِّر عن حقيقتهم إلا بمقدار، ولا يدل على نهجهم وطريقهم بما يليق بهم.. لأنه بالإضافة إلى قصوره عن استيعاب مفردات حياتهم «عليهم السلام»، قد لا يكون موفقاً في فهم بعض ما حاول أن يعالجه منها..

وحسبي من كتابي هذا: أن ما بذلته فيه من جهد، وإن كان في أوقات حرج، أو تكاد تكون كذلك، ولكنه قد أنعش روحي، وصقل قريحتي، ورسخ حبي لهم، وتجذرت لدي القناعة بأنهم «عليهم السلام» هم سر الوجود، وبهم ينال رضوان الله في جنات الخلود..

وهذا ما يجعلني قادراً على استيعاب أي نقد، أو تخطئة لبعض ما أوردته في كتابي هذا بصدر رحب، ونفس صافية، وروح راضية، بل إنني أكون مسروراً، ومبتهجاً به.. ربما أكثر مما يتوقعه الكثيرون.

وأرى أن من واجبي أن أجعل من أية مؤاخذة أو ملاحظة توجه إليَّ سُلَّماً أرتقي به إلى مدارج الكمال، وتحقيق التوازن والاعتدال، ويجعل لي من ذلك حصناً منيعاً يحفظني من الاعتلال والاختلال.

وأخيراً.. فإن ما أطلبه من ربي هو التسديد لكل خير، والصون من كل شر وضير، وعلى الله أتوكل، وإليه أبتهل وأتوسل: أن يهديني إلى سبيل الرشاد.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً) جبل عامل ـ قضاء بنت جبيل ـ لبنان.

10 شوال 1439 هـ. ق.

25 حزيران 2018 م. ش.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

عامله الله بلطفه وإحسانه.

الفهارس

1 . الفهرس الإجمالي
2 . الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي

الفصل الثاني: التعظيم والتكريم................................ 5
الفصل الثالث: مواجهات.. ومواقف............................. 31
الباب الرابع: شهادة الإمام في فصول............................ 66
الفصل الأول: مسممة الأزواج.................................... 68
الفصل الثاني: الإمام الشهيد.. 96
الفصل الثالث: وصايا الإمام ×.. 125
الفصل الرابع: وصايا الإمام العامة والخاصة.. 149
الفصل الخامس: ا لوصايا في مرحلة الأجراء.. 179
الباب الخامس: هكذا شُيِّع الإمام................................ 201
الفصل الأول: رواية الكافي عن أبي جعفر × 205
الفصل الثاني: الطوسي والمرتضى (ره) يرويان.. 240
الفصل الثالث: شماتات وهنات في الروايات.. 267
آخر الفصول: رثاء وأحزان.. وملحق 291
الفهارس.. 313
الفهرس الإجمالي.. 311
الفهرس التفصيلي 317

الفهرس التفصيلي

الفصل الثاني: التعظيم والتكريم.................................... 5

الحج عبادة لا نزهة: 7

تعظيم ابن عباس للحسنين ‘ : 10

هيبة وشرف:... 13

أفضل قريش:... 14

الحسنان بنظر ابن جعفر: 17

معاوية عدو شانئ: 19

سوء أدب معاوية: 21

موقف ابن جعفر فاجأ معاوية: 23

قيمة الإخبارات الغيبية!!:...................................... 25

ما الذي خفف المصاب على معاوية؟!:............................ 26

معاوية كذب نفسه: 27

معاوية يتوسل بالأموال: 28
الفصل الثالث: مواجهات.. ومواقف................................. 31
لعن الله أخملنا ذكراً: 33
لم يستأذن الحسين من أخيه: 34
جواب الإمام أشد وقعاً: 36
طريقة تصدي الإمام الحسن ×: 37
آمين، آمين إلى يوم الدين: 39
كلاهما لي، ورغماً: 40
يا ابن الزرقاء: 43
تهديد الحسين × مبعوث مروان: 45
أليس سؤال الحسن أولى؟!: 46
الحسين لا يعصي أمر أخيه: 47
أنت صبي لا عقل لك: 49
الخوارج زهاد وعلماء: 50
خالي الفرس: 51
ابن النبي، وابن علي: 52
صلاة الحسنين خلف مروان: 53
الحسنان يتهاجران: 59
أنت أحق بالفضل مني: 61

وددت أن لسانك لي، وقلبي لك:.. 63
الباب الرابع: شهادة الإمام في فصول............................ 66
الفصل الأول: مسممة الأزواج....................................... 68
بداية:.. 70
مسممة الأزواج:... 77
الإصرار على قتل الإمام:.. 84
هل كان الإمام يعلم؟!:.. 86
مغزى استغفار الإمام الحسن ×:.. 87
السم لا يقطع الكبد:... 90
لماذا تغير ملك الروم؟!:... 91
هي بنت الأشعث:.. 94
الفصل الثاني: الإمام الشهيد.. 96
الله أشد نقمة منك:.. 98
القصر الأخضر للحسن، والأحمر للحسين:............................. 102
الرواية ليست مدسوسة: 105
حياء جبرئيل: 106
النظر في ملكوت السماوات: 108
جزع الإمام حين الاحتضار: 110

لا يفارقهم العقل ما دامت الروح فيهم:................................ 114
ما أشد ما أوذيَ الإمام الحسن ×: 117
موعظة الحسن لجنادة: 119
هكذا فارق الحياة: 122
الفصل الثالث: وصايا الإمام ×.. 125
بداية:.. 127
نص الوصية المكذوبة: 128
مؤاخذات على الوصية المزعومة:................................. 130
هذه الوصية تزور الحقائق:.. 138
من لبس السلاح أولاً؟!: 138
الحسن يستأذن عائشة:... 138
عائشة لم توافق على دفن الحسن ×: 142
مكافآت لأبي هريرة:... 144
بنو أمية تبخروا ولم يحضروا:...................................... 145
هل دفن إلى جنب أمه فاطمة؟!:.................................. 146
الحسين يتذكر الوصية:.. 146
مروان في تشييع الإمام الحسن:.................................... 147
الفصل الرابع: وصايا الإمام العامة والخاصة.. 149
بداية:.. 151

وصيته × لولده القاسم: 151
وصيته × لجنادة بن أبي أمية:.. 154
وصية الإمام الحسن إلى أخيه الحسين: 155
هل هذا تناقض؟!: 157
إلف الناس للواقع المفروض:.. 161
وصية الإمام للحسين ومحمد: 162
وصيته × لابن الحنفية:.. 165
وصايا مراسم التشييع والدفن:.. 171
الفصل الخامس: ا لوصايا في مرحلة الأجراء.. 179
الذي تولى أمر الحسن: 181
من الذي غسل الإمام الحسن؟!:... 182
لم يصلِّ على الإمام إلا الإمام: 183
سعيد بن العاص لم يصلِّ على الإمام: 186
لولا السنة ما قدمتك: 188
دعوى ميل سعيد بن العاص إلى بني هاشم: 191
بنو أمية في مواجهة الجثمان الطاهر:.................................. 192
الحزن والحداد: 193
النعي.. والتشييع: 197

الباب الخامس: هكذا شُيِّع الإمام................................ 203
الفصل الأول: رواية الكافي عن أبي جعفر × 205
التشييع بحسب رواية الكافي:.. 207
يريد أن يحدث برسول الله عهداً:..................................... 210
أصرفني إلى أمي فاطمة: 213
صنيع عائشة: 214
نحو إبنكم:.. 226
البيت بيتها:.. 227
هتك حجاب الرسول: 229
ابن الحنفية يحرج عائشة:... 234
الحسين يتصدى لعائشة:.. 237
هل دفنت الزهراء في البقيع؟!: 237
الفصل الثاني: الطوسي والمرتضى (ره) يرويان.. 240
من رواية الأمالي وعيون المعجزات: 242
إضافة من عيون المعجزات: 244
عائشة في أربعين راكباً: 249
ابن عباس في المدينة، أو في الشام؟!: 250
هل كان ابن عباس أعمى؟!:.. 251
ألفان، أو أربعون؟!:.. 252

عائشة تأمر بالقتال: 252

لكي لا يتهم الحسين ×: 252

ماذا عن حلف الفضول؟!: 254

التحدي بالسيف: 255

لم تشر الرواية إلى السم: 255

ابن العاص لا يعارض الحفر: 256

الدعوة بحلف الفضول: 257

رواية شرح الأخبار: 257

النص على إمامة الحسين ×: 261

بنو أمية يبادرون إلى حمل السلاح: 261

القاضي النعمان لم يكن منصفاً: 262

تعابير كريهة: 263

سرعة وصول خبر الوفاة لمعاوية: 264

الفصل الثالث: شماتات وهنات في الروايات.. 267

شماتة معاوية بموت الحسن ×: 269

السجود والتكبير لماذا؟!: 270

ابن عباس أين؟!: 271

حوار ابن عباس ومعاوية: 275

عروة يروي ما جرى: 278
مروان يحتقر أبا هريرة: 280
عائشة في مهمة إصلاحية: 281
معاوية هو الداء الدوي: 282
البيت بيتي: 283
لم يكن مروان والياً على المدينة: 283
نقضتم العهد بيننا وبينكم:.. 284
الحفر في بيت علي وفاطمة:.. 285
ما معنى اتخاذ القبور مساجد؟!:.. 287
بنو هاشم، وصلاة سعيد بن العاص: 288
آخر الفصول: رثاء وأحزان.. وملحق 291
رثاء المحبين: 293
تأبين الحسين للحسن: 295
تأبين ابن الحنفية:.. 296
زيارة الحسين قبر أخيه:.. 297
ملحق.. 299
كلمة الختام:.. 311
الفهارس.. 313
الفهرس الإجمالي.. 315

الفهرس التفصيلي 317